

النظرية الماركسيّة-اللينينيّة



التقدّم



افناسيف

الاشتراكية  
والشيوعية

النظرية الماركسية-اللينينية

افاناسيف

الاشتراكية  
والشيوعية



دار التقدم  
موسكو

ترجمة سليم توما

В. Г. Афанасьев

СОЦИАЛИЗМ И КОММУНИЗМ

*На арабском языке*

---

### إلى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرا لكم اذا  
تفضلتكم وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة  
الكتاب ، وشكل عرضه ، وطبعاته ، واعربتم  
لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ١٢  
موسكو - الاتحاد السوفييتي

© الترجمة الى اللغة العربية ، دار التقدم ، ١٩٧٧

طبع في الاتحاد السوفييتي

A 10504—015  
016(01)—77 540—77

---

## الفصل الاول

# علم الاشتراكية والشيوعية

تؤلف نظرية الاشتراكية العلمية جزءاً مكوناً من الماركسية - اللينينية . وقد برهن هذا العلم الحتمية التاريخية لاستبدال المجتمع الرأسمالي بمجتمع جديد ، اشتراكي . ووضع اسسها ك . ماركس وف . انجلس .

## ١ - الحتمية التاريخية لانتصار الاشتراكية

ماركس وانجلس  
مؤسس علم الاشتراكية  
والشيوعية

في غضون الفترة الممتدة من القرن السادس عشر حتى اواخر القرن الثامن عشر حلّت الرأسمالية محل الاقطاعية في عدد من بلدان اوروبا الغربية ، فكان ذلك نتيجة لاستباب الانتاج الآلي ، كما كان في الوقت نفسه دافعاً لتطور الانتاج والتكنيك والعلوم الطبيعية بصورة عاصفة . واخذت تنشأ ، محل العرف والمأنيفاتورة ،

المصانع والمعامل والمناجم ؛ وراحت طاقة العضلات البشرية والماء والهواء تخلي المكان لطاقة البخار الجباره ، ومن ثم لطاقة الكهرباء . وخلال هذه الحقبة القصيرة نسبيا ، قرنين او ثلاثة قرون ، تم في ظل الرأسمالية القيام بعمل في ميدان تطوير الانتاج اكبر كثيرا مما تم القيام به خلال مجمل تاريخ البشرية السابق . بيد ان الرأسمالية لم تخفف من وطأة نصيب الانسان الكادح : فقد بقى الاستغلال هنا ايضا كما كان في ظل العبودية والاقطاعية . وعلاوة على ذلك حافظت جملة من بلدان الرأسمالية على بقايا الاقطاعية ايضا ، وغالبا ما يكتمل النير الرأسمالي بالنير الاقطاعي . ونتيجة لذلك اخذ يتعاظم استثناء الجماهير الكادحة ويتفاوت النضال الطبقي ، النضال بين ارباب العمل وبين العمال المأجورين المحررمين من وسائل الانتاج .

ولم يكن للتغيرات الاجتماعية التي تمت الا ان تؤثر على حياة المجتمع الروحية ايضا . وظهرت أولى التعاليم الطوباوية عن الاشتراكية ، التي انعكس فيها احتجاج الجماهير الشعبية ضد الاوضاع الاجتماعية القائمة . وكانت هذه التعاليم تتضمن انتقادا لاذعا للمجتمع الرأسمالي ، وتعبر عن ضرورة استبداله بمجتمع جديد : الاشتراكية ، الشيوعية . ولم تكن التصورات عن هذا المجتمع الجديد ناضجة ، ولا متكونة في نظام متابعة من الآراء . الا ان اصحاب هذه التعاليم كانوا يؤمنون ايمانا راسخا بأنه سيكون مجتمعنا حاليا من الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ومن استثمار الانسان للانسان ، مجتمعا يعيش فيه اناس متساوون في الحقوق والواجبات . بيد ان التعاليم الاشتراكية الاولى - وهنا

تكمّن طوباويتها وعدم قابليتها للتحقيق - لم تعط اجوبة صحيحة قائمة على اسس علمية على الاستئلة التالية : كيف ، وبأية طريقة ينبغي القضاء على الرأسمالية ، ومن بالضبط وایة قوة اجتماعية قادرة على ازالة الرأسمالية وبناء مجتمع جديد .

وكان اصحاب هذه التعاليم يفترضون مختلف الوصفات . كان بعضهم يعتقدون بأنه يكفي فقط توجيه طلب الى الطبقات المالكة بان تتنازل دون مقابل عن الملكية والسلطة والامتيازات لصالح الاكثريه حتى تخلى الرأسمالية المكان للاشتراكية . وكان آخرون يفترضون اقامة المجتمع الجديد بواسطة تعليم وتنقيف الشعب فقط . وعمدت فئة ثالثة الى وضع مختلف المشاريع «للجاليات الشيوعية» ، بل وحتى اقاموا مثل هذه «الجاليات» . وكانت جميع هذه التوصيات والمشاريع ، بالطبع ، غير قابلة للتحقيق . ومما له دلالته ان طوباوية التعاليم الاشتراكية الاولى وعدم اهليتها للتنفيذ لم تكن عيبا على اصحابها بل مصيبة لهم . فلم تكن قد نضجت بعد في ذلك الزمِن الظروف الواقعية من اجل انتصار المجتمع الجديد ، ومن اجل وضع علم الاشتراكية والشيوعية ، على حد سواء . وكانت النظريات الاشتراكية غير الناضجة تطابق حالة المجتمع غير الناضجة .

وضع علم الاشتراكية والشيوعية كارل ماركس ( ١٨١٨ - ١٨٨٣ ) وفريدريك انجلس ( ١٨٢٠ - ١٨٩٥ ) . وقد بدأ نشاطهما العملي والثورى في المانيا في اربعينات القرن الماضى . وكان ذلك زمن تطور الرأسمالية العاصف التي تشبتت بصورة راسخة في جملة من بلدان

اوروبا واميركا الشمالية ، وزمن تطور الطبقة الجديدة - البروليتاريا الصناعية وولوجه طريق النضال الثورى . وكان يخيل للناس وكأنه ليس لسيطرة البرجوازية من آخرا . الا ان ذلك كان مجرد تخيل ليس الا . وماذا في الواقع ؟ لقد دوّت في عام ١٨٤٨ كلمات «بيان العزب الشيوعى» النبوئية حيث بين ماركس وانجلس ان المجتمع الرأسمالى ، القائم على الملكية الخاصة والاستثمار ، يجب عليه ، وبينفس الحتمية التي حل هو بها محل الاقطاعية ، ان يخل المكان لمجتمع خال من الاستثمار والعبودية - المجتمع الشيوعى ، وان البشرية تسير نحو الثورة الشيوعية العظيمة . واعلن ماركس وانجلس : «فلترتعش الطبقات الحاكمة امام الثورة الشيوعية» \* . لقد انتهى زمن الاشتراكية الطوباوية وبدأ عهد الاشتراكية العلمية .

وخلالا للاشتراكية الطوباوية ، بما تنطوى عليه من افتراضات لا تقوم على اساس ومن تمنيات طيبة ، تقوم اشتراكية ماركس وانجلس العلمية على ارضية الدراسة العميقه للواقع الرأسمالي الحقيقي وعلى الادراك العلمي لقوانين تطور المجتمع .

### الاسس النظرية للاشتراكية العلمية

يكمن الفضل الضخم لماركس وانجلس في انهم اكتشفا فهم التاريخ فهما ماديا . وإن كان ممثلو علم الاجتماع يعتقدون سابقا بان تطور التاريخ يتحدد

---

\* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٤ ، ص ٤٥٩ .

بأفكار وآراء الناس ، فقد انطلق ماركس وانجلس من ذلك الواقع الجلي القائل بأنه ينبغي على الناس قبل تعاطي السياسة والفلسفة والفن ، اى الحياة الروحية ، ان يملكون العدد الادنى الضروري من الخيرات المادية (غذاء ، لباس ، مسكن) . ومن اجل الحصول على هذه الخيرات يجب على الناس ان يستغلوا ، ان ينتجوا . فالنشاط العلمي للناس والانتاج المادى يشكون ، بالذات ، اساس التطور الاجتماعى . وقد بين ماركس وانجلس ، بكشفهما اساس المادى للتطور الاجتماعى ، ان التاريخ ليس كومة من المصادفات بل عملية حتمية طبيعية ضرورية لاستبدال الانظمة الاجتماعية بانظمة اجتماعية اخرى ارقى واكملا ، علما بان تقدم الانتاج المادى يقع في اساس هذا الاستبدال . فقد اخلت المشاعية البدائية المكان للمجتمع العبودى ، والمجتمع العبودى للمجتمع الاقطاعى ، وهذا الاخير للمجتمع الرأسمالى .

وإذا كان تطور المجتمع عبارة عن عملية حتمية لاستبدال انظمة اجتماعية بأخرى فينبغي على المجتمع الرأسمالى ، هو الآخر ، ان يفسح المجال ، لا محالة ، امام المجتمع الجديد ، الاشتراكي .

وقد اتسم اكتشاف ماركس **للقيمـة الزائدة** بأهمية كبيرة بالنسبة لفهم جوهر الرأسالية فهما علميا ولأنبات الاشتراكية . وبهذا بالذات هتك سر اسرار الرأسالية - مصدر الربح الرأسمالي ، مصدر الاستثمار الرأسمالي . فالعامل في المجتمع الرأسمالي محروم من وسائل الانتاج (المصانع ، الآلات ، وسائل النقل الخ) ، ملكيته الوحيدة هي قوة عضلاتـه ، اى

قدرته على العمل وعلى انتاج القيم المادية . وهو مضطر ، من أجل البقاء على قيد الحياة واعالة اسرته ، ان يتوجه الى مالك وسائل الانتاج - الرأسمالي ، ويبيعه قوته الجسدية .

وتعقد بين العامل والرأسمالي صفقة تجارية . فالعامل يبيع قوة عمله والرأسمالي يشتريها ؛ العامل يستغل والرأسمالي يدفع له الاجرة . وبعد ان تمعن ماركس في جوهر هذه الصفقة بين انها بعيدة عن ان تكون صفقة متكافئة كما قد يبدو لأول وهلة . فالواقع ان قوة العمل هي بضاعة خاصة قادرة على انتاج قيم مادية . وعليه فان القيم التي تنتجهما تساوى اكثر بكثير مما يدفعه الرأسمالي لقاءها على شكل اجرة . فالرأسمالي يدفع جزء فقط من قيمة المنتجات التي يصنعها العامل ، اما الجزء الباقي فيستولى عليه هو . وفي هذا بالذات يكمن جوهر الاستثمار الرأسمالي .

وليس في نية الطبقة العاملة ، بالطبع ، التسلیم بالوضع القائم . وهي تنخرط في النضال ضد مستعديها الرأسماليين . فالصراع الطبقي بين العمال والبرجوازية امر لا مفر منه ، وهو ينبع بالضرورة من استحاللة التوفيق بين وضع هاتين الطبقيتين الاقتصادي والسياسي في المجتمع ، ومن طموح الطبقة العاملة العتمى نحو تغيير هذا الوضع والتحرر من الاستثمار واقامة سيادتها في المجتمع . وهذه السيادة يجب ان تعود للطبقة العاملة بحكم كونها منتج جميع القيم المادية .

## الثورة الاشتراكية وسيلة لاستبدال الرأسمالية بالاشتراكية

احدثت الرأسمالية تطويرا عاصفا للقوى المنتجة بانشائها انتاجا آليا ضخما في البلدان المتطرفة وبتطويرها العلم والثقافة . وقضت على التشتت الاقطاعي والانكماش على النفس ، واقامت اقتصادا عالميا ، ونشرت نظام الاستثمار الرأسمالي في العالم باسره عمليا ، وجعلته قاسيا وتخريبيا على وجه خاص بالنسبة لاغلبية شعوب العالم ، التي حولتها الى عبيد للمستعمرين بقوة السلاح .

ويعود سبب النمو السريع للانتاج الى حواجز كالربح الرأسمالي والمنافسة الرأسمالية . فالرأسمالي ، في ركضه وراء الربح وفي سعيه لسحق منافسيه في السوق ، يعمل على توسيع الانتاج واتقان التكنيك وتحسين التكنولوجيا في الصناعة والزراعة . الا ان نتاج الانتاج الرأسمالي يصب ، بقسمه الاكبر وعلى شكل ارباح ، في جيوب الرأسماليين ، الملاكين ، الذين تعود لهم وسائل الانتاج الاساسية . اما بالنسبة للجمهور الساحق من اعضاء المجتمع - الكادحين ، الذين يخلقون قيما هائلة ، فهم محرومون في الغالب من وسائل العيش الضرورية . ويأخذ الانتاج في الاتساع والنمو ، في حين تبقى القدرة الشرائية لدى السكان متخلفة عن نمو الانتاج . وتتلخص النتيجة في استخدام غير كامل للقدرات الانتاجية ، وازمات فييض انتاج البضائع ، وركود اقتصادي ، ونشوء وانتشار البطالة . هكذا تكشف الرأسمالية التناقض العميق في تطورها

الاقتصادي - التناقض بين الطابع الاجتماعي لعملية الانتاج وبين شكل التملك الرأسمالي الخاص . فالانتاج في ظل الرأسمالية يرتدى طابعا اجتماعيا جليا ، اذ تشتراك فيه ملايين من الجماهير الكادحة المتمركرة في مؤسسات ضخمة ، في حين ان ثمار عمل هذه الملايين تستولى عليها حفنة ضئيلة من كبار المالكين . لتأخذ على سبيل المثال انتاج سيارة . فمن اجل صنع سيارة يلزم معدن . والمعدن يستخرج من الخامات . وهذا يعني انه يشترك في انتاج السيارة عمال المناجم الذين يستخرجون الخامات وعمال التعدين الذين يحولون الخامات الى معدن . ثم ان آلافا وآلافا من العمال يصنعون قطعا كثيرة العدد للسيارة توضع من ثم على خط الناقل بغية تجميع السيارة . وليس ذلك كل شيء بعد . فمن اجل انتاج سيارة تلزم طاقة كهربائية ومبان انتاجية ووسائل نقل المواصلات وكثير غيرها . وهذا يعني انه يعمل في صنع السيارة عمال الطاقة والنقل والمواصلات . وبكلام آخر نقول انه تشتراك في صنع السيارة جماهير غفيرة من العمال . وها قد أصبحت السيارة جاهزة ، وبيعت . الا ان القسم الاكبر من اموال بيعها قد استأثر به صاحب مصنع السيارات : رأسى منفرد او حفنة ضئيلة من الرأسماليين ، الأمر الذى يشكل اجحافا صارخا للعيان . واذاللة هذا الظلم امر ممكن بطريقه واحدة فقط : القضاء على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وعلى الاستثمار ، واقامة الملكية الاجتماعية (العائدة للشعبية) لوسائل الانتاج الاساسية ، واقامة التعاون بين اناس العمل على هذا الاساس ، واتباع المبدأ العادل في التوزيع : الغيرات ملك

للذين يصنعونها ، للذين يعملون . ومن لا يعمل لا يأكل .

يصنعونها ، للذين يعملون . ومن لا يعمل لا يأكل .  
بيد انه من المعروف جيدا ان طبقة الرأسماليين لا تتخلى بطيبة خاطر عن وسائل الانتاج التي تمكّنها ملكيتها لها من استثمار الكادحين ، وعن امتيازاتها وعن سعادتها في المجتمع . ثمة وسيلة واحدة فقط للقضاء على الملكية الخاصة والاستثمار - نضال العمال الطبقي ضد البرجوازية ، والذى تعتبر الثورة الاشتراكية اعلى اشكاله وتتويجا له . فالثورة الاشتراكية تحطم سيادة البرجوازية ، وتقيم سلطة الطبقة العاملة وكافة الكادحين ، وتشق الطريق امام بناء المجتمع الاشتراكي .

وعليه ، فان الثورة الاشتراكية تستند الى اساس اقتصادى محدد - التناقض فى الانتاج الرأسمالى ؛ وهى بمثابة ضرورة تاريخية . وتنبع هذه الضرورة من المتطلبات نفسها لتطور الانتاج الذى تضيق به حدود الرأسمالية والذى تتطلب طبيعته الاجتماعية نفسها القضاء على الملكية الرأسمالية الخاصة واقامة الملكية الاشتراكية ، الجماعية .

وعليه ، فان الفهم المادى للتاريخ وتحليل القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعى والتناقضات الداخلية الملزمة له قد قادا ماركس وانجلس الى طرح نظرية الثورة الاشتراكية بوصفها الوسيلة **الضرورية والوحيدة** لاستبدال الرأسمالية بالاشتراكية ، والمقدمة التى لا بد منها من اجل تحرير الانسان الكادح وخلق شروط وجوده العر الخلقى بالانسان .

## الرسالة التاريخية للطبقة العاملة

لم يكتف ماركس وانجلس بتبيين الثورة الاشتراكية باعتبارها الوسيلة الوحيدة للاطاحة بالرأسمالية واقامة الاشتراكية ، بل كشفا للتاريخ ايضا القوة الاجتماعية التي تشكل القوة الوحيدة القادرة على القيام بالثورة الاشتراكية . وهذه القوة هي الطبقة العاملة . ان **الرسالة التاريخية العظيمة للطبقة العاملة** ، للبروليتاريا ، هي اعتناق نفسها وجميع الكادحين بواسطه الثورة الاشتراكية ، والقضاء على الرأسمالية ، واقامة المجتمع الانساني حقا - الاشتراكية . وقد كتب لينين يقول : «ان الجوهرى في مذهب ماركس هو انه اوضح دور البروليتاريا التاريخي العالمى بوصفها بانية المجتمع الاشتراكي» \* .

ان اولى وأهم مهام الثورة الاشتراكية هي الاطاحة بسلطة البرجوازية ، والتحطيم الجذرى لماكنة الدولة القديمة ، وانشاء دولة جديدة - دولة دكتاتورية البروليتاريا . وفي هذه الدولة تعود السلطة للكادحين انفسهم برئاسة الطبقة العاملة .

لماذا توصل ، اذن ، ماركس وانجلس الى الاستنتاج القائل بأنه تعود للطبقة العاملة بالذات **الرسالة العظيمة لتحرير الانسان الكادح والبشرية** باسرها ؟

ذلك ، اولا ، لأن الطبقة العاملة هي اكثرب طبقات المجتمع الرأسمالي ثورية . فهو محرومة من الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وتعتبر اكثرب الطبقات استثمارا

---

\* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٣ ، ص ١ .

ف المجتمع الرأسمالي . وهى مضطربة ، بسبب حرمانها من الملكية ، الى العمل لحساب الرأسمالى ، والى التعرض للاستثمار الرأسمالى . وليست الطبقة العاملة وحدها عرضة للاستثمار في المجتمع الرأسمالي ، بل وكذلك الفلاحون ، والبرجوازية الصغيرة في المدينة . الا ان الفلاحين والبرجوازيين الصغار ، خلافا للطبقة العاملة ، يحوزون على ملكية ، على ادوات ووسائل عمل محددة ، الامر الذى يجعلهم يقتربون من البرجوازية بدرجة معينة ويولـد لديهم التذبذب السياسي والتراجع . اما بالنسبة للعامل فان ملكيته الوحيدة هي يداه العاملتان اي قدرته على العمل . وعليه ، فان مصيره ومصير عائلته واقربائه وذويه يتوقف على لعبة الاقدار العمياء ، وعلى ما اذا كان يوجد ثمة طلب على عمله ، على يديه العاملتين .

لذلك فان للطبقة العاملة ، لهذا السبب بالذات ، واكثر من اية طبقة اخرى كانت ، مصلحة في القضاء على الملكية الخاصة والاستثمار ، وهذا يعني انها اكثـر الطبقات ثورية واسـدـها خصـومـة لـلـرأـسـمـالـيـة . والثورة الاشتراكية ، المدعـوة الى القـضاـء على الرـأـسـمـالـيـة وـاقـامـة الاشتراكـية ، قضـية حـمـيمـة ، حـيـوـيـة بـالـنـسـبـة لـلـطـبـقـة العـاملـة ، وـهـدـفـها المـنشـود ، وـرسـالتـها . ولـيـس لـدـيـها ما تـفـقـدـه فـيـ الثـورـة سـوـى اـغـلـالـها ، وـيمـكـنـها بـالـثـورـة ان تحـصـلـ على كل شـئ - وـسـائـلـ الـانتـاج وـالـسـلـطـة السياسية ، وبـهـذـه الاـخـيرـة على حقـ التـمـتـع بـجـمـيـع منـجزـاتـ الثقـافـةـ المـادـيـةـ وـالـروحـيـةـ .

وـتـعـتـبـرـ الطـبـقـةـ العـاملـةـ اـكـثـرـ الطـبـقـاتـ ثـورـيـةـ اـيـضـاـ لـاـنـهـاـ مـرـتـبـطـةـ بـالـشـكـلـ التـقـدمـيـ لـلـاـقـتـصـادـ - الـانتـاجـ الـآـلـيـ

**الضخم** . فالمستقبل هو لهذا الانتاج ، وبالتالي فان الطبقة العاملة مرتبطة بمستقبل الانتاج ، بمستقبل البشرية بأسرها .

بيد ان المسألة لا تنحصر في ذلك فقط . اذ ان ظروف تطور الانتاج الرأسمالي نفسها تجعل الطبقة العاملة اكثـر الطبقـات تنظيـماً واكثـرها انصـباطاً . فالبرجوازية ، بانشائـها صناعـة ضخـمة ، رـكـزـتـ العمـالـ في مـدنـ ضـخـمة ، وـفيـ معـاـملـ وـمـصـانـعـ عـمـلـاقـة . وـيـشـتـغلـ العمـالـ بـصـورـةـ مشـتـركـةـ ، فـيـ اـسـرـ عـمـلـ كـبـيرـةـ ، لـذـاـ فـسـرـعـانـ ماـ يـقـبـلـونـ، وـقدـ انـخـرـطـواـ فـيـ النـضـالـ ضـمـدـ البرـجـواـزـيةـ ، عـلـىـ اـدـرـاكـ ، ضـرـورـةـ التـنـظـيمـ وـالـانـضـباطـ الاـشـدـ صـرـامـةـ . وـهـمـ يـقـتـنـونـ بـاـنـ ظـرـوفـ عـمـلـهـمـ وـحـيـاتـهـمـ قـاسـيـةـ فـيـ كـلـ مـكـانـ ، وـاـنـهـ يـوـاجـهـهـمـ فـيـ كـلـ مـكـانـ نـفـسـ المـسـتـشـمـ - الرـأـسـمـاـلـ . وـمـنـ هـنـاـ يـنـشـأـ لـدـىـ العمـالـ وـيـتـطـوـرـ الـوعـىـ الطـبـقـىـ ، وـالـسـعـىـ إـلـىـ التـوـحـدـ لـيـسـ فـقـطـ عـلـىـ النـطـاقـ الـاـنـتـاجـىـ بلـ وـالـوـطـنـىـ اـيـضاـ ، وـمـنـ ثـمـ الـأـمـمـىـ . وـتـنـشـئـ الطـبـقـةـ العـاـمـلـةـ مـنـظـمـاتـ خـاصـةـ بـهـاـ : النـقـابـاتـ وـالـتـعـاوـنـيـاتـ وـصـنـادـيقـ التـأـمـينـ ، وـاـخـيرـاـ الحـزـبـ السـيـاسـىـ الـذـىـ يـضـطـلـعـ بـقـيـادـةـ نـضـالـهـاـ .

ان ظروف عمل ومعيشة الطبقة العاملة تجعلها اكثـرـ الطـبـقـاتـ مـقـدـرـةـ عـلـىـ اـسـتـيـعـابـ الـافـكـارـ الثـوـرـيـةـ التـقـدـمـيـةـ وـاـمـتـلاـكـ نـاـصـيـةـ النـظـرـيـةـ الطـبـيـعـيـةـ . وـالـوـاقـعـ اـنـهـ لـاـ يـوـجـدـ لـدـىـ غالـبـيـةـ العمـالـ الوقتـ وـالـاـمـوـالـ وـالـمـعـارـفـ الكـافـيـةـ منـ اـجـلـ وـضـعـ هـذـهـ النـظـرـيـةـ . وـمـنـ هـنـاـ تـنـشـأـ مـهـمـةـ اـيـصالـ الـوعـىـ الاـشـتـراكـىـ إـلـىـ الـحـرـكـةـ العـاـمـلـةـ وـرـبـطـ الاـشـتـراكـيـةـ بـهـاـ . وـهـذـهـ المـهـمـةـ الكـبـيرـةـ يـنـفـذـهـاـ بـالـذـاتـ الحـزـبـ السـيـاسـىـ لـلـطـبـقـةـ العـاـمـلـةـ ، الحـزـبـ الـذـىـ يـتـوـحـدـ فـيـهـ

الممثلون الطليعيون للطبقة العاملة ، وللمثقفين الذين يقفون الى جانب مواقعها ويدافعون عن مصالحها .  
والمقصود بذلك هو **الحزب الماركسي الثوري** ،  
ال قادر وحده على ايصال افكار الاشتراكية العلمية الى الطبقة العاملة ، وتنظيمها من اجل النضال ضد الرأسمالية وقيادة هذا النضال ، ومن اجل الصراع الناجح مع الايديولوجيا البرجوازية ومختلف اعوان البرجوازية .

ويشكل اقامة الدور القيادي للحزب والطبقة العاملة في الثورة الاشتراكية وبناء الاشتراكية احد الاحكام الاساسية للماركسية ولنظرية الاشتراكية العلمية .  
وليست الطبقة العاملة وحيدة في النضال من اجل تحقيق مثلها العليا . ففي هذا النضال تنخرط في تحالف وثيق معها طبقات وفئات اخرى تعانى ايضا من الاستثمار وهى : طبقة الفلاحين الكادحين ، والحرفيون والبرجوازية الصغيرة في المدينة ، وفئة المثقفين الكادحين . وقد اغار ماركس وانجلس ، وللينين فيما بعد ، اهمية كبيرة خاصة لـ**تحالف الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين** اللتين تشكلان اكثريية الامة . وقد رأوا في هذا التحالف القوة الاجتماعية المدعومة للقيام بالثورة وبناء الاشتراكية . فالطبقة العاملة ، بتحريرها نفسها من العبودية الرأسمالية ، تحرر كافة الكادحين والمجتمع باسره ايضا من القهر والظلم .

ومن الهام بمكان التنوية بان نضال الطبقة العاملة لا ينحصر ضمن الحدود الوطنية بل يكتسب طابعا اميا .  
فليس لدى الطبقة العاملة مصالح تولد العداء بين الشعوب . وفي مقابل البرجوازية الموحدة على النطاق

العالمى تطرح الطبقة العاملة الوحدة الاممية ونضال الشعوب المشترك ضد مجتمع الملكية الخاصة والاستثمار . أفليس دلالة رائعة على ذلك ، مثلا ، التأييد الاممى الذى محضه عمال فرنسا وبريطانيا وغيرهما من البلدان للعمال الروس بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ؟ وكان شعار «ارفعوا ايديكم عن روسيا السوفيتية !» بالنسبة للشغيلة والطبقة العاملة في الجمهورية السوفيتية الفتية مساندة معنوية سياسية ضخمة وساعدت على الانتصار في النضال ضد الثورة المضادة المحلية والتدخل الاجنبى .

## ٢ - اللينينية تطوير خلاق لعلم الاشتراكية والشيوعية

### انتصار الافكار اللينينية

عاش ماركس وانجلس وعملا وناضلا في عهد الرأسمالية الصاعدة ، عندما كان تطور المجتمع يجري بصورة هادئة وبطيئة نسبيا . الا ان الوضع التاريخي اخذ يتغير بشكل جذري في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . فقد بلغت الرأسمالية اعلى مراحلها - الامبرialisية .

تصف الامبرialisية ، كما بين لينين ، بجملة من العلائم التي تعتبر اهمها سيطرة الاحتكارات التي تحل محل المنافسة الحرة . ومن العلائم الملزمة للامبرialisية ايضا اندماج الرأس المال المالي والصناعي وتكوين الطغمة المالية ؛ وتصدير الرأس المال اساسا وليس البضائع ،

وهو امر مميز بالنسبة لمرحلة الرأسمالية ما قبل الاحتكارية ؛ والصراع الضارى من اجل اقتسام واعادة اقتسام العالم اقتصاديا واقليميا .

وبلغت التناقضات الاقتصادية والسياسية للرأسمالية ، في المرحلة الامبرialisية من تطورها ، درجة قصوى من الحدّة . وحل عصر العواصف الاجتماعية والانقلابات الثورية محل عصر التطور السلمي .

وتوافق عصر التحطيم الجذرى للعلاقات الاجتماعية زمنيا تقريبا مع ولوج البشرية طريق الثورة العلمية التكنولوجية المرتبطة بأعظم منجزات العلم والتكنيك كاكتشاف واستخدام الطاقة الذرية ، وارتياض الفضاء الكونى ، وتطوير المعدات المؤتمتة والالكترونية وتكنيك الصواريخ وكيماء الانتاج ، وغيرها . وطرحت المنجزات العلمية التكنولوجية بحدّة خاصة مسألة الافلاس التاريخي للنظام الاجتماعي الرأسمالي الذى غالبا ما يستخدم منجزات العلم والتكنيك لافصالح الناس بل لضررهم ، ويحوّلها الى اداة استثمار وعدوان . واخذت الرأسمالية المعاصرة ، الامبرialisية ، تتحول بازدياد مطرد الى كابح للتقدم الاجتماعي والعلمى التكنىكى . ان الضرورة التاريخية لاستبدال الرأسمالية بالاشراكية قد اخذت تطرح نفسها باصرار متزايد .

ومن الطبيعي تماما ان تتطلب الظروف الجديدة منطقاً جديداً من حل القضايا الاجتماعية الجذرية والتطوير الخلاق لعلم الاشتراكية . وبات من الضروري تعليم التجربة الجديدة لحركة البروليتاريا الثورية ، وتجربة حركة التحرر الوطنى والحركات الديمقراطية ، ونتائج احدث المنجزات العلمية التكنولوجية . ومما زاد

في أهمية ذلك هو انبعاث قوى معادية للماركسيّة في الظروف الجديدة . وكانت التهجمات السافرة على الماركسيّة ونظرية الشيوعيّة العلميّة من جانب أيديولوجىي الطبقة البرجوازية تتلاقي موضوعياً مع تهجمات الانتهازيين الذين كانوا يكمنون في قلب الحركة العمالية والشيوعية ويغربونها من الداخل بحجة تطوير الماركسيّة والتدقيق فيها وجعلها ملموسة .

وعليه ، فقد طرح التاريخ وكل سير تطور البشرية في العصر الجديد أهم مهمة أمام العلم الاجتماعي : الذود عن مكتسبات الماركسيّة وتطويرها بصورة خلاقة ، واعطاء جواب على الاستئلة الملحة للعصر الراهن . ولقد نفذ العلم ، بشخص فلاديمير أيليتش لينين ( ١٨٧٠ - ١٩٢٤ ) ارادة الزمن الملحة هذه .

ان لينين هو الوارث الامين لأفكار واعمال مؤسسى الماركسيّة ، والمفكر العقري والثورى الذى لا تلين له قناة ، وزعيم الطبقة العاملة الروسية والعالمية .

وترتبط باسم لينين انصع صفحة في تاريخ الفكر الماركسي وتتضمن اجوبة على الاستئلة الجذرية التي طرحتها الحياة بصورة حازمة وآمرة ، وتعكس بشكل كامل وامين للغاية متطلبات الزمان الملحة ، متطلبات التقدم التاريخي .

ويرتبط باسم لينين نشوء الحزب الشيوعى السوفياتى ، حزب الفكر النظري العميق والعمل الثورى ، حزب بناء ومبدعى المجتمع الجديد .

ويرتبط باسم لينين اعظم انعطاف في تاريخ البشرية - ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى في روسيا ( عام ١٩١٧ ) ، التي ارسست بدأيّة العصر الراهن ،

عصر انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية .

ويرتبط باسم لينين اقيام وتطور اول بلد اشتراكي في العالم : اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، والذى بات حاليا مركز جذب لجميع القوى الثورية والتقدمية في عصرنا ، وهو يجسد اعز الاحلام البشرية . وترتبط باسم لينين انتصارات قوى الاشتراكية العالمية ، المعارك والانتصارات العظمى التي تحرزها الطبقة العاملة والقادرون على الرأسمالية ، وانتصارات الشعوب المضطهدة في نضالها الدائب ضد الاستعمار . وغدا اسم لينين رمزا للثورات البروليتارية والاشترافية والتقدم ، رمزا لتغيير العالم على اسس شيوعية . ويمكن القول بملء الحق : ان البشرية المعاصرة تحيى وتسير الى امام وتطور وفق لينين . فاللينينية هي ماركسية قرنا العشرين ، وعصرنا الراهن ، عصر الامبراليية والثورات البروليتارية ، عصر انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية وبناء المجتمع الشيوعي .

وقد جاء في نداء مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمي في موسكو (١٩٧٩) «بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد لينين» ما يلى : «لقد أكدت تجربة الاشتراكية العالمية وتجربة الحركة العمالية وحركة التحرر الوطني الاهمية الشاملة للمذهب الماركسي اللينيني . ان انتصار الثورة الاشتراكية في مجموعة من البلدان ، وظهور المنظومة الاشتراكية العالمية ، ومكاسب الحركة العمالية في بلدان الرأسمالية ، ودخول شعوب المستعمرات وشبه المستعمرات السابقة حلبة النشاط

السياسي والاجتماعي المستقل ، والنهوض الذى لم يسبق له مثيل للنضال المعادى للامبرialisية ، هى كلها براهين على الصحة التاريخية للينينيةة التى تعكس مقتضيات العصر الجذرية» \* .

## تطوير لينين لنظرية الثورة الاشتراكية

يمكن القول بملء الحق ان لينين قد طور كافه جوانب علم الاشتراكية والشيوعية الماركسي .

ويكمن الفضل التاريخى للينين فى ان عمله النظري كان يرتبط ارتباطا عضويا بالنضال الثورى للبروليتاريا وبالممارسة العملية للبناء الاشتراكى في الاتحاد السوفيتى . ولم ي العمل على اغناء وتطوير علم الاشتراكية والشيوعية فقط بل قاد ايضا تحقيق مبادئه عمليا . ووضع لينين خطة بناء الاشتراكية والشيوعية في البلاد السوفيتية وبقى حتى آخر ايام حياته على رأس الشعب والحزب اللذين يضعان هذه الخطة موضوع التطبيق العملى .

وقد طرح العصر التاريخى الجديد امام الطبقة العاملة وحزبها الماركسي المهمة المباشرة لتغيير المجتمع تغييرا ثوريا والقضاء على الرأسمالية وبناء الاشتراكية . ولهذا السبب بالذات اولى لينين اهتماما كبيرا وبذل الكثير من الجهد بوجه خاص لتحليل قوانين التطور الاجتماعى وبالدرجة الاولى جوهر الامبرialisية ، ولتحليل الناقضات الاكثر حدة الملازمة لها ، ووضع طرق

---

\* «مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمى . وثائق

ومواد» . موسكو ١٩٦٩ ، ص ٣٣٢ .

وسائل حسم هذه التناقضات من قبل القوى الثورية  
وعلى رأسها الطبقة العاملة .

وتحتل المرتبة الاولى من حيث الاهمية في اعمال لينين  
**نظريّة الثورة الاشتراكية** التي مارست تأثيرا ضخما على  
السير اللاحق لتطور المجتمع ، وعلى مصائر التاريخ  
العالمي .

فما هي ، اذن الأحكام الاساسية للنظرية اللينينية  
حول الثورة ؟

انها ، بالدرجة الاولى ، كون لينين قد كشف المكان  
التاريخي للامبراليّة ، وبين انها عبارة عن رأسمالية  
محضرة . فالتناقض الاساسي للرأسمالية - التناقض  
بين الطابع الاجتماعي للانتاج وبين الشكل الخاص  
للتسلّك - بلغ في ظروف الامبراليّة درجة من العدة  
ضخمة للغاية . وقد كتب لينين يقول : «ان الرأسمالية  
في مرحلتها الامبراليّة توصل رأسا الى اعطاء الانتاج  
صبغة اجتماعية شاملة» ، الا انها تحافظ على مبدأ  
الملكية الخاصة للتوزيع ؛ «ان علاقات الاقتصاد الخاص  
والملكية الخاصة تؤلف غلافا غدا لا يتلاءم مع المحتوى ،  
من شأنه ان يتعرّض لا محالة ... ، ولكنه مع ذلك  
سيزول لا محالة»\* . **والامبراليّة هي عشية الثورة  
الاشتراعيّة** . والثورة الاشتراكية في ظروف  
الامبراليّة ليست ممكنة فقط ، بل وضروريّة ، وحتمية  
ايضا . وهي تطرح نفسها امام الطبقة العاملة كمهمة  
مبشرة من مهام الساعة .

---

\* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٧ ، ص ٣٢٠ ،

ويعتبر الاكتشاف العقري للينين حول امكانية انتصار الاشتراكية في بلد واحد بمفرده اولا اهم حلقة في النظرية اللينينية للثورة الاشتراكية . وهذه الموضوعة تختلف كثيرا عن موضوعة ماركس القائلة بامكانية انتصار الاشتراكية في جميع ، او على اقل تقدير ، في اكثريه البلدان المتقدمة . لقد عاش ماركس في ازمنة الرأسمالية ما قبل الاحتكارية ، عندما كان تطور البلدان الرأسمالية يسير باعتدال نسبي وفي خط صاعد ، في حين ان التناقضات بينها لم تكن بنفس العمق الذي هي عليه الحال في ظل الامبرialisية . ومن هنا ، كما كان يعتقد ماركس ، فان محاولة الطبقة العاملة ، في هذا البلد بمفرده او ذاك ، الاطاحة بسيادة الرأسية ستواجه مقاومة منظمة مشتركة من جانب رأسماليي العديد من البلدان وستصاب بالفشل الذريع . وفي رأى ماركس ان الرأسية لا يمكن القضاء عليها الا بالجهود المشتركة لعمال جميع او اكثريه البلدان .

ولكن الامر يختلف في ظل الامبرialisية ، كما بين لينين . فهنا ، وبصورة لم يسبق لها مثيل ، يجرى تطور مختلف البلدان بشكل بالغ التفاوت ، بوتيرات . فبعض البلدان ، التي كانت متخلفة في السابق ، اخذت تلحق بالبلدان المتقدمة وتتخطاها من الناحية الاقتصادية والسياسية . كما راح يختلس توازن القوى وتنشأ النزاعات وتضعف الجبهة الموحدة للبلدان الرأسمالية . وبنتيجة ذلك اخذت تضعف موقع الرأسية العالمية وتنشأ امكانية اختراق سلسلة الامبرialisية في اضعف حلقاتها .

وقد كتب لينين يقول : «ان الرأسية تتتطور في

مختلف البلدان بصورة غير متساوية الى اقصى حد . ولا يمكن ان يكون الامر غير ذلك في ظل نظام الاستنتاج البضاعي . لذا كان هذا الاستنتاج الذى يفرض نفسه فرضا وهو ان الاشتراكية لا يمكن ان تنتصر في جميع البلدان في آن واحد . فهى ستنتصر اولا في بلد واحد او في عدة بلدان ، بينما تظل البلدان الاخرى ، لفترة من الزمن بلدانا برجوازية او ما قبل برجوازية» \* . وبعد الاشارة الى امكانية انتصار الاشتراكية اولا في بلد بمفرده تنبأ لينين كذلك بطريق التطور اللاحق للثورة الاشتراكية العالمية : انسلاخ متعاقب لبلدان جديدة وجديدة ابدا من سلسلة الامبرialisية ، في حين تبقى البلدان الاخرى برجوازية او ما قبل برجوازية . وكان لينين يتصور انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية لا كعمل من دفعه واحدة ، بل كحقبة تاريخية كاملة .

وفي سياق تطوير النظريات الماركسيية للثورة الاشتراكية كان لينين يأخذ بالحسبان الوضع المعقد للغاية في العالم الذي عاصره : وجود بلدان برجوازية ، وما قبل برجوازية ايضا ؛ وجود بلدان لم تحل فيها بعد مهام عائدة الى النظام البرجوازي الديمقراطي ؛ وجود بلدان مستعمرة ؛ وجود اكبر الطبقات والفئات الاجتماعية تنوعا في كل بلد من البلدان وما الى ذلك . وانطلاقا من ذلك خلص الى الاستنتاج باستحاله قيام ثورات اشتراكية «خالصة» في عصر الامبرialisية . وقد كتب لينين يقول انه

\* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ١٣٣ .

لا يجوز التفكير على هذا النحو : «ان جيشا يقف في مكان ويقول : «انا مع الاشتراكية» ، وجيشا آخر يقف في مكان آخر ويقول : «انا مع الامبراليّة» ، واذا نحن نهتف : هذه هي الثورة الاجتماعية ! فمن ينتظر ثورة اجتماعية «خالصة» لن يراها ابدا . فهو ثوري قولا ولا يدرك ما هي الثورة الحقيقية» . وكان لينين يتصور العملية الثورية على انها تفجر «للنضال الجماهيري الذي يخوضه جميع المغضوبين والمستائين على اختلاف فئاتهم» \* . وهذه العملية تشمل الحركة العمالية ، والحركة الفلاحية ، وحركة التحرر الوطني ، ومختلف الحركات الديمقراطية المناضلة ضد الامبرالية .

وعطفا على ذلك كان لينين يؤكّد ضرورة تحالف الطبقة العاملة المتنين مع جميع القوى الثورية التي تقوّض الامبرالية ، ويقف موقفا حازما ضد التعصب وضد عزل الطبقة العاملة عن سائر الكادحين والقوى الديمقراطية . ولدى ذلك كان لينين يعني لا التحالف بوجه عام ، بل تحالفا يكون فيه الدور القيادي للطبقة العاملة ، التي كان يعتبرها القوة الثورية الرئيسية . ولم يكن لينين يعتقد على الاطلاق بان الانفجارات الثوري في هذا البلد او ذاك سيكرون بالضرورة اشتراكيا ويؤدي الى دكتاتورية البروليتاريا . ففى البلدان المستعمرة او البلدان ذات الرواسب الاقطاعية القوية ، وكذلك في تلك البلدان التي لم تنجز فيها بعد التحولات البرجوازية الديمقراطية يمكن ان

---

\* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ٥٤ .

تسبق الثورة الاشتراكية ثورة برجوازية ديمقراطية او تحررية وطنية تحول ، لدى توفير ظروف مؤاتية ، الى ثورة اشتراكية . وطرح لينين كذلك الفكرة القائلة بامكانية الانتقال الى الاشتراكية ، دون المرور بالرأسمالية (اي ما يسمى بطريق التطور اللارأسماي) ، في البلدان التي لم تبلغ بعد مرحلة التطور الرأسمالية (وهي ، بالدرجة الاولى ، البلدان المستعمرة او التابعة سابقا) . بيد ان هذا الانتقال ليس ممكنا الا في حال وجود دكتاتورية بروليتارية منتصرة في بلدان اخرى .

ولينين مؤسس حزب من طراز جديـد ، العـزب الشـيـوعـيـ الشـوـرـيـ . فالـحزـبـ ، بـوـصـفـهـ طـلـيـعـةـ الطـبـقـةـ واـكـثـرـ فـصـائـلـهـ وـعـيـاـ وـتـنـظـيـمـاـ ، هوـ بـالـذـاتـ الذـىـ يـنـظـمـ الطـبـقـةـ العـاـمـلـةـ وـيرـصـ صـفـوفـهاـ وـيـسـلـحـهاـ بـالـنـظـرـيـةـ الشـوـرـيـةـ الطـلـيـعـيـةـ وـبـسـتـرـاتـيـجـيـةـ وـتـكـتـيـكـ العـرـكـةـ الشـوـرـيـةـ . فـتـحـتـ قـيـادـةـ حـزـبـ الشـيـوعـيـنـ قـضـىـ عـمـالـ وـفـلـاحـوـ روـسـيـاـ عـلـىـ النـظـامـ الرـأـسـمـاـلـيـ وـانـشـأـواـ اـوـلـ دـوـلـةـ اـشـتـرـاكـيـةـ فـيـ الـعـالـمـ .

### **اللينينية تعاليم اممية**

ان روسيا ، التي لم تكن على الاطلاق اكثـرـ الـبـلـدـانـ الرـأـسـمـاـلـيـةـ تـطـوـرـاـ ، قد اـعـطـتـ الفـكـرـ البـشـرـىـ التـقـدـمـىـ لـلـينـينـ وـالـلـيـنـينـيـةـ . وـلـمـ يـكـنـ ذـلـكـ صـدـفـةـ ماـ وـلـاـ نـزـوةـ منـ نـزـوـاتـ التـارـيـخـ ، بلـ حـتـمـيـةـ تـارـيـخـيـةـ ، اـذـ اـنـهـ فـرـوسـيـاـ بـالـذـاتـ نـشـأـتـ ، فـاـوـاـخـرـ الـقـرـنـ التـاسـعـ عـشـرـ وـاـوـاـئـلـ الـقـرـنـ الـعـشـرـيـنـ ، ظـرـوفـ مـؤـاتـيـةـ منـ اـجـلـ تـحـقـيقـ الثـوـرـةـ اـشـتـرـاكـيـةـ عـمـلـيـاـ ، هـذـهـ القـضـيـةـ التـىـ وـهـبـهـاـ

ماركس كل ذكائه العبرى وطاقته الخلاقة الجباره  
ومؤهلاته التنظيمية الرائعة .

ففى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وعلى  
الاخص فى بداية القرن العشرين ، اخذ يلاحظ فى روسيا  
نمو ملحوظ للانتاج الصناعى . وخلال خمس سنوات  
فقط (١٩٠٩ - ١٩١٣) ازدادت قيمة محمل المنتجات  
الصناعية ٥٤٪ . وكان يرافق نمو الصناعة تمركز فى  
الانتاج . ففى عام ١٩١٤ كان يتمركز فى المؤسسات ،  
التي يبلغ عدد عمالها ٥٠٠ عامل وما فوق ، ٥٦,٥٪  
من العدد الاجمالى لـعمال . وعلى الرغم من ان روسيا  
بقيت في الاساس بلدا زراعيا فقد كانت تعتل احد  
الاماكن الاولى في العالم من حيث درجة تمركز الانتاج .  
وكان تسير بخطى حثيثة عملية انتشار الاحتكارات  
في الصناعة الروسية ، وتمركز الرأسمال المصرفي ،  
واندماج الرأسمال المصرفي بالرأسمال الصناعي .  
وبتعبير آخر ، كانت العمليات العارية في اقتصاد  
روسيا مماثلة لتلك العمليات التي كانت تتميز بها  
بلدان الغرب الرأسمالية ايضا . وهى كناية عن  
عمليات نموذجية بالنسبة للمرحلة الامبرialisية من  
تطور الرأسمالية العالمية .

ومما له دلالته ان مصالح الامبرialisية الروسية  
والعالمية كانت تتشابك تشابكا وثيقا : ان جزءا هاما  
من الرأسمال المالي في روسيا كان يقع تحت اشراف  
الرأسمال الاجنبى . وكان الاجانب يملكون ٤٢٪ من  
الرساميل المساهمة في البنوك الروسية الرئيسية .  
وعشية الحرب العالمية الاولى بلغت ديون روسيا  
الخارجية رقما خياليا (بالنسبة لذلك الزمن) - ٥,٩

مليارات روبل . وكانت روسيا اسيرة شبكة من المعاهدات والاتفاقيات المجنفة التي وضعتها في تبعية اقتصادية ، وسياسية ايضا ، للأمبرياليين الاجانب . وهكذا ، كانت روسيا تشكل حلقة في النظام العالمي للأمبريالية ، لذا كان نضال الطبقة العاملة والكافحين ضد الامبريالية الروسية والحكم المطلق يكتسب بالضرورة طابعا امميا للنضال ضد الرأسمال العالمي . وعلى اساس تطور الصناعة في البلاد اخذت تتكون الطبقة العاملة التي كانت البروليتاريا الصناعية تشكل نواتها . فمنذ عام ١٩٠٩ وحتى عام ١٩١٣ ازداد بـ ٣٠,٨٪ عدد العمال الصناعيين في تلك المؤسسات وحدها التي كانت خاضعة لشرف التفتيش المعملى . ولم تتعرض الطبقة العاملة للاستثمار الوحشى في اي بلد آخر كما تعرضت له في روسيا . فقد انخفضت الاجرة الفعلية للعمال الصناعيين بـ ١٠٪ عام ١٩١٣ بالمقارنة مع عام ١٩٠٠ ، في حين تضاعفت ارباح الرأسماليين خلال هذه المدة ثلاثة مرات . واحتاز عمال روسيا ، ورثة افضل تقاليد الحركة التحريرية الروسية ، امتحانات النضال القاسية ضد الحكم المطلق والرأسمال ، واكتنروا تجربة لا تشهد لها مثيل في تاريخ المعارك الطبقية ، تجربة ثورة عامي ١٩٠٥ - ١٩٠٧ . وكان يقف على رأس الطبقة العاملة حزب من طراز جديد انشاء لينين ، الحزب الثوري ، حزب الامميين . وامتلكت روسيا ، بشخص الطبقة العاملة وحزبها ، قوة اجتماعية قائدة قادرة على تحطيم الامبريالية في روسيا ، وبهذا انزال ضربة قاصمة بقوى الامبريالية العالمية . ان الاستثمار الفطيع للعمال ، وقلة اراضي الفلاحين

وفقرهم المدقع ، وحرمان الشعب من الحقوق السياسية ، والوضع الجائر للاقلية القومية ، والرواسب البطريركية والاقطاعية ، والتبعية للرأسمال العالمي ، ان كل ذلك قد جعل روسيا هرکزا للاضطهاد الاجتماعي والقومي وملتقى لتناقضات الامبرialisية العالمية . وتفاقمت هذه التناقضات الى حد كبير في اعقاب الحرب العالمية التي جلبت للشعب آلاما ومصائب جديدة لا تحصى .

وفي سير انهاض الجماهير الى النضال ضد الرأسمالية الروسية وحد العزب اللينيني في تيار ثوري واحد الحركة الاشتراكية للطبقة العاملة والحركة الفلاحية وحركة التحرر الوطنى ونشاطات جماهير الشعب الواسعة ضد الحرب . فقد غدت روسيا هرکزا لحركة الثورية العالمية .

لقد اندفعت روسيا الى طليعة التقدم التاريخي لانه تلاقت فيها بالذات ، كما في بؤرة الضوء ، كل تعقيدات وتناقضات عصر الامبرialisية . فقد بلغت تناقضات الرأسمالية ، في مرحلة الامبرialisية ، درجة من التفاقم اصبحت معها الثورة الاشتراكية مهمة عملية ، في المقام الاول في روسيا بالذات التي كانت بمنابه عقدة لتناقضات الامبرialisية ، واضعف حلقاتها وبالتالي . ان قوة وعظمة لينين لا تنحصران في كونه قد رسم الصورة الواقعية لتطور روسيا ، بل ، وهذا الامر ، في كونه قد استطاع افضل من اي شخص آخر تحديد اتجاه تطور البشرية بأسرها في عصر الامبرialisية والمطالب الملحة للطبقة العاملة والكافحين في العالم كله .

وقد بيّن لينين ، بكتابته جوهر الامبريالية كظاهرة عالمية ، ان الامبريالية نظام اجتماعي ينبغي ان يأتي بعده ، كضرورة تاريخية ، مجتمع جديد خال من الاستثمار والظلم الاجتماعي ، مجتمع تعاون انسان العمل - المجتمع الاشتراكي . ومهما «تحايل» اعداء التقدم التاريخي ، ومهما دسوا العصى في عجلات التاريخ ، فالتاريخ يتبع مسيرته كاشفًا عقم كل محاولة لكبح سيره الحتمي .

ولم يكن لينين زعيما للطبقة العاملة الروسية وحسب بل وللطبقة العاملة العالمية ايضا ، زعيما لقادحى العالم بأسره . فقد كان يبدى اهتماما ضخما بمصائر الحركة الشيوعية العالمية ، التي اسسها وقادها . وكان لينين يقف عند مهد الاممية الشيوعية الثالثة ، التي حلت محل الاممية الثانية بعد ان غاص قادتها في مستنقع الانتهازية وانزلقوا في طريق خيانة مصالح الطبقة العاملة . وقد اشار لينين ، في فضحه جوهر الانتهازية الخيانى ، الى الطابع الاممى للحركة الشيوعية ، ووقف الى جانب تلامح القوى الشيوعية على النطاق العالمى . وكتب لينين يقول : «ان الرأسمال قوة عالمية .. وللتغلب عليها يجب تحالف العمال العالمى ، يجب تآخي العمال العالمى .

نحن خصوم للعداء القومى ، والحزارات القومية ، والعزلة القومية . نحن امميون» \* .

من ٢ الى ٦ آذار (مارس) عام ١٩١٩ عقد في موسكو ، في عاصمة الدولة الاشتراكية ، المؤتمر

---

\* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٠ ، ص ٤٣ .

الاول (التأسيسى) للاممية الثالثة ، التى لعبت دورا بارزا في تطوير الحركة الشيوعية العالمية . وقد وحدت الاممية الثالثة قوى شيوعيى العالم على الاساس الفكرى للماركسية - الدينينية ، ووضعت ستراتيجية وتكتيك الحركة العمالية في الظروف التاريخية الجديدة ، وساعدت على اقامة وتطوير الاحزاب الشيوعية الفتية ، واغنتها بتجربة النضال الثورى ، وخاضت نضالا لا يعرف الكلل ضد الانتهازية بجميع اشكالها وألوانها ، ومارست تأثيرا شديدا على حركة التحرر الوطنى وعلى نضال الجماهير الشعبية الواسعة في سبيل الديمقراطية ، ووقفت وسط نضال الشعوب من اجل السلام .

ووضع لينين نظرية العملية الثورية المعاصرة التي تشمل ليس فقط القوى التي تبني الاشتراكية والحركة الثورية للطبقة العاملة ، بل وكذلك حركة التحرر الوطنى والحركات الديمقراطية ضد الامبرialisية . وما تزال اسس ستراتيجية وتكتيك النضال الطبقي للطبقة العاملة والحركة الشيوعية العالمية ، والتى وضعها لينين وفقا لمميزات العملية الثورية في المرحلة الجديدة ، تحافظ على حيويتها في ايامنا هذه ايضا .

وقد شهد لينين ولادة صداقت العائلة المتعددة القوميات لشعوب الاتحاد السوفيتى - اعظم انجاز للاشتراكية وأحد اهم اسس جبروتها وقوتها . وكان لينين يناضل دون كلل ضد النزعه القومية الضيقه ، سواء اكانت نزعه روسية او المانية او صينية . ومنذ الايام الاولى للسلطة السوفيتية جرى نشر «اعلان

حقوق شعوب روسيا» الذى ارسى بدأية عهد جديد في العلاقات بين الشعوب . وحلت مبادئ<sup>١</sup> جديدة للعلاقات بين الشعوب ، مبادئ<sup>٢</sup> احترام سيادة وحرمة اراضي الشعوب كبیرها وصغریها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية ، محل عبادة القوة والقرصنة الامبریالية ونهب الشعوب واضطهادها ، التي تتمیز بها الرأسمالیة .

ووضع لینین برنا مج حل المسألة القومیة ، احدى اعقد مسائل التطور الاجتماعي واکثرها حدّة ، وقاد تنفیذ هذا البرنا مج عمليا . وتحولت روسيا ، التي استحقت لنفسها لقب «سجن الشعوب» المقيت ، تحولت نتيجة لانتصار الاشتراكية الى اسرة عظيمة لأمم حرة وعالية التطور . ان الصداقۃ اللینینیة لشعوب الاتحاد السوفیيتي هي تجسيم لمبادی<sup>٣</sup> الاممیة البرولیتاریة .

### ٣ – أ Fowler الرأسمالیة العالمية

يحاول خصوم المارکسیة – اللینینیة والاشراكیة العلمیة البرهنة على ان آراء مارکس ولینین قد فات او انها ، وأنها كانت صحيحة على حد زعمهم بالنسبة للقرن التاسع عشر فقط (على ايام مارکس) وبالنسبة لاوائل القرن العشرين (على ايام لینین) ، فيما نحن الان في الرابع الاخير من القرن العشرين وقد تغيرت الرأسمالیة بصورة جدية وتحولت الى «رأسمالیة شعبیة» ، الى «مجتمع الاستهلاك العالی» دون تناقضات ونزاعات اجتماعية . ومهمة الطبقة العاملة في الظروف

المعاصرة تكمن ، من وجهة نظر منظري البرجوازية واعوانهم ، في الاهتمام بالتقدم العلمي التكنيكى ، وبنمو الانتاج ، وبرفع انتاجية العمل . واى حديث عن اية ثورة اشتراكية هو امر غير وارد على الاطلاق طالما ان الثورة في الغرب ، كما يعتقدون ، هى ثورة في التكنولوجيا وليس ثورة في اشكال الملكية وفي العلاقات السياسية .

ولكن ، ما هو وضع الامور في الواقع ؟ وما هي حقيقة الرأسمالية المعاصرة ؟

## رأسمالية الدولة الاحتكارية

ان الرأسمالية المعاصرة ، الامبرialisية ، هي بالدرجة الاولى رأسمايلية الدولة الاحتكارية ، وتسعى البرجوازية الاحتكارية الى الاخذ بعين الاعتبار مستوى تطور القوى المنتجة المعاصر ، ومتطلبات الثورة العلمية التكنيكية ، وخصائص النضال الطبقى على النطاق العالمى ، ونجاحات بلدان الاشتراكية ونضالها ضد نظام الرأسمالية العالمى وتعاظم المعارك الطبقية في العالم الرأسمالي نفسه .

ان الاقتصاد ، والحياة الاجتماعية ، في ظل الرأسمالية تضبطهما السوق الرأسمالية وقوىتين المنافسة . وقد بقيت هذه القوى ، الى وقت ما ، الضابط الوحيد للاقتصاد الرأسمالي . الا ان تحوّل الرأسمالية ما قبل الاحتكارية الى رأسمايلية احتكارية ودخول الرأسمالية مرحلة الازمة العامة قد جعلا من هذا الضابط عاملاً غير كاف من اجل حيوية

الرأسمالية ، ناهيك عن تطورها اللاحق . وقد استندت الاحتكارات الى الدولة البرجوازية وظيفة التدخل المباشر في سياق الانتاج الرأسمالي . وفي هذا يمكن احمد اهم الاسباب ، السبب الاقتصادي ، في نشوء رأسمالية الدولة الاحتكارية التي اندرجهت فيها قدرة الاحتكارات الاقتصادية بقوة الدولة السياسية .

بالطبع ، ليس ذلك بالسبب الوحيد ، بقدر ما ان التدخل في الانتاج ليس المهمة الوحيدة لتوحيد قوة الاحتكارات مع قوة الدولة . وهذا التوحيد يضع هدفا له اغفاء الاحتكارات ، وسحق الحركة العمالية ونضال التحرر الوطني ، وانقاد النظام الرأسمالي ، وشن الغروب العدواني . الا ان حل هذه المهام غير ممكن بدون الحفاظ على الشيء الاساسي في الرأسمالية - اقتصادها ، القائم على الملكية الخاصة .

وتحقق الدولة البرجوازية دورها التنظيمي (المبرمج) ، بالدرجة الاولى ، في مجال تأثير ملكية الدولة - «اقتصاد الدولة» - الذي يعتبر نتيجة للتأميم الرأسمالي . وهو بمثابة ملكية جماعية للاحتكارات ، ليس الا . وتضطلع الدولة بقيادة المباشرة للمؤسسات العائدة لها ، ولفروع كاملة في الصناعة والنقل ، والبنوك ، وشركات التأمين ، الخ .

وأحد الهموم الرئيسية لدى الدولة هو السعى الى القضاء ، ولو جزئيا ، على ظهور الازمة العامة للرأسمالية ، وبالدرجة الاولى ازمات فيض الانتاج . ومن بين تدابير الدولة البرجوازية الموجهة الى ازالة الازمات نذكر : توسيع طلبيات الدولة للاحتكارات ، وعلى الانخفاض الطلبيات ذات الطابع العربي ؛ الاعاقة

عمداً لانتاج سلع الاستهلاك الشعبي ، وبهذا تقليل  
العرض في السوق ؛ تقديم مساعدة اقتصادية  
للاحتكارات ، وخاصة منح الاحتكارات التي تعانى من  
وضع مالى صعب قرروضاً منهاودة الشروط واعانات  
مجانية ؛ خلق احتياطيات حكومية فائقة المقايس عن  
طريق شراء البضائع الفائضة من الاحتكارات ، الخ .  
بيد ان عبء هذه الاجراءات الرئيسي يقع على كاهل  
الطبقة العاملة والجماهير الكادحة الواسعة - دافعى  
الضرائب الذين تتكون من اموالهم ، في الاساس ،  
ميزانية الدولة التي تستخدمنا من اجل تمويل الاجراءات  
المضادة للازمات .

وتنسق الدولة كذلك برنامج توظيفات رؤوس  
اموالها مع توظيفات الشركات الخاصة ، وتشرف على  
توزيع الطلبيات والخامات الناقصة ، ومع سياسة  
الاسعار ، علماً بانها تفعل ذلك لصالح الاحتكارات  
ولصالحها هى بالذات تعيد الدولة توزيع الدخل  
القومى ، وتوزع القروض والاعانات على تحديث الاعتمدة  
بواسطة السياسة الضرائية . وغالباً ما تقوم الدولة  
البرجوازية ، اكثراً فاكثراً ، بدور مؤسس فروع انتاج  
جديدة مرتبطة في المقام الاول بالتقنيك الجديد ،  
وتأخذ على عاتقها مسؤولية اعتماد الاموال الموظفة في  
هذه الفروع في المرحلة الاولى من تطورها ، وتشرف  
على الانتاج العربى وعلى اهم الابحاث العلمية .

ان التنظيم الحكومى الاحتكارى للاقتصاد تملىء  
الحياة نفسها ومتطلبات تطور الانتاج والتكنيك والعلم  
المعاصر . وتنطلب الثورة العلمية التقنية المعاصرة  
رفع مستوى تمركز الانتاج ، وتوحيد الموارد المادية

والمالية والبشرية ، وتوسيع نطاق اعمال الابحاث والتجارب . وليس بوسع الاحتکارات الخاصة غالبا ما القيام بذلك دون المساندة والمساعدة من جانب الدولة . ويشكل التحدى الاقتصادي ، الذى اطلقه نظام الاشتراكية العالمية بوجه الرأسمالية ، اهم عامل يحفز التنظيم الحكومى الاحتکارى . فمن اجل البرهنة على الحيوية في المنافسة الاقتصادية بين النظمتين تبحث الدولة البرجوازية عن تدابير لاستحداث الانتاج وزيادة وتيرات تطوره .

ولكن ، مهما كان دور التنظيم الحكومى بالغا في ظل الرأسمالية فان هذا التنظيم لا يغير ، مع ذلك ، جوهر الامبریالية ، ولا يزيل الاستثمار ، ولا يقضى على تشويش السوق والصراع التنافسى وفوضى الانتاج . وتشهد على ذلك بصورة مقنعة مظاهر كآزمات فيض الانتاج في الولايات المتحدة الاميركية في ازمنة ما بعد الحرب ، والازمات النقدية والتضخم ونمو الاسعار في عدد من البلدان الرأسمالية ، وازمات موازين التجارة والمدفوعات ، وافلاسات البورصة والعديد غيرها ، وتسرب الذهب من الولايات المتحدة ، الخ . وقد تبدى عجز التنظيم عن القضاء على الانشلال المزمن لجزء من القدرات الانتاجية وعلى البطالة ، وضمان وتيرات ثابتة لنمو الانتاج . ويلاحظ في البلدان الرأسمالية الرئيسية هبوط في وتيرات الانتاج الصناعي .

وتضيف رأسمالية الدولة الاحتکارية الى التنظيم الاقتصادي تنظيما اجتماعيا . فالمجتمع البرجوازى يولي اهمية خاصة لتنظيم العلاقات بين العمل والرأسمال ،

علما بانه يفعل كل ذلك في صالح الرأسماليين بالطبع . وتحاول الدولة البرجوازية ، لدى تحقيق التنظيم الاجتماعي ، اجراء مصالحة بين امرين يستحيل التوفيق بينهما في ظل الرأسمالية - الرأسماł والعمل ، وبهذا بالذات الحفاظ على نظام الاستثمار الرأسماł . وهى تضطر احيانا الى العد بعض الشيء من مطامع الاحتكاريين المفرطة ، واجبارهم على التنازل للعمال فى حالة ما ، وبهذا تخفيف او كبح النزاعات الفعلية بين العمل والرأسماł . وهى تستخدم على نطاق واسع تكتيك المناورة والدیماغوجية الاجتماعية ، الامر الذى لا يعيقها مع ذلك في ممارسة الضغط على الطبقة العاملة ليس فقط بالطريقة الاقتصادية بل وغير الاقتصادية ايضا ، اي الطريقة التعسفية البختة (الجيش ، الشرطة ، المحاكم) ، وكذلك بواسطه شبكة التأثير الایديولوجي ، وتجبرها على العمل من اجل ارباح الاحتكاريين .

ان رأسماłية الدولة الاحتكارية تعقد ، بالطبع ، وتصعب النضال الثورى للطبقة العاملة ، اذ يتربع على العمال ، والعالمة على هذا النحو ، ان يتعاملوا مع القوة الموحدة التابعة للاحتكارات والدولة . ومن المستحيل على المرء ان لا يرى ، في الوقت نفسه ، ان تأميم القطاع العام في الاقتصاد الرأسماł ، والبرمجة الاقتصادية وغيرها التي تعكس مصالح الاحتكارات الفعلية وستراتيجيتها الاقتصادية والسياسية ، تشكل بعد ذاتها شهادة مقنعة على التهافت الاقتصادي والسياسي للرأسمالية . وتقرع الاشتراكية ابواب العالم الرأسماł بكل اصرار . والحياة نفسها ومتطلبات

تطور الاقتصاد المعاصر تجبر البرجوازية على التراجع ، بدرجة معروفة ، عن «حق الملكية الخاصة» المقدس ، وعلى انشاء «اقتصاد الدولة المبرمج» . وعلى الرغم من ان هذا الاقتصاد يبقى اقتصادا رأسماليا فان مجرد نشوئه يعني ان الرأسماليين غير ضروريين كمنظرين للإنتاج ، وانهم طفيليات في جسم المجتمع . هذا ، بالإضافة الى ان «اقتصاد الدولة» يشكل مقدمة مادية مباشرة للاشتراكية ، ذلك لانه يمكن تحويله باشدة سهولة ودون اي عناء الى ملكية اشتراكية نتيجة للثورة الاشتراكية .

والتنظيم الاقتصادي والاجتماعي لا يحل على الاطلاق تناقضات الرأسمالية المعاصرة ، وخاصة تناقضات العمل والرأسمال المعاصرین بل على العكس تكتسب هذه التناقضات طابعا يزداد حدة وعمقا .

## الجوهر الانساني للرأسمالية المعاصرة

يزعم ايديولوجيو وساية الطبقة البرجوازية ان الرأسمالية المعاصرة تتقدم نحو مجتمع «الخير العميم» و«الاستهلاك العالى» . وهم «يتناسون» ، في هذا الصدد ، تدقیق القول نحو اي شخص ونحو اي استهلاك وخیر توجه الرأسمالية عنایتها . فمن المعروف عامة انه يوجد في ظل الرأسمالية الشخص المالک لوسائل الانتاج ، البرجوازي ، والشخص الكادح .

فالملاكون الكبار حفنة ضئيلة ، ولكنهم الاسياد الحقيقيون للعالم الرأسمالي . ونحوهم بالذات ، نحو

رفاههم واستهلاكهم العالى ينصب اهتمام ايديولوجىي البرجوازية . ويحتل الملاكون الكبار المواقف المسيطرة في الاقتصاد والحياة السياسية والروحية وتتمرّكز في ايديهم القيم المادية والروحية الضخمة . وقد كتب رايت ميلز العالم الاجتماعى الاميركى ، في كتابه «النخبة السائدة» (عام ١٩٥٩) ، يقول انه يوجد في قمة المجتمع الاميركى ١٢٠ عائلة بدخل يربو على المليار دولار في السنة ، و ٣٧٩ شخصا بدخل يزيد على ٥٠٠ الف دولار سنويا ، في حين ان حوالى ٤٧٪ من العائلات يتراوح دخلها بين ٣ و ٧,٥ الف دولار في العام ، وحوالى ٣٦٪ بدخل سنوى يقل عن ٣ الف دولار في السنة .

وفي عام ١٩٧٣ كان الاحتكاريون الكبار في الولايات المتحدة الاميركية ، الذين يشكلون واحدا بالمئة من عدد السكان ، يملكون ٦٠٪ من الثروة الوطنية ؛ وفي بريطانيا كان هذا الواحد بالمئة من السكان يملك نصف الثروة الوطنية . وانه لأمر طبيعى ان تكون في حوزة مالكى الرأسمال امكانيات لامحدودة من اجل تلبية مطالبهم الى غالبا ما تتسم بطابع النزوات والاهواء الجامحة . وقد فاق اصحاب الملايين في اميركا المعاصرة بت Benderهم واسرافهم حتى ملوك وامراء الماضي . وهم ينفقون مبالغ خيالية على انشاء وتأثيث مبانى اقامتهم ، وعلى اليخوت الفاخرة وسفن الحديد والقطارات والطائرات الخاصة ، الخ .

فمن اين ، اذن ، تأتى هذه المبالغ الطائلة ؟ ان الحصول عليها بالعمل الشريف امر مستحيل على الاطلاق : فقد حسب مثلا انه من اجل اختزان ثروة

جماعية روکفلر او ميلون او ديبون يترتب على العامل الاميركي الحسن الاجرة ان يدخل اجرته طوال مليون عام تقريباً . ان المصدر الوحيد لممتلكات الاختكاريين هو استثمار الكادحين ، وهو استثمار معاد للانسانية من حيث جوهره ولا يمت الى طبيعة الانسان بصلة ، ولا لغايته السامية ومكانته في الحياة .

ان ارباح الاختكارات تتعاظم ، اما حصة الطبقة العاملة من الدخل القومى فهى في تقلص مستمر . ففى النصف الثاني وحده من عام ١٩٧٣ انخفضت القدرة الشرائية للعائلة الاميركية ١٢,٤٪ ، في حين ارتفعت ارباح الاتحادات الاختكارية عام ١٩٧٣ بنسبة ٢٧٪ وبلغت ٧٠,٥ مليار دولار . لا ريب ان حجم موارد العيش التي تتلقاها الطبقة العاملة في عدد من البلدان الرأسمالية المتطرفة (الولايات المتحدة الاميركية ، جمهورية المانيا الاتحادية ، بريطانيا ، ايطاليا ، فرنسا وغيرها) يكون مرتفعاً الى حد لا يأس به من حيث التعبير المطلق او المادى كما يقال ، الامر الذى يؤمن مستوى معيشياً رفيعاً لقسم معين ، واحياناً كبيراً ، من الكادحين . بيد انه يجب ان لا ننسى ان مستوى الاستهلاك العالى هذا يصاحبه فقر للقسم الآخر من كادحى هذه البلدان ، وكذلك الفقر المدقع الفظيع والنقص في التغذية والاممية لدى السواد الاعظم من سكان البلدان التي تكون متخلفة في تطورها لهذا السبب او ذاك . وحتى في بلد غنى للغاية كالولايات المتحدة الاميركية يوجد ٢٥ مليون اميركي يعيشون في ظروف الفقر . زد على ذلك ان اناساً في عدده من

مناطق هذا البلد يعانون من الجوع . ثم ماذا يسعنا القول عن مستوى الاستهلاك في البلدان الضعيفة التطور التي يقل "متوسط الدخل القومي فيها ، بالنسبة للفرد من السكان ، مرات عديدة عما هو عليه في الولايات المتحدة الاميركية ؟

ففى حين ان الدخل للفرد من السكان في الولايات المتحدة الاميركية قد بلغ ٤٥١٠ دولارات عام ١٩٧٢ ، فقد وصل فى فولتا العليا الى ٥٢ دولارا فقط ، وفي نيجيريا الى ٦٧ ، وفي الهند الى ٧٧ وفي السودان الى ٩٠ ، الخ .

وفي الولايات المتحدة الاميركية ملايين الزنوج يتعرضون للاستثمار الفظيع ، وللاستعباد السياسي والروحي . ووفق المعطيات التقريبية وغير الكاملة حصلت احتكارات الولايات المتحدة الاميركية في الأربعينات على ٤ مليارات دولار سنويا من الاستغلال الفاحش للزنوج .

وفي عدد من البلدان الرأسمالية المتطرفة في اوروبا الغربية يعيش نفس العيشة الحقيرة ، شأن الزنوج في الولايات المتحدة الاميركية ، ملايين العمال المهاجرين الذين غادروا بلادهم ، وعائلاتهم واقرباءهم أحيانا ، من أجل مجرد كسب لقمة العيش . وهم يتعرضون في بلدان اقامتهم للاستثمار الوحشى والتمييز العنصري ، وهم محرومون من اية حقوق سياسية . ومع انهم يقومون بأشقي وخطر العمل فان اجرتهم لقاءه اقل من اجرة العمال المحليين .

والحياة الانسانية الحقيقية هي مجرد حلم فقط يراود مخيلة ملايين العاطلين عن العمل الذين رمتهم

الامبرالية خارج دائرة الانتاج فحرمتهم بذلك من امكانية اظهار قدرتهم على العمل التي تعتبر اهم واعمق مظاهر من مظاهر الكائن البشري . ويوجد في بلدان الامبرالية حوالي ١٥ مليون عاطل كليا عن العمل وعشرات الملايين من العاطلين جزئيا . فعلى سبيل المثال كان يوجد في الولايات المتحدة الاميركية وحدها عام ١٩٧٥ (وفقا لاحصاءات رسمية ولكنها منقصة التقدير بالطبع) ٧٨٠٠ الف عاطل عن العمل ، علما بان نسبة العاطلين عن العمل بين «الملونين» من العدد الاجمالي تفوق بمرتين نسبتهم بين «البيض» . والبطالة مرتفعة بوجه خاص في اوساط الزنوج . فان نصيب هؤلاء المنبوذين من جانب مجتمع «الاستهلاك العالى» هو الفقر المدقع وانهيار القوى الجسدية والعجز الروحي . ويزداد التضخم باستمرار ويرتفع مستوى غلاء المعيشة . ففى غضون عشر سنوات (١٩٥٧ - ١٩٦٧) ازداد غلاء المعيشة في الولايات المتحدة الاميركية ١١ بلدا في اوروبا الغربية من ١٨,٧٪ الى ١٠٠٪ . وفي عام ١٩٧٣ وحده ارتفع الغلاء في الولايات المتحدة بنسبة ١٩,٥٪ (في حين ان اجرة العمل لم تزد سوى ٤٪) . وتقل "قيمة النقد وترتفع اسعار سلع الاستهلاك وتنخفض المداخيل الفعلية لدى الكادحين .

وليس لنمو الضرائب من نهاية . ففى الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا والمانيا الاتحادية وفرنسا وايطاليا تسحب الدولة ، عن طريق فرض الضرائب ، ٣٠ - ٣٥٪ من الدخل القومى ، علما بان عبء الضرائب الاساسي يقع على كاهل الكادحين . فكادحو بريطانيا ،

مثلا ، يفقدون بين ٣٦٪ و ٢٥٪ من مداخيلهم على شكل ضرائب ، اما في المانيا الاتحادية فحوالي ٣٦٪ . وبغية الحصول على اقصى الارباح يعمد الاحتكاريون الى تشديد العمل وتعجيل وتيراته ، الامر الذى يمارس كذلك تأثيرا سلبيا على الانسان الكادح ، اذ ان جسمه تستنفذ قواه وهو يشيخ قبل الاوان ، وتزداد الاصابات اثناء الانتاج وعدد الامراض المهنية وكذلك التشوشات النفسية ، وهى امور غدت في العالم الرأسمالي كارثة اجتماعية حقيقة . ففى الولايات المتحدة الاميركية ، مثلا ، يصاب مليونا شخص سنويا بعاهات نتيجة لحوادث العمل البليغة ؛ ويحتل نصف عدد اسرة المستشفيات مصابون بامراض نفسية ؛ علما بان الحاجة الى التطبيب لا تلبى سوى بنسبة ٥٦٪ .

ولا تولى الرأسمالية الاهتمام اللازم بصحة الكادحين . فالمساعدة الطبية هنا لا تقدم ، كقاعدة عامة ، سوى لقاء اجرة ، وهى اجرة عالية جدا كما هو معلوم . فالعائلة الاميركية ، مثلا ، تنفق سنويا زهاء مقدار معاشها الشهري في المعدل على اجور المساعدة الطبية . ويعانى كادحى البلدان الرأسمالية من حاجة ماسة للمسكن ؛ وضمان الشيخوخة يكون هنا في حالة يرثى لها .

والطبقات السائدة ، باحتكارها الحق في النشاط الفكري ، تستبعد انسان العمل فكريا ، وتقلص امكانياته في الوصول الى مجالات التعليم والعلم والثقافة . وهى لا تهتم بالتطور الفكري للكادحين الا بالقدر الذى يتتوافق فيه ذلك مع مصالحهما

الخاصة ؛ لذلك تحاول حصر تعلییم اطفال العمال والفلاحين بالتعليم المهنی فقط بحيث يكون نصیبهم الوحید هو العمل لصالح رب العمل .

ويبرز الجوهر اللانسانی للامبریالية بوجه خاص في ابشع مظاهر الرأسمالية المعاصرة کاشاعة العسكرية في الاقتصاد . ان قیما هائلة ، تصنعها ايدی وعقول اناس العمل ، تستخدم بازدياد مطرد لا من اجل تحسین معيشتهم بل من اجل انتاج ادوات رهيبة للقتل والتخریب . فالنفقات الحربية للولايات المتحدة الامیرکية ، مثلا ، خلال السنوات العشرين الاولی بعد الحرب فاقت بـ ٤٨٠ مرة نفقاتها الحربية خلال العقدين اللذین سبقا الحرب العالمية الثانية . وببلغت النفقات الحربية للولايات المتحدة الامیرکية خلال عشر سنوات (من عام ١٩٥٩ لغاية عام ١٩٦٨) اکثر من ٥٥١ مليار دولار (وهذا المبلغ يفوق باکثر من ١٥ مرة حجم مجمل الدخل القومي لعام ١٩٦٧ في بلد كالهند) ، كما بلغت عام ١٩٧٢ وحده ٨٣٤٠٠ مليون دولار .

اما بالنسبة لحلف الناتو العسكري السياسي العدواني کكل فان نفقاته خلال ٢٠ عاما من وجوده قد بلغت رقما ضخما : حوالي ١٣٠٠ مليار دولار . وفي عام ١٩٧٢ وصلت هذه النفقات الى اکثر من ١١٤ مليار دولار ! وهذا يعني انفاقا هائلا للطاقة والعمل ولقيم وموارد مادية ضخمة كان يمكن توجيهها نحو غایات ابداعية . والكل يعلم ان هذه المئات من مليارات الدولارات قد سُحبـت من جيوب دافعـي الضرائب ، اي سُلـبت من الكادحين في البلدان

الاعضاء في حلف الناتو ، وكذلك ، من شعوب البلدان النامية التي تنهبها بلدان الامبراليية بصورة لا تعرف الرحمة . وهذه المبالغ كافية ، في حال استخدامها ، من اجل تلبية الكثير من حاجات السكان الاقتصادية والاجتماعية كتأمين المساكن وازالة الاكواخ ، وتطبيق الخدمة الطبية المجانية والتعليم المجاني بجميع مراحله ، والقيام على نطاق واسع ببناء المدارس والمستشفيات وغيرها من المؤسسات الاجتماعية والثقافية ، وتحسين الضمان المادى في سن الشيخوخة ، ويبلغ تقدم سريع في تطوير العلم والتكنيك العالميين ، واستقصاء الفضاء ، وضبط المناخ ، واستثمار ثروات المحيط العالمى ، وفي الكثير غيرها من المجالات .

الا ان ذلك امر مستحيل في ظروف الامبراليية ، اذ ان бизنس العسكري هو اكبر واضمن بزنس لدى الاحتكارات .

ان المنجزات العلمية التكنيكية المعاصرة تفتح آفاقا لا سبق لها أمام زيادة الرفاهية المادية والمستوى الثقافي للانسان الكادح . بيد ان الاحتكارات لا تعمل فقط على عرقلة استخدام منجزات العقل البشري لما فيه خير الانسان ، بل غالبا ما توجهها ضد الانسان محوّلة ايها الى ادوات فظيعة للحرب الساحقة والماحقة .

وتتمرّن في ايدي الاحتكارات الكمية الاساسية من اعمال البحث العلمي العصرية المعقدة والرفيعة الثمن ؛ ومن الطبيعي ان تملك الاحتكارات ايضا نتائج هذه الاعمال التي تستخدمنها من اجل تأمين

الارباح الاحتكارية والاستيلاء على الاسواق .. والسرية المطلقة في الابحاث العلمية ، والتي يعود سببها الى الصراع التنافسي ، تخلق المصاعب بوجهه تبادل الانباء العلمية ، وتوازية في العمل ، وبهنا تؤدي الى انفاق المبالغ وهدر جهود العلماء الابداعية بصورة غير مجدية . وتضع الاحتكارات الآلاف العديدة من الاختراعات والاكتشافات الهامة على الرف بانتظار الزيادة الضرورية في «قيمتها التجارية» . فالانتاج الواسع النطاق لمادة النايلون ، مثلا ، لم يباشر به الا في عامي ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ، اي بعد مرور ١٤ عاما على اختراعه (عام ١٩٣٢) .

ينطوى استخدام العلم والتكنيك للاغراض العربية على خطر خاص بالنسبة للانسان . ان اكثرا من ثلثي العلماء والمهندسين الاميركيين وحوالى ثلاثة اخماس زملائهم البريطانيين يستغلون في قضائيا ترتبط بغراض حربية . و٧٠٪ من الاموال المخصصة لمجمل الاغراض العلمية في الولايات المتحدة الاميركية تنفق على ابحاث ذات طابع حربي .

وجاء في الوثيقة الاساسية التي اصدرها مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمي في موسکو (١٩٧٩) ان الرأسمالية تستخدم الثورة العلمية التكنيكية من اجل زيادة الارباح وتشديد استثمار الكادحين .

ان الثورة العلمية التكنيكية تعجل من عملية اضفاء الطابع الاجتماعي على الاقتصاد ، الامر الذي يؤدى في ظروف سيطرة الاحتكارات الى نمو نطاقات النزاعات التناحرية الاجتماعية وتفاقمها . ولا تختتم

فقط التناقضات القديمة للرأسمالية بل وتولد تناقضات جديدة ايضاً . وهى بالدرجة الاولى التناقض بين الامكانيات المنقطعة النظير التي توفرها الثورة العلمية التكنيكية ، وبين العراقيل التي تضعها الرأسمالية في طريق استخدامها لصالح المجتمع بأسره ، اذ توجه جزءاً كبيراً من الاكتشافات العلمية وموارد مادية ضخمة نحو الاغراض الحربية ، وتبذير الشروط الوطنية . وهى كذلك التناقض بين الطابع الاجتماعى للانتاج الحديث والطابع الحكومى الاحتياطى لتنظيمه . «ما نقصد هنا ليس مجرد نمو للتناقض بين العمل والرأسمال بل وتعيق للتنافر بين مصالح السواد الاعظم من مواطنى الامة والطغمة الماليية .

وهكذا ، فان الرأسمالية المعاصرة لانسانية من حيث جوهرها ، وهى ضد الانسان الكادح .

فain المخرج ، اذن ؟ المخرج وحيد : **الاطاحة** **الثورية بالرأسمالية واقامة المجتمع الاشتراكي** . وانها لأنية اكثـر من اي وقت مضـى كلمـات ليـنين الـبوئـية : «والحال تـنظر الاشتراكـية اليـنا الآـن عـبر جـمـيع نـوـافـذ الرـأـسـمـالـيـة المـعـاـصـرـة ، والـاشـتـراكـيـة تـرسـمـ معـالـمـها مـباـشـرة ، عمـليـا ، من كل تـدبـير كـبـير يـشكـل خطـوة إـلـى اـمام عـلـى اـسـاس هـذـه الرـأـسـمـالـيـة الـاحـدـث عـهـدا»\* . وضرورـة الاشتراكـية يـملـيـها مجـمـلـ

---

\* ليـنين . المؤـلفـاتـ الكاملـةـ ، المـجلـدـ ٤ـ ، صـ

سير العملية التاريخية المعاصرة ومتطلبات التقدم الاجتماعي والعلمى التكنىكى .

لقد شقت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى فى روسيا الطريق امام البشرية نحو المستقبل الاشتراكى ، وارستت بداية العهد الجديد ، عهد انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية .

---

## الفصل الثاني

# عصرنا هو عصر انتقال البشرية من الرأسمالية إلى الاشتراكية

## ١ - المحتوى الاساسي للعصر الراهن

المجتمع المعاصر عبارة عن لوحة معقدة للغاية من التشابك والتفاعل والنضال بين مختلف التكوينات والانماط الاجتماعية الاقتصادية ، و مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية ، والامم والدول . ان قسما كبيرا من البشرية يبني الاشتراكية والشيوعية . وبين البلدان غير الاشتراكية توجد بلدان ذات رأسمالية متطرفة ، امبريالية ، وبلدان ما تزال في مراحل ما قبل الرأسمالية من تطورها ، الخ . كما لا يزال ملايين الناس ، يرزحون تحت نير الاستعمار . ان المجتمع في المرحلة المعاصرة من تطوره يتتصف بمفهوم «العصر الراهن» .

لقد بات ايديولوجيو البرجوازية الآفلة عن مسرح التاريخ ، والذين اعمتهم مصالحهم الطبقية ولا يملكون

اسلوبها علمياً في المعرفة ، باتوا عاجزين عن فهم كنه تنوُّع وتعقد الاحداث الاجتماعية لزماننا . فبعضهم من يقول مباشرة ان تحديد طابع عصرنا وتعيين الاتجاه الذي تسير فيه البشرية المعاصرة امر مستحيل لأن الاحداث الاجتماعية متقلبة لا تقبل التحديد كما يزعمون ، ولا تخضع لاي تقييم موضوعي ما او غير متحيز . ويحاول آخرون البرهنة على ان طابع العصر الراهن يحدُّد بالاكتشافات «الטכנيكية» ، وخاصة باكتشاف الطاقة الذرية . وفي رأى علماء الاجتماع هؤلاء ان القنبلة الذرية (كذا !) هي مركز الصدارة للعصر الراهن ، اما بالنسبة للعصر نفسه فيطلقون عليه القاب «قرن التكنيك» و«قرن السيفيرنيتيك» و«قرن القنبلة الذرية» الخ . مع العلم بأنه لا يجوز ان ننسب تطور المجتمع الى التكنيك والاكتشافات التكنيكية رغم أنها تلعب ، وخاصة في ظروف الثورة العلمية التكنيكية المعاصرة ، دوراً ضخماً في التطور الاجتماعي . ولدى تقييم دور التكنيك يجب ان لا يغيب عن البال ان تأثيره على العملية التاريخية لا يمارسه بنفسه بل من خلال نظام معقد من العلاقات الاجتماعية ، وبالدرجة الاولى علاقات الانتاج السائدة في المجتمع . وهذه العلاقات والقوى الطبقية التي تقف وراءها هي التي يجب ان تؤخذ بالحسبان لدى تحليل عصرنا الراهن .

و كانت الماركسية - الليينية ، وحدتها ، القادره على كشف طابع العصر الحديث . وقد كتب لينين يقول ان محتوى العصر الجديد للتاريخ العالمي ، والذى بدأ ، هو «القضاء على الرأسمالية وآثارها ، وارسائه

اسس النظام الشيوعى . . . . \*

وكان لينين يعتبر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية لا انتقالا من دفعه واحدة بل حقبة تاريخية كاملة من الصراع بين النظمتين الاجتماعيين المتعارضين . وكان محقاً في اعتبار **الطبقة العاملة العالمية** حاملة لواء هذا العصر الجديد ، وربط بدايته بشورة اكتوبر الاشتراكية العظمى التي اقامت دكتاتورية الطبقة العاملة لأول مرة في العالم . وكان لينين على قناعة بأن دكتاتورية البروليتاريا سوف تتحول من دكتاتورية وطنية ، انتصرت بادئ الامر في بلد واحد بمفرده ، الى دكتاتورية امية ، عالمية وبان شعوباً ودولـاً جديدة وجديدة ستسليك طريق التطور الاشتراكي تدريجياً .

ان التعريف اللينيني للعصر الراهن يؤكدـه مجمل سير تطور البشرية المعاصرة وممارسة نضال الشعوب الشورى التحررى . وهو يعكس الاحداث الحاسمة في زماننا - انتصار الثورة الاشتراكية في مجموعة كبيرة من البلدان ، وتحوّل الاشتراكية الى نظام عالمي جبار ، وحالة الانهيار والازمات التي تعانى منها الامبرialisـة ، وتداعـي النـظام الاستعمـاري .

### ثورة اكتوبر بداية العصر الراهن

لقد دخل يوم ٢٥ اكتوبر (٧ نوفمبر حسب التقويم الجديد) من عام ١٩١٧ ، ذلك اليوم الذي اطاح فيه العمال الروس ، بالتحالف مع الفلاحين الكادحين ، بسلطـة

---

\* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤١ ، ص ٤٢٥ .

البرجوازية في روسيا واقاموا سلطتهم هم - دكتاتورية البروليتاريا ، دخل هذا اليوم التاريخ باعتباره فاتحة العصر الراهن ، عصر الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية . وقد كتب لينين بهذا الصدد يقول : «... يحق لنا أن نفتخر ونحن نفتخر فعلاً بأنه كان من حظنا البدء ببناء الدولة السوفيتية ، والبدء هكذا بعهد جديد في التاريخ العالمي ، عهد سيطرة طبقة جديدة مضطهدة في جميع البلدان الرأسمالية وتسخير في كل مكان نحو حياة جديدة ، نحو الانتصار على البرجوازية ، نحو دكتاتورية البروليتاريا ، نحو تحرير الإنسانية من نير الرأسمال ، من الحروب الامبرialisية» \* .

لقد كان اكتساب حق السعادة في بناء المجتمع الجديد أمراً شاقاً للغاية . فالنضال العصي ضد الحكم المطلق والملاكين والرأسماليين في أزمنة ما قبل الثورة ذهب بارواح العديد من خيرة ابناء الشعب الكادح والحزب . وبذل حزب الشيوعيين الكثير من القوى والعمل من أجل رص صفوف الطبقة العاملة وجميع القوى الثورية ، وتنظيمها ، وتنميتها ، ودفعها إلى النضال ضد النظام الاستثماري . لقد اجتاز العمال والفلاحون الروس تجارب قاسية في مدرسة النضال قبل أن يحققوا الثورة بقيادة الحزب . وكلفهم مزيداً من الجهد الكبير والضحايا البالغة الذود عن اعظم مكتسبات اكتوبر ، الذود عن اول دولة للكادحين في العالم . وما زالت الجهود الباسلة للحزب الشيوعي والطبقة العاملة والشغيلة في البلاد السوفيتية في النضال ضد النظام

---

\* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٤ ، ص ١٤٨ .

القديم تعتبر حتى يومنا هذا مثلاً ملهمًا لجميع المناضلين في سبيل المستقبل الجديد ، الاشتراكي .

وثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى لم تعمل فقط على الاطاحة بنظام الاستثمار والاضطهاد ، وارسال بداية التحرر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للجماهير الشعبية ، وانتشال البلاد من لجة الحرب الامبرialisية الدموية ، بل وهزت عالم الرأسمالية حتى جذوره .

لقد كانت ثورة اكتوبر بعد ذاتها ثورة روسية ، ثورة انتصرت في بلد بمفرده ، وهي تعتبر ، من هذه الناحية ، شأنًا داخلياً من شؤون شعوب روسيا . بيد أنها تخطت بعيداً حدود بلد بعينه ، ومارست تأثيراً ضخماً على مجلمل سير التاريخ العالمي ، وطرحت وحلت بنجاح جملة من المسائل الاجتماعية التي ما تزال تعمل على حلها في الوقت الحاضر ايضاً الطبقة العاملة والجماهير الكادحة في البلدان اللااشتراكية ، وكانت بمثابة تأكيد عمل لصواب الماركسية - اللينينية ، وأفانت الطبقة العاملة والkadحين في جميع البلدان بتجربة لا تقدر بثمن ، تجربة النضال ضد الرأسمالية ، وفي سبيل الاشتراكية ، وشققت امام البشرية الطريق نحو المجتمع الجديد ، الاشتراكي . ووضعت ثورة اكتوبر حداً لسيطرة الرأسمالية المطلقة على الأرض ، وشطرت العالم الى نظامين متعارضين - الرأسمالي والاشتراكي ، فتغير بنتيجة ذلك كل مجرى تطور التاريخ البشري .

ومن أجل اعطاء فكرة عن التغيرات التي شهدتها البشرية بعد ثورة اكتوبر نورد فيما يلي مقارنة عن

الوضع في العالم في اواسط عام ١٩٧٤ وعام ١٩١٩  
(راجع ص ٥٤ - ٥٥ . الناشر .)

وبانتصار ثورة اكتوبر دخلت الرأسمالية مرحلة الازمة العامة المرتبطة بتفاقم جميع تناقضاتها وبتكلّص دائرة الاستغلال الرأسمالي . واخذت تتسع امكانيات النضال الثوري لكادحى العالم بأسره اذ وجدوا في شخص اول دولة للطبقة العاملة حليفا جبارا ومساعدا مأمونا .

وكان انتصار ثورة اكتوبر حافزا قويا لتطور الحركة العمالية العالمية . فبفعل تأثيرها المباشر هب عمال العديد من البلدان في مختلف اصقاع الكره الارضية الى النضال ضد مستثمريهم . وراحث الثورات تندلع في المانيا وهنغاريا النمساوية وغيرهما من البلدان ، وانتشرت النضالات الثورية الجماهيرية للبروليتاريين في اوروبا واميركا .

وسيرا على مثال الحزب الذي انشأه لينين وتحت تأثير انتصاره انبثقت عشرات الاحزاب الماركسيّة في اوروبا وآسيا وافريقيا واميركا ، التي توحدت تنظيميا وفكريا في الاممية الثالثة ، الشيوعية . لقد ارست هذه الاممية بدایة الحركة الشيوعية المعاصرة وكانت بالنسبة لشيوعيي العالم بأسره خير مدرسة للنضال الثوري ضد البرجوازية .

وايقظت ثورة اكتوبر شعوب البلدان المستعمرة والتابعة ، فقد اجتاحتها موجة عارمة من ثورات التحرر الوطني . وبهذا بالذات وُضعت بدایة انهيار النظام الاستعماري للامبرialisية وُخلقت المقدمات من اجل تحرير الشعوب المضطهدة تحريرا تاما .

عام		الاراضى	ن <sup>و</sup> النسبة المئوية المحبوع	ن <sup>و</sup> النسبة المئوية المحبوع
١٠٠	١٣٥,٨	١ - العالم بأسره . . . . .		
		بما في ذلك:		
١٦,٠	٤١,٧	البلدان الاشتراكية . . . . .		
٨٤,٠	١١٤,١	البلدان الأخرى . . . . .		
٤٤,٤	٦٠,٣	٢ - الدول الامبرالية الكبرى (اميركا، انكلترا ، فرنسا ، المانيا الاتحادية (المانيا عام ١٩١٩) اليابان ، ايطاليا) ومستعمراتها . . . . .		
٧٢,٠	٩٧,٨	٣ - جميع المستعمرات وشبه المستعمرات		
		٤ - البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة السابقة التي غدت دول ذات سيادة بعد عام ١٩١٩ (باستثناء الدول الاشتراكية) . . . . .		

عام ١٩٧٤				١٩١٩		
السكان (ارقام تقديرية)		الاراضي		السكان (ارقام تقديرية)		
نسبة المجموع	مليون نسمة	نسبة المجموع	مليون كلم	نسبة المجموع	مليون نسمة	
١٠٠	٣٩٤٠	١٠٠	١٣٥,٨	١٠٠	١٧٧٧	
٣٢,٠	١٢٠٩	٢٥,٩	٣٥,٢	٧,٨	١٣٨,٠	
٦٨,٠	٢٦٨١	٧٤,١	١٠٠,٦	٩٢,٢	١٦٣٩	
١٤,٣	٥٦٣	٨,٦	١١,٧	٤٨,١	٨٠٠	
٠,٩	٣٧	٣,٣	٤,٥	٦٩,٤	١٢٣٥	
٤٧,٣	١٨٦٣	٥٨,٧	٧٩,٧			

وعليه ، فنتيجة لثورة اكتوبر الاشتراكية او تحت تأثيرها المباشر تكونت القوى الثورية الاساسية لعصرنا الراهن ، وأرسىت ، وهذا الأهم ، ، بداية توحيدها في عملية ثورية عالمية واحدة تحطم وتنسف الامبرالية . ولنتحدث فيما يلي عن العملية الثورية العالمية في المرحلة الراهنة وعن قواها المركبة الأساسية .

## العملية الثورية العالمية وقوتها المركبة الأساسية

ان العملية الثورية العالمية المعاصرة - عملية انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية - هي بمثابة تيار موحد للنضال ضد الامبرالية تصب فيه :

جهود شعوب النظام الاشتراكي التي تبني الاشتراكية والشيوعية ؟

الحركة الثورية للطبقة العاملة في بلدان الرأسمالية ؛ حركة التحرر الوطني ونضال الشعوب المضطهدة ضد الاستعمار ومن اجل السيادة الوطنية والاستقلال الاقتصادي والتقدم الاجتماعي .

وتشترك في كل حركة من هذه الحركات طبقات وفئات اجتماعية محددة ، وتحل كل واحدة منها مهماتها الملموسة وتستخدم طرقا ووسائل خاصة من اجل حلها ، الا انها تعمل جمیعا على نصف دعائيم الامبرالية وتجسد ، الى هذا الحد او ذاك ، تقدماً البشرية نحو المستقبل الشيوعي السعيد . ففي وحدة

القوى الثورية لعصرنا ضمانة نجاح القضية العظيمة ،  
قضية السلم والتقدير والاشتراكية .

ان شعوب بلدان النظام الاشتراكي تبني  
الاشتراكية والشيوعية فاتحة الطريق امام البشرية نحو  
المجتمع الجديد . وهى تخوض منافسة اقتصادية مع  
النظام العالمى للرأسمالية مبينة عمليا افضليات  
النظام الجديد الذى سوف تؤدى منجزاته الى ارفع  
مستوى معيشى للشغيلة فى العالم . وهى تُعتبر  
تجسيدا للقوى المادية والروحية الجباره التى تواجه  
الامبرىالية الرجعية وتقف حارسا على السلام  
والاشتراكية والتقدير .

**والطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية ،**  
باستخدامها الظروف العالمية والداخلية الملائمة (تغير  
تناسب القوى على الصعيد العالمى لصالح  
الاشتراكية ، الاستثناء العميق لدى الجماهير  
الشعبية الواسعة من سياسة الامبرىالية الرجعية ،  
الخ) ، توسيع النضال ضد تسلط الاحتكارات  
الاقتصادي والسياسي ، وفي سبيل الاشتراكية والسلم  
وامن الشعوب ، ومن اجل اجراء تحولات ديمقراطية  
واسعة . وهى ، بنسفها اسس الرأسمالية من الداخل ،  
في عقر دارها كما يقال ، تهيء وتعجل الهلاك النهائى  
للرأسمالية العالمية .

**وشعوب البلدان النامية وكذلك البلدان**  
**المستعمرة والتابعة** تناضل بعناد في سبيل الاستقلال  
السياسي والاقتصادي ومن اجل الازدهار والتقدير  
الاجتماعي ، وهى تعمل على تحطيم نظام الامبرىالية  
الاستعماري ، ونصف اقرب مؤخراته ، وحرمانه من

اهم مصادر الخامات والايدي العاملة واسواق التصريف ورؤوس الجسور الحربية ومصادر «طعام المدافع» ، كما انها تعجل عملية هلاك الرأسمالية وعملية تقدم البشرية نحو الاشتراكية .

وقد جاء في الوثيقة الختامية لمؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية الاوروبية في برلين (عام ١٩٧٦) : «ان موضع الامبراليه ، التي لم تتغير طبيعتها ، قد اضيئت بالضعف نتيجة للتطورات في تناسب القوى . ويتجسد ذلك في انها لم تعد قادرة لا على شطب المكتسبات التاريخية للاشتراكية ولا على ايقاف سير القوى التقدمية الى امام والحركة من اجل تحرر واستقلال الشعب» \* .

تقف في قلب القوى الثورية للعصر الراهن الطبقة العاملة ووليدتها ، نتاج نضالها وعملها طوال سنوات عديدة - النظام العالمي للاشتراكية ، الذي اخذ يتعول حاليا بازدياد مطرد الى عامل حاسم للتاريخ العالمي .

## ٣ - تحول نظام الاشتراكية الى عامل حاسم للتطور العالمي

لم تعد الاشتراكية ، في الوقت الحاضر مجرد علم ونظريه . انها ممارسة وواقع ايامنا هذه ، انها مجتمع حقيقي يقام على رحاب فسيحة جدا من الكره الأرضية . والاشتراكية ترسخت في الاتحاد السوفييتي وعدد من

\* «في سبيل السلام والامن والتعاون والتقدم الاجتماعي في اوروبا» . بوليتيزدات ، ١٩٧٦ ، ص ٢٨ .

بلدان اوروبا وآسيا واميركا . ونتيجة للنضال الناجح الذى تخوضه الطبقة العاملة والجماهير الكادحة نشأ النظام العالمى للاشتراكية وهو آخذ في التطور . وعمره ليس كبيرا ابدا ، وهو ينمو ، ويشتند ساعده ، ويزداد قوة . الواقع انه في حين كان يشغل عشية الحرب العالمية الثانية ١٧٪ من اليابسة فقد اصبح يشغل حوالى ٢٦٪ منها في الوقت الحاضر ؛ وفي حين كان عدد سكانه آنذاك حوالى ٩٪ من سكان الارض فقد اصبح الآن ٣٢,٢٪ . ويضم النظام العالمى للاشتراكية دولا كبيرة وصغيرة تنتشر على مسافات شاسعة في اوروبا وآسيا واميركا اللاتينية . وخلال فترة قصيرة تحولت اكتسياتها ، والتي كانت في الماضي ذات مستوى اقتصادي منخفض ، الى دول متقدمة ذات صناعة حديثة ، وبلغت ازدياد ملحوظا في المستوى المعيشى للشغيلة ، وتطورا سريعا للعلم والثقافة .

ان الطريق نحو الاشتراكية مفتوحة الان ، في عصر النمو الصاعد للقوى الاشتراكية ، امام اي بلد كان بغض النظر عن مستوى تطوره ، واينما كان موقعه الجغرافي ، وايا كان حجمه ، ومهما بلغ عدد سكانه .

## طراز جديد للعلاقات بين الدول

النظام العالمى للاشتراكية عبارة عن اسرة اجتماعية واقتصادية وسياسية لشعوب حرة سيدة تسير في طريق الاشتراكية والشيوعية ، وتوحدها جامعنة المصالح والاهداف والعرى الوثيقة للتضامن الاشتراكي العالمى . انها طراز جديد نوعيا للعلاقات

**الاقتصادية والسياسية بين الدول** ، يقوم على اساس الجامعة العميقه لمصالحها الاقتصادية والسياسية والفكريه . وتعتبر الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج الاساس الاقتصادي للتعاون الاشتراكي . وتشكل اساسه السياسي سلطة الشعب وعلى رأسه الطبقة العاملة واحزابها الماركسيه . وتعتبر العقيدة الماركسيه الليينيه اساسه الايديولوجي .

والعلاقات بين البلدان الاشتراكية هي علاقات التعاون الاقتصادي والسياسي والثقافي المتنامي باطراد والمساعدة المتبادلة اللذين يقرّان الشعوب باسم الهدف المشترك . ان المساواة التامة بين الدول كغيرها وصغيرها ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لبعضها البعض ، واحترام السيادة الوطنية وحرمة الاراضي ، والمساعدة الاقتصادية الاخوية المتبادلة ، والتعاون الوثيق في جميع ميادين الحياة الاجتماعية – تلکم هي المبادئ الاساسية للعلاقات بين البلدان الاشتراكية . وتشكل عملية التقارب التدريجي بين الشعوب ، والجارية على اساس هذه المبادئ ، سمة هامة من سمات تطور النظام العالمي للاشتراكية . وتشكل تقارب شعوب البلدان الاشتراكية وتعاونها المتبادل متنوعة .

ففي الميدان الاقتصادي تساعده بلدان الاشتراكية بعضها البعض بشتى الوسائل في انشاء صناعة عصرية ، وفي بلوغ و Tingرات عالية لنمو الاقتصاد ، وفي رفع انتاجية العمل ، وعلى هذا اساس زيادة الرفاه المادي والمستوى الثقافي للشغيلة ، وفي إعداد الاخصائيين والعاملين في الحقول العلمية .

وأخذ يتطور في الأعوام الأخيرة بين بلدان النظام الاشتراكي تعاون انتاجي مباشر ينعكس في تنسيق خطط الاقتصاد الوطني وفي تخصيص وتعاونية الانتاج ، والتي يجري تحقيقها على أساس الطوعية التامة والمساواة . ويقوم التعاون انتاجي المباشر سواء على أساس الاتفاقيات الثنائية أم المتعددة الاطراف من خلال مجلس التعاون الاقتصادي الذي أسس عام ١٩٤٩ ، وهو منظمة اقتصادية دولية للبلدان الاشتراكية الاوروبية . والتعاون الاقتصادي بين البلدان الاشتراكية يساعد على الاستخدام الأمثل لمواردها من الخامات والطاقة .

ويجري حاليا بين البلدان الاشتراكية الاعضاء في مجلس التعاون الاقتصادي تحقيق التكامل الاقتصادي الاشتراكي . وينحصر جوهره في توحيد الموارد البشرية والمادية والمالية لعدد من البلدان من أجل تأمين نهوض متواصل للإنتاج سواء في كل بلد على حدة أم في الاسرة الاشتراكية ككل . ويتسم باهمية خاصة تنسيق خطط تطوير الاقتصاد الوطني ، وتوحيد القدرة العلمية التكنيكية الكامنة لدى بلدان المجلس ، والعمل المشترك في إعداد واستخدام احدث التكنولوجيا والتكنولوجيا من أجل ضمان وتأثير عالية للتقدم العلمي التكنيكى وتكثيف الانتاج على هذا الأساس .

والتكامل هو تقريب واع ومبرمج لاقتصاديات البلدان الاشتراكية عن طريق اتقان ميكانيزم الروابط الانتاجية التكنيكية الشاملة والثابتة ، وتوسيع السوق المشتركة لبلدان الاشتراكية ، وتعزيز وتوسيع عمليات النقد والتسليف . ان التكامل هو

طريق اشاعة الاممية في مجمل حياة البشرية الاقتصادية والسياسية والروحية التي تنبأ لينين بامكانيتها وضرورتها .

وقد هيأت التكامل الاشتراكي نجاحات البناء الاقتصادي في بلدان مجلس التعاون الاقتصادي . ومن جهة اخرى استوجب هذه النجاحات ، باعتبارها في الدرجة الاولى نتيجة عمل ونضال شعوب بلدان الاشتراكية ، استوجبتها الى حد كبير علاقات التعاون والمساعدة المتبادلة فيما بينها .

ويتسع نطاق التعاون العلمي التكنيكى للبلدان الاشتراكية اتساعا متزايدا باستمرار . فقد انتشر التعاون بين معاهد البحث العلمى ، وإعداد وتدريب الاخصائين ورجال العلم من احدى البلدان في بلدان اخرى توجد فيها اكثرا الشروط ملائمة من اجل إعداد هذا الاختصاصى او العالم او ذاك . ويتيح التعاون العلمي التكنيكى تعجيل وتيرات الابحاث العلمية وتفادى الاذدواجية في العمل والاستخدام الامثل للملالكات العلمية التكنيكية والمعدات .

ويتسع التعاون السياسي للبلدان الاشتراكية الذي يتبع وضع نهج مشترك في حل اهم المسائل الاجتماعية في الحياة الدولية والداخلية على السواء ، وخصوص نضال مشترك ضد الرجعية الامبرialisية وفي سبيل السلام والاشتراكية والتقدم الاجتماعي . ويساعد في ذلك تبادل الوفود الحكومية والحزبية ، والباحثات الودية ، وتبادل المعلومات ، والاجتماعات حول مختلف القضايا .

ويتسم التعاون العسكري للبلدان الاشتراكية باهمية كبيرة في وجه الاعمال العدوانية لقوى

الامبرialisية . وينعكس ذلك في التوطيد المتواصل لمنظمة  
معاهدة وارسو واستكمالها ، والتي تعتبر درعا حصينا  
يحمى مكتسبات شعوب بلدان الاشتراكية . وفي البر  
والجو والبحر يجري التدريب المتبادل لجيوش الدول  
الحليفة ، وتعزز الاخوة القتالية لقواتها المسلحة .  
وتحقق بلدان الاسرة الاشتراكية تعاونا ثقافيا  
واسعا ، مما يساعد في تطوير كل ثقافة وطنية واغناء  
بعضها بعضا ، كما تخوض نضالا مشتركا ضد  
الايديولوجيا البرجوازية ومعاداة الشيوعية .

## توطيد الوحدة اكبر مهمة

يشكل توطيد وحدة النظام الاشتراكي العالمي على  
اساس الاممية البروليتارية شرطا زاميا لنجاحات  
بلدان الاشتراكية بصورة متواصلة . وهذه الوحدة  
لا يجمعها اي جامع بظاهر النزعه القومية الضيقه  
وشوفينية الدولة العظمى ، التي تلحق الضرر بالمصالح  
المشتركة للأسرة الاشتراكية وبمصالح الحركة  
الشيوعية العالمية .

وهذه المهمة ليست على الاطلاق وليدة الصدفة ، بل  
لها اسبابها المحددة . والحال ان تقرير الدول  
الاشترافية موضوعيا لا يتحقق على الغالب دون صعوبات  
ومشكلات .

ان تكوين وتطوير الاسرة الاشتراكية عملية مديدة  
ومعقده . وهى معقدة لمجرد كون هذه الاسرة تضم  
بلدان ذات مستوي متفاوت في تطور الاقتصاد والحياة  
الاجتماعية والثقافة ، وذات ماض تاريخي وتقاليد

وعادات شعبية مختلفة . وهى معقدة ايضا لان المقصود هنا تكوين علاقات بين البلدان لم يعرفها تاريخ البشرية من قبل ، وكل جديد ومحظوظ صعب ومعقد . هذا ، بالإضافة الى انه يترتب في اثناء تقرير الشعوب القضاء على بقايا الماضي ، وخاصة بقايا النزعات القومية البرجوازية ، وهى بقايا ذات قوة حيوية بالغة جدا . ومن هنا تبرز ضرورة تربية الشغيلة بروح الاممية البروليتارية والتضامن بين البلدان الاشتراكية . وقد قال الامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي في المؤتمر الخامس العشرين للحزب : «وبعد التأكيد بوجه خاص على اهمية الاممية البروليتارية في ايامنا هذه . انها احد المبادئ الرئيسية للماركسية-اللينينية . ومن دواعي الاسف ان البعض قد اخذ يأوّل هذا المبدأ وكأنه لم يبق من الاممية عمليا سوى النذر اليسيير . وثمة قادة ايضا يصل بهم الامر حتى الى الاقتراح بصورة سافرة بالتخلي عن الاممية . وهم يرون ان تلك الاممية التي اسسها ماركس ولينين ودادا عنها قد شاخت ، كما يدعون . وفي رأينا ان التخلی عن الاممية البروليتارية انما يعني ، في حال حصوله ، حرمان الاحزاب الشيوعية والحركة العمالية عامةً من سلاح ماضٍ ومجرب» \* .

ومما يزيد في ضرورة النضال من اجل وحدة النظام الاشتراكي العالمي ان الامبراليين يسعون بجميع السبل الى تقويض هذه الوحدة وسلخ هذا البلد او ذاك

\* بريجينيف . تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي والمهام الدورية للحزب في ميدان السياستين الداخلية والخارجية . موسكو ، ١٩٧٦ ، ص ٣٧-٣٨ .

عن الاسرة الاشتراكية . تشهد على ذلك احداث عام ١٩٥٦ في هنغاريا ، وعام ١٩٦٨ في تشيكوسلوفاكيا كذلك ، حيث حاولت القوى المعادية للثورة والقوى التحريرية بتوجيهه من الاوساط الامبرialisية في الغرب ، سلخ البلاد عن نظام الاشتراكية واعادة الاوضاع الرأسمالية اليها في آخر المطاف . وقد قدم الاتحاد السوفييتي وسائل بدنان الاشتراكية مساعدة عاجلة للشعب التشيكوسلوفاكي في الدفاع عن المكتسبات الاشتراكية ، بما في ذلك المساعدة العسكرية .

**ان الوحدة والتلاحم يضاعفان قوى الاشتراكية .**  
فكما اصبحت وحدة البلدان الاشتراكية اشد متانة كلما ازداد توحيد جهودها وثوقاً في تطوير الاقتصاد والثقافة وفي زيادة رفاه الشعوب . وبمقدار ما سيكون تعاؤنها السياسي اشد متانة بمقدار ما يستعرض الاشتراكية بمزيد من القناعة والسيطرة افضلياتها على الرأسمالية ويزداد فعالية تأثير النظام الاشتراكي على مجمل سير التاريخ العالمي .

## القوة الجبارة للتطور العالمي

لقد ولت الى الابد تلك الاذمنة التي كانت الامبرialisية فيها السيد المطلق على كوكبنا . اما الان فليس الامبرialisية ، بل القوى المناضلة ضدها وفي سبيل السلم والاشتراكية والتقدم الاجتماعي ، وبالدرجة الاولى النظام العالمي للاشتراكية ، هي التي تحدد الاتجاه الرئيسي والمحتوى الرئيسي والميزات الرئيسية للتطور العالمي . وقد اخذ التكوين الاجتماعي الرأسمالي

الجبار فيما مضى ، وتحت الضغط الجارف من جانب الاشتراكية العالمية ، ينهار ويتبلاشى تدريجيا بصورة لا مفر منها ، وان لم يكن ذلك بالسرعة المرجوة ، واخذ يحل محله تكوين جديد يجلب لكافة شعوب الارض السلام والعمل ، والحرية والمساواة ، والاخاء والسعادة .

«وليس بوسع اي انسان موضوعي المزاج ان ينكر ان تأثير البلدان الاشتراكية على سير الحوادث العالمية يزداد قوة وعمقا . وهذا خير عظيم للبشرية بمجملها ولكل من يريد الحرية والمساواة والاستقلال والسلام والتقدم» \* .

ولم يعد بالامكان في الوقت الحاضر حل اية قضية هامة ، مهما كانت ، من قضايا التطور الاجتماعي حلاً ناجحا بدون المشاركة النشيطة من جانب الاشتراكية العالمية . ان تحويل النظام العالمي للاشتراكية الى عامل حاسم لتطور البشرية يعتبر السمة المميزة الاساسية للعصر الراهن . فضلا عن انه ، مع تكاثر نجاحات النظام الاشتراكي العالمي ، سيبرز دوره بوضوح متعاظم على الدوام في الحياة الاقتصادية والسياسية والفنية للبشرية .

الا ان ذلك لا يعني ابدا ان النظام العالمي للرأسمالية ينبغي الاستهانة به على الاطلاق . فالامبرialisية تملك قوة اقتصادية وسياسية وعسكرية كبيرة ما تزال تتبع لها التدخل في شؤون مختلف

---

\* «وثائق المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي» ، صفحة 5 .

الشعوب والدول وفرض الانظمة الرجعية عليها وسحق قوى الثورة والتقدم . كما ان النزعة الرجعية لدى الامبرialisية قد ازدادت حدة ، الا ان ذلك لا يعني ان تناسب القوى في العالم قد تغير لصالحها . بل على العكس ، فان ذلك يشهد على تكاثر المصاعب والتناقضات التي تعانى منها الرأسمالية المعاصرة . ويidel التاريخ بصورة مقنعة على انه اية كانت الاساليب والوسائل التي تلجأ اليها الامبرialisية فهى عاجزة عن ايقاف مسيرة التقدم التاريخي والتأثير المتعاظم ابدا للنظام الاشتراكي العالمي .

وتمارس الاشتراكية تأثيرها الرئيسي على سير التاريخ العالمي بنجاحاتها في البناء الاقتصادي ، وبنجاحاتها في المنافسة الاقتصادية مع الرأسمالية . وقد قال لينين : «... نحن اليوم نمارس تأثيرنا الرئيسي في الثورة العالمية بسياستنا الاقتصادية ... لقد انتقل النضال الى هذا المجال على الصعيد العالمي . واذا قمنا بهذه المهمة ، كسبنا على الصعيد العالمي بصورة اكيدة ونهائية» \* .

وعلى الرغم من الظروف غير الملائمة للغاية ، التي بدأ فيها الاتحاد السوفييتي المبارأة مع الرأسمالية في المضمار الاقتصادي (التخلُّف في التطور الاقتصادي ، الغرابة الذي خلفته الحرب العالمية والاهلية ، الحصار الاقتصادي) ، تم القضاء بالجهود البطولية للشعب السوفييتي على تخلف الاتحاد السوفييتي اقتصاديا عن البلدان الرأسمالية المتقدمة . ففى حين ان حصة البلاد السوفيتية في الانتاج الصناعي العالمي قد بلغت عام

\* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٣ ، ص ٣٤١ .

١٩١٧ اقل من ٣٪ فقد وصلت في عام ١٩٣٧ الى فرابة ١٠٪ ، لقد قطعت البلاد السوفيتية خلال ما يقرب من عقدين من السنين في تطورها الاقتصادي طريقاً ترتب على العديد من بلدان الرأسمال ان تقطعه خلال مئات السنين وتحولت الى دولة صناعية جباره واحرزت الاستقلال الاقتصادي الناجز .

إثر الحرب العالمية الثانية وبعد انهاض الاقتصاد الذي خربته الحرب ، انتج الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٧٥ خمس الناتج الصناعي العالمي . ومن المهم التنويه بأن هذه النجاحات قد تم بلوغها لا عن طريق استغلال الشعب السوفيتي وشعوب أخرى ، كما جرى ذلك في عدد من البلدان الرأسمالية ، بل نتيجة لاستخدام مزايا الطريقة الاشتراكية في تسيير شؤون الاقتصاد . فهل يمكن البحث عن براهين اكثراً اقتناعاً من اجل تبيان القوة الخارقة للاشتراكية وافضلياتها على المجتمع الرأسمالي ؟

واحرزت البلدان الاشتراكية الأخرى ايضاً نجاحات جدية في البناء الاقتصادي . فنتيجة للنجاحات في تطوير الاقتصاد اخذت حصة البلدان الاشتراكية في الانتاج العالمي تزداد باستمرار . وفي حين بلغت هذه الحصة عام ١٩٥٠ حوالي ٢٠٪ فقد وصلت عام ١٩٥٥ الى زهاء ٤٠٪ ، وفي عام ١٩٧٥ الى حوالي ٤٣٪ من الانتاج الصناعي العالمي . ومما له دلالته ان تطور الاقتصاد في البلدان الاشتراكية يخدم زيادة رفاه الشعب باستمرار ونمو مستوى المادى والثقافى ، في حين ان نمو الانتاج في البلدان الرأسمالية يخدم بالدرجة الاولى مصالح حفنة ضئيلة من كبار المالكين ويزيد في اثارائهم .

ان الاشتراكية مثال ساطع بالنسبة لشعوب العالم في حل المسائل الاجتماعية السياسية . وفي واقع الحال ، اين وفي ظل اي نظام اجتماعى آخر يتم بلوغ المساواة السياسية بين جميع اعضاء المجتمع ، حيث يتمتع كل واحد منهم ، باعتباره مالك وسائل الانتاج ، بحق المساهمة في ادارة شؤون المجتمع ويحق له ان ينتخب وينتخب الى اية هيئة من هيئات السلطة ؟ واين وفي ظل اي نظام اجتماعى آخر يمكن حل المسألة الفلاحية المزمنة والتوصيل الى جعل المزارع يكبح في الارض من اجل نفسه ومن اجل مجتمعه ؟ واين وفي ظل اي نظام اجتماعى آخر يمكن حل احدى اعقد مسائل التطور البشري واكثرها حدة : المسألة القومية ، وبلوغ المساواة بين مختلف الشعوب الكبيرة والصغيرة ، الملونة والبيضاء ؟ والاشراكية مثال رائع امام العالم باسره في مجال البناء الثقافى ايضا . فالاتحاد السوفيتى ، مثلا ، الذى كان في السابق بلدا متاخفاً حوالى ٨٠٪ من سكانه اميين ، تحول الى بلد ذي ثقافة طبيعية وعالية للغاية . ان الاشتراكية تضع في خدمة الانسان الكادح كنوز البشرية الروحية التي لا تحصى .

وتحرز الاشتراكية الانتصار على الرأسمالية ايضا في الميدان الحاسم للنشاط البشري : ميدان الانتاج المادى . فمن عام ١٩٧٠ لغاية عام ١٩٧٥ كان المعدل السنوى لوتائر نمو المنتجات الصناعية في البلدان الاعضاء في مجلس التعاون الاقتصادي أعلى بمرتين مما كان عليه في البلدان الرأسمالية المتقدمة وشكل على التوالى ٩,٦٪ و ٤,٦٪ . ويحتل الاتحاد السوفيتى حالياً موقعاً متقدماً في الابحاث الفضائية ، وفي الفيزياء

النحوية ، والرياضيات ، والمعدات الالكترونية واللائلية ، والميتوارجيا ، والعتاد الصاروخى ، وبناء الطائرات ، الخ . ولهذا اهمية غير قليلة في عصرنا . ان انشاء مجتمع جديد ، وخاصة انشاء اقتصاد اشتراكي ، امر معقد للغاية . ومن الطبيعي ان تصادف في هذه القضية الجديدة والمعقدة نواقص ومصاعب ، وليس من المستبعد وقوع اخطاء . وهى بالدرجة الاولى مصاعب ذات طابع موضوعى : تخلف الاقتصاد والثقافة الموروثين عن النظام السابق ، وجود محيط رأسمالى عدائى كان الاتحاد السوفيتى يتطور ضمنه ، ضرورة النضال ضد الثورة المضادة . وتعود النواقص والصعوبات الى اخطاء ذاتية ينحصر جوهرها في تجاهل متطلبات القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعى ، وفي نسيان مبادئ القيادة العلمية للعمليات الاجتماعية . الا ان شعوب البلدان الاشتراكية ، بقيادة الاحزاب الشيوعية ، تكتشف الاخطاء وتصححها ، وتزيل النواقص وتذلل المصاعب ، وبهذا تسير ادارة الانتاج والحياة الاجتماعية كلها طبقاً لمتطلبات القوانين الموضوعية . ولدى ذلك تدرك ان جبروت الاشتراكية وتأثيرها على سير التطور العالمى يتوقفان سواء على وحدة البلدان الاشتراكية ام على مدى نجاح سير الامور في هذه البلدان بالذات وعلى مدى التحقيق الناجح لخطط البناء الاقتصادي والثقافي فيها .

وفي معرض تعين خصائص الاشتراكية العالمية في المرحلة المعاصرة توصل مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمى في موسكو (١٩٧٩) الى استنتاج مفاده ان العالم الاشتراكي قد دخل تلك الحقبة من

تطوره التي تبرز فيها امكانية استخدام الاحتياطيات الكامنة في النظام الجديد استخداما اكثراً كملاً الى حد بعيد . ويساعد في ذلك وضع وتطبيق اشكال اقتصادية وسياسية اكثراً اتقاناً تجاوباً مع حاجات ومهام المجتمع الاشتراكي الناضج .

ان استكمال الديمقراطية الاشتراكية وانهاض القوى المنتجة والتقدم السياسي والثقافي تزيد من تأثير الاشتراكية على كادحى العالم قاطبة ، وتوطد مواقعها في النضال ضد الامبرialisية الذى يرتدى اهمية عالمية . ويبدى النظام العالمي للاشتراكية مساندة متنوعة النواحي للنضال الثورى الذى تخوضه الطبقة العاملة في بلدان الرأسمال . وهو يشكل قوة حاسمة في النضال المعادى للامبرialisية . ان كل نضال تحررى يجد مساندة لا تعوض بشيء من جانب هذا النظام وبالدرجة الاولى من جانب الاتحاد السوفيفيتي .

انها مساندة معنوية تتجسد في التضامن العميق مع النضال البطولى للطبقة العاملة واستحسانه والاعجاب به والتعاطف معه . وهى ايضاً مساندة مادية مباشرة تكمن في تقديم مساعدة مالية وغذائية وغيرها للكادحين الذين يعانون من تعسف الامبرialisيين والطوارئ الانتاجية والکوارث الطبيعية الخ . ومثل هذه المساندة تمنع الطبقة العاملة وحلفاءها قوة في نضالهم الشاق ، وتبعثر الثقة في الانتصار القادم ، وتتبيح الشعور على الدوام بالدعم الودى من جانب رفاقهم الطبيقين .

وترفع شعوب البلدان الاشتراكية صوت الاحتجاج الغاضب ضد السياسة الرجعية للاوساط الامبرialisية الحاكمة ، وضد ملاحقة الاحزاب الشيوعية وسائل

المنظمات التقديمية والشخصيات التقديمية ، وضد  
القوانين المعادية للعمال والمعادية للديمقراطية عامة .  
وقد نددت البلدان الاشتراكية تندىدا حازما بنظام  
في رنوك في إسبانيا وبالنظام العنصري في جمهورية جنوب  
افريقيا وبالانقلاب الفاشي في شيلي .

ويحظى كادحو البلدان الرأسمالية ، الذين يهبون  
للنضال ، بمساندة مأمونة من جانب النظام العالمي  
للاشتراكية في النضال ضد تصدير الثورة المضادة من  
طرف الرجعية العالمية .

وتعتبر بلدان الاشتراكية خصما عنيدا للاستعمار ،  
واوثق نصير لنضال التحرر الوطني الذى تخوضه  
الشعوب المضطهدة ، ونصيرا لتكافؤها الوطنى واستقلال  
دولها . إن النظام العالمي للاشتراكية ، بوقوفه ضد  
السيادة الاستعمارية للأمبريالية وبمساندته نضال  
الشعوب في سبيل الاستقلال بجميع الوسائل ، يشكل  
عاملًا جبارا لنهوض حركة التحرر الوطنى وانهيار النظام  
الاستعماري للأمبريالية .

ولقد اقتنت شعوب افريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية  
من تجربتها الخاصة بان لها في شخص الاتحاد  
السوفيتى والنظام العالمي للاشتراكية صديقا وفيها  
وحليفا موثوقا . وفي حين ان الامبرياليين كانوا  
يستطيون سابقا سحق حركة التحرر الوطنى للشعوب  
المضطهدة دونما اي عائق ، فهم الآن مضطرون لأن  
يأخذوا بالحسبان القوة المتعاظمة للاشتراكية العالمية  
التي تساعد الشعوب قولا وعملا ، وصولا إلى المساعدة  
المسلحة ، ليس فقط في احراز الاستقلال بل وفي الذود  
عنه ، وفي التطور في طريق السلم والتقدم . وساعد

الاتحاد السوفياتي وبلدان الاشتراكية شعب مصر في ضد العدوان البريطاني الفرنسي الاسرائيلي عام ١٩٥٦ ، كما ساعدت الشعب الكوبي في ردع الهجوم القرصني لامبراليي الولايات المتحدة الاميركية وصنائعها عام ١٩٦١ . وكانت بمثابة عائق جبار في طريق نشر العدوان الاسرائيلي ضد الشعوب العربية عام ١٩٦٧ .

ويقدم النظام العالمي للاشتراكية المساعدة للبلدان المتحررة في تعزيز قواتها المسلحة الوطنية التي تحمى العمل السلمي للشعوب المتحررة وسيادتها واستقلالها ، الامر الذي يمكنها من مواجهة العدوان الامبرالي بصورة باحجة .

ويساهم الاتحاد السوفياتي وسائر بلدان الاشتراكية الدول الفتية ذات السيادة في انشاء الاقتصاد الوطني ، وفي تطوير العلم والتكنيك والتعليم والثقافة ، فتساعدها بهذا على ازالة التخلف الموروث عن الاستعمار وعلى تحررها الناجز من نير الاحتكارات الاجنبية . ومن عام ١٩٤٦ لغاية عام ١٩٧٤ وبالمساعدة السوفياتية الفنية جرى في البلدان النامية بناء ٣٩٣ منشأة ضخمة منها ٢٥٣ في آسيا و ١٤٠ في افريقيا .

وتقدم البلدان الاشتراكية للبلدان النامية مساعدة لا تقدر بثمن في اعداد الملاكات الوطنية في مجال الاقتصاد والثقافة والعلم والتكنيك . ان التطور الاقتصادي للدول الفتية ذات السيادة تحفظه تجارتها المتبادلة المنفعة مع البلدان الاشتراكية .

ومن الهام بمكان التنويه بان المساعدة التي تقدمها البلدان الاشتراكية ، والتي لا ترافقتها اي شروط او تنازلات كانت في المجال السياسي ، لا تعنى تدخلها في

الشئون الداخلية للبلدان النامية . وفي هذا يكمن الفارق الجذرى بين مساعدة البلدان الاشتراكية ومساعدة البلدان الرأسمالية ، وخاصة الولايات المتحدة الاميركية ، التي تعتبر بمثابة اداة استعباد اقتصادى وسياسي لشعوب الدول الوطنية الفتية .

وقد جاء في تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي المقدم الى المؤتمر الخامس والعشرين للحزب ما يلى : «ان حزبنا يقدم وسيظل يقدم الدعم للشعوب التي تحارب من اجل حريتها . ولا يبحث الاتحاد السوفييتي في هذا السبيل عن اية منافع لنفسه ولا يسعى وراء الامتيازات ولا يعمل من اجل السيطرة السياسية ولا يطمع وراء قواعد حربية . انما نعمل كما يأمرنا ضميرنا الثورى . وعتقداتنا الشيوعية» \* .

## النظام العالمي للاشتراكية والنضال من اجل السلم

يمارس النظام العالمي للاشتراكية تأثيراً كبيراً على حل المسألة الرئيسية لعصرنا - مسألة العرب والسلم . ان النضال في سبيل السلم ينبغي من ذات طبيعة المجتمع الاشتراكي . فهنا تم القضاء على الاساس الاقتصادي للحرب - الملكية الخاصة ، ولا وجود للقوى الاجتماعية التي لها مصلحة في شن العروبات ونهب واستعباد الشعوب والدول الأخرى . والاشتراكية هي الخلق والابداع ، والخلق والابداع مستحبيلان

---

\* «وثائق المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي» ، ص ١٢ .

بدون النضال في سبيل السلم وضد قوى التدمير والخراب . ولهذا السبب بالذات تخوض البلدان الاشتراكية نضالاً عنيداً من أجل السلم والتعايش السلمي .

لقد صمتت طلقات الحرب العالمية الثانية منذ زمن بعيد ، بيد أنه ما تزال تندلع ، تارة هنا وطوراً هناك وبنتيجة دسائس الامبراليين ، بئر ما يسمى بالحروب المحلية ، الضيقة النطاق ، والتي تنطوي كل واحدة منها على خطر اندلاع حريق حرب عالمي . لذا تطمح بلدان الاشتراكية إلى اطفاء هذه البئر الخطرة في مهدها وتتخذ كافة الاجراءات من أجل حسم المسائل المتنازع عليها بين الدول عن طريق المفاوضات . وهي تساعد الشعوب في الوقت نفسه على صد هجوم الامبراليين العدوانى بكل الوسائل . ان المساندة والمساعدة المتعددة الوجوه لشعب فيتنام البطل . الذي تعرض لهجوم قرصني من جانب امبراليي الولايات المتحدة الاميركية واحرز انتصاراً تاريخياً نتيجة لنضاله العنيف ، تعتبران شهادة ساطعة على ذلك . وبمبادرة الاتحاد السوفييتي تم التوصل إلى اتفاقيات حول تحريم التجارب النووية على الأرض وفي الجو وتحت الماء ، وحول عدم اطلاق اجهزة فضائية تحمل سلاح الابادة الجماعية ، وحول عدم انتشار السلاح النووي . وقد لقيت جميع هذه الاتفاقيات استحساناً حاراً وتأييداً من جانب الشعوب المحبة للسلام . وتقف في طليعة النضال من أجل السلام بلدان الاشتراكية والاحزاب الشيوعية والعملية . والدليل الساطع على ذلك البرنامج الشامل للنضال في سبيل السلم وأمن

الشعوب الذى اقره المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى والذى ايدته سائر بلدان الاشتراكية والحركة الشيوعية العالمية . وقد نص هذا البرنامج على تصفية البؤر العربية في جنوب شرقى آسيا وفي الشرق الاوسط ، والامتناع عن استخدام القوة في العلاقات بين الدول ، وتأمين عقد وانجاح المؤتمر الاوروبى العام بهدف إحداث انعطاف نحو الانفراج والسلام فى هذه القارة ، وعقد معاهدات تحريم السلاح النووى والكيمياى والجرثومى ، وتنشيط النضال فى سبيل ايقاف سباق التسلح ، الخ .

وقد اطلقت القوى المحبة للسلام فى كوكينا على هذا البرنامج تسمية برنامج السلام . فقد وضع حد للعدوان الاميركى فى فيتنام وعقد كل من الاتحاد السوفيتى وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا معاهدة مع جمهورية المانيا الاتحادية ، وتحسن علاقات الاتحاد السوفيتى مع الولايات المتحدة الاميركية وخاصة عقدت اتفاقية هامة حول تحديد الاسلحة الاستراتيجية ، وتطور العلاقات الاقتصادية والعلمية التكنولوجية والثقافية بين الشرق والغرب . وقد قابل الرأى العام العالمى وجميع القوى التقديمة بارتياح هذه وغيرها من النتائج العملية لتحقيق برنامج السلام .

وكانت نتائج المؤتمر الاوروبى العام لامن وتعاون المنعقد فى هلسنكى صيف عام ١٩٧٥ ، نتائج تاريخية . وقد ثبتت فى وثيقته الختامية رسوخ حدود بلدان اوروبا لما بعد الحرب ومبادىء العلاقات فيما بينها ، ورسمت الاجراءات بشأن تطوير تعاونها فى مختلف مجالات الحياة الاجتماعية .

ونتيجة لجهود الاتحاد السوفيفيتي وسائر بلدان الاشتراكية وجميع القوى المحبة للسلام في العالم اخذت تتجلی بوضوح متزايد الاتجاهات نحو الانفراج والانعطاف من «العرب الباردة» باتجاه التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة . ان الاتحاد السوفيفيتي ممتنع عزما على القيام بكل ما يتوقف عليه من اجل تنفيذ ما اتفق عليه في هلسنكى تنفيذا كاملا وعلى السعي وراء جعل الانفراج عملية دائمة التطور ولردع الانفراج السياسي بانفراج عسكري وارسائه على اساس فعال متين .

والدليل المقنع على ذلك قرارات المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفيفيتي حيث جرى اتخاذ برنامج النضال اللاحق في سبيل السلم والتعاون الدولي ومن اجل حرية واستقلال الشعوب .

ويتضمن هذا البرنامج ، الى جانب تعميق وتطوير التدابير التي اقرها المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفيفيتي (نزع السلاح ، تقليل وتوجيه الاسلحة الاستراتيجية ، تخفيض القوات المسلحة والتسلح ، الخ) ، اجراءات هامة جديدة حول توطيد سلم الشعوب وامنها . ومن بينها : السعي لعقد معاهد عالمية حول عدم استخدام القوة في العلاقات الدولية ، والشروع بالعمل على ضمان الامن في آسيا بالجهود المشتركة لدول هذه القارة . وقد اثارت هذه الاجراءات ايضا اهتماما كبيرا وتأييدها من جانب شعوب كوكبنا .

ويشكل النظام العالمي للاشراكية ، الذى يقف بثبات الى جانب السلم والتعايش السلمي ، عقبة كأداء في طريق المطامع العدوانية للامبراليات . وبنشوء

الاشتراكية نشأت لأول مرة في تاريخ البشرية القوة المادية التي تساعده على حل اهم المسائل الدولية بالطرق السلمية . ان النظام العالمي للاشتراكية حصن جبار للسلم ولأمن الشعوب .

### ٣ - الحركة العمالية الثورية في بلدان الرأسمال

#### الميزات الاساسية لنضال الطبقة العاملة الثوري

على الرغم من تأكيدات محامي الرأسمالية الزاعمة بـ«اضمحلال الطبقات» وـ«الانسجام الاجتماعي» انتشرت في العالم الرأسمالي معركة ضاربة بين العمل والرأسمال ، وحركة ثورية جبارة للطبقة العاملة .

لقد بات الوضع الآن أكثر ملاءمة من أجل نضال الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية . فان اصابة الرأسمالية بالضعف نتيجة لازمتها العامة ، وتوّطد قوى الاشتراكية في العالم وخاصة التأثير الثوري لنظام الاشتراكية العالمي ، واتساع القاعدة الاجتماعية للحركة الثورية داخل بلدان الرأسمال ذاتها ، تهيئ امكانيات جديدة امام الحركة العمالية . هذا ، بالإضافة الى ان الحركة العمالية نفسها اكتنلت تجربة نضال ضخمة ضد الرأسمالية واعوانها في صفوف الطبقة العاملة ، وغدت أكثر نضوجا من الناحية الايديولوجية ، وتمتاز بروح تنظيمية عالية وبروح كفاحية شديدة . واخذت سمعة الاحزاب الشيوعية ترتفع في اوساط الكادحين ، ويزداد دور النقابات . وتحت قيادة منظماتها تصد الطبقة

العاملة بحزم تعسف البرجوازية ، وتبدي شجاعة وصمودا وانضباطا متعاظما ووحدة اعمال في النضال الثوري . وتستخدم الطبقة العاملة في هذا النضال اكثرا الوسائل تنوعا : الاضرابات والمظاهرات ، الاجتماعات الحاشدة والمؤتمرات ، القاء الكلمات في البرلمان والكتابة في الصحافة والتحدث من الاذاعة ، الخ .

واكتسبت الحركة الاضرابية - هذه الوسيلة القديمة والتجربة لنضال الكادحين ضد الرأسماليين - اكتسبت في الوقت الحاضر نطاقا واسعا تنظيميا على وجه خاص . ويکفى القول ان عدد المضربين في منطقة انتشار الرأسمالية المتغيرة وحدتها بلغ ٢٢٥ مليونا خلال اعوام ١٩٦٩ - ١٩٧٣ مقابل ١٦٤ مليونا في الاعوام الخمسة السابقة لها .

ويشكل الجمع بين اشكال النضال الاقتصادية والسياسية اهم ميزة من ميزات الحركة العمالية المعاصرة . فقد اخذت مطالب العمال تتخطى بازدياد مطرد الحدود الاقتصادية وتكسب طابعا سياسيا . في السابق كانت شعارات يوم العمل من ثماني ساعات والاعتراف بحقوق المنظمات النقابية وتطبيق الضمان الاجتماعي الخ ، الشعارات السائدة في المطالب التي يتقدم بها المضربون . اما الان ، والى جانب هذه المطالب ، فان الطبقة العاملة تقف الى جانب تحقيق مطالب اکثر اهمية . فهي تناضل من اجل توسيع الحقوق السياسية للشعب بأسره وتعمل على حفظ وتوسيع الديمقراطية وتقف ضد سباق التسلح وفي سبيل السلم والتقدم الاجتماعي . ويحتل مكانا هاما في نشاطات الطبقة العاملة النضال من اجل تأمين اهم فروع

الاقتصاد واسعاً الديمقراطية في ادارتها . وتوجهه الطبقة العاملة وطبيعتها الثورية - الاحزاب الماركسية ضربتها الرئيسية ضد الاحتكارات الرأسمالية - حصن الرجعية والعدوان ، والمذنبة الرئيسية في سباق التسلح وضع الكادحين المزرى .

ومن اهم ميزات الحركة الشورية المعاصرة للطبقة العاملة توسيع قاعدتها الاجتماعية ، والاتجاه نحو انشاء جبهة موحدة لنضال القوى التقديمة ضد الاحتكارات الرأسمالية التي تستثمر استثماراتها جائرا ليس العمال وحسب بل والجمهور الاساسي من الفلاحين والحرفيين وصغار التجار والفئات الدنيا والمتوسطة من الموظفين والمثقفين الكادحين .

وظلم الاحتكارات يدفع الفلاحين الى توحيد صفوفهم وخوض النضال في سبيل الارض وفي سبيل حقوقهم . فقد حصلت اضرابات فلاحية شديدة خلال الاعوام الاخيرة في فرنسا وايطاليا واليونان والمانيا الاتحادية وغيرها من البلدان . ويستخدم الفلاحون في نضالاتهم بصورة واسعة اساليب النضال البروليتارية (اضرابات ، مسيرات ، تظاهرات ، الخ) . ويساند العمل الفلاحين بشتى الوسائل في نضالهم ، ولا يندر ان تعمل المنظمات العمالية والفالاحية كتفا لكتف ، وتهب " لمساعدة بعضها البعض . ويطلب العمال ، سوية مع الفلاحين ، بإجراء الاصلاح الزراعي الجذرى ، ويسعون لتحقيق شعار : «الارض لمن يحرثها ! » .

ان تعزيز تحالف العمال والفلاحين اهم شرط للنضال ضد الاحتكارات وسلطتها .

والآن ، وقد اخذ العلم يتحول الى قوة منتجة مباشرة ،

فإن أعداداً متزايدة دائمة من فئة المثقفين تتدفق إلى صفوف العاملين بالاجرة . فالاحتكرات تعرقل الطموح الابداعي للمثقفين و تستغل قسمهم الأكبر استغلالاً جائراً . و تتشابك المصالح الاجتماعية للمثقفين الكادحين مع مصالح الطبقة العاملة . و يغدو اتحاد العاملين بامتناعهم و سواعدتهم قوة متزايدة الاهمية في النضال من أجل السلام والديمقراطية والتقدم الاجتماعي .

وتشكل الشبيبة قوة اجتماعية هامة في جملة من بلدان الرأسمالية . وقد اخذت الشبيبة العاملة والجماهير الواسعة من الطلبة ، التي لا ترى لها من آفاق مستقبل في ظل الرأسمالية ، تناضل بنشاط متزايد ضد سياسة الطبقات السائدة .

والسمة المميزة للعصر الراهن اشتراك النساء بصورة جماهيرية في الصراع الطبقي وفي الحركة المناوئة للامبراليّة ، وخاصة في النضال من أجل السلم .

وتغدو جماهير المؤمنين ، التي تقرّ بها من الطبقة العاملة الاهداف المشتركة للنضال ضد تسلط الاحتكارات ، قوة نشيطة في النضال المعادي للامبراليّة ومن أجل التحويلات الاجتماعية . الا انه من الضروري التنويه بأن القوة المحركة والمعبئنة الرئيسية للنضال الثوري في بلدان الرأسمالية هي الطبقة العاملة .

## الصلة الوثيقى بين المهام الديمقراطية والمهام الاشتراكية

لقد اظهرت التجربة التاريخية بشكل لا يدحض محدودية وشروطية الديمقراطية البرجوازية التي هي في الواقع دكتاتورية البرجوازية ، دكتاتورية الأقلية -

الاغنياء - على الاكشريه - الكادحين . بيد ان الطبقة العاملة لا يمكنها ان تقف موقفا لامباليا من الديمocrاطية البرجوازية طالما ان امكانيات النضال الثوري للطبقة العاملة تتسع في ظروف الديمocratie ولو ديمocratie مبترة ، برجوازية . والعكس بالعكس ، ففي الظروف المعادية للديمocratie - الارهاب ، والقوانين الطارئة ، ونظام السلطة الفردية ، الخ - يسهل كثيرا على الاحتقاريين استغلال الكادحين ، ومكافحة التشتات الشوريه التي تقوم بها الجماهير ، وانتهاج سياستها الرجعية .

ان انعدام الديمocratie وقيام ردة سياسية يشكلان ليس فقط عقبة في تطور الحركة الشوريه بل انتهاك الكرامة الانسانية للكادحين وتطاولا على ابسط الحريات والحقوق . ولهذا السبب بالذات تخوض الطبقة العاملة ، الى جانب فئات الشعب الاخرى ، نضالا حاسما في سبيل الديمocratie . وهي 'نهض الجماهير للنضال ضد محاولات الاحتقاريين تصفية الحريات الديمocratie وضد انبعاث اي شكل كان من اشكال الفاشية . ان الجمع بين نضال الطبقة العاملة في سبيل الاشتراكية وبين الحركة الديمocratie العامة من اجل السلم والاستقلال الوطني والديمocratie يشكل احدى اهم ميزات الحركة العماليه المعاصرة .

ومن بين المطالب الديمocratie التي تناضل في سبيلها حاليا الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية نذكر : اشاعة الديمocratie العامة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية وفي كافة المؤسسات الادارية والسياسية والثقافية ؛ تأمين اهم فروع الاقتصاد وبث الديمocratie في ادارتها ؛

تحسين ظروف معيشة الكادحين - العمال والمستخدمين ، وحماية مصالح الفلاحين والبرجوازية المتوسطة والصغيرة من تعسف الاحتكارات ؛ النضال من أجل الاستقلال الوطني ؛ النضال في سبيل السلم واستخدام الاقتصاد والعلم والتكنيك للاغراض السلمية ولصالح الكادحين .

وفي سير النضال من أجل الديمقراطية يقوّض تأثير القوى الرجعية وخاصة الاحتكارات ، وبهذا يجري تمهيد الطريق نحو الثورة الاشتراكية . وفي النضال من أجل الديمقراطية تنظم الطبقة العاملة صفوفها وتكتنّز التجربة وتوحد حولها اكثريّة الشعب ، وبهذا يتشكّل الجيش السياسي للثورة الاشتراكية . ولهذا السبب بالذات فان النضال الديمقراطي العام ضد الاحتكارات لا يبعد الثورة الاشتراكية بل يقرّب حدوثها . ان النضال من أجل الديمقراطية جزء مكون للنضال في سبيل الاشتراكية .

### اشكال تحقيق الثورة الاشتراكية

في العصر الراهن ، عصر تقدم البشرية نحو الاشتراكية ، ترتدي أهمية كبرى مسألة الاشكال الملموسة لانتقال مختلف البلدان الى الاشتراكية . فما هي ، إذن ، هذه الاشكال ، وعلى اي شىء تتوقف ؟ يزعم خصوم الاشتراكية العلمية ، في سعيهم الى الانتقاد من افكارها النبيلة واثارة الشك نحوها من جانب الجماهير الشعبية ، بان انتصار الاشتراكية يرتبط دائمًا وفي جميع الظروف بالعنف المسلح والحروب . بيد ان الطبقة العاملة هي اكثـر الطبقات انسانية

واكثرها حباً للكائن البشري في زماننا . وهي تسعى الى صيانة منجزات الثقافة البشرية واغنائتها ، ورفع مستوى تطور القوى المنتجة ، والمحافظة على الناس ، على الكادحين . لذا ، فان للطبقة العاملة والجماهير الكادحة مصلحة في الاستيلاء السلمي على السلطة ، في الانتقال السلمي من الرأسمالية الى الاشتراكية . ومنذ اكثـر من مائـة عام مضـت ، ورداً عـلـى سـؤـال : «هل مـن المـمـكـن الفـضـاء عـلـى الـمـلـكـيـة الـخـاصـة بـالـطـرـقـ السـلـمـيـة؟» اجاب انجلـس بـقولـه : «ـكـانـ يـمـكـنـ التـمـنـىـ بـانـ يـحـصـلـ ذـلـكـ عـلـىـ هـذـاـ النـحـوـ .ـ وـلـوـ حدـثـ لـكـانـ الشـيـوـعـيـونـ ،ـ بـالـطـبـعـ ،ـ آـخـرـ مـنـ يـعـارـضـ هـذـاـ الـأـمـرـ» \* .ـ وـكـتـبـ ليـنـينـ يـقـولـ انـ الـطـرـقـ السـلـمـيـ «ـاسـهـلـ طـرـيقـ عـلـىـ الشـعـبـ وـانـفـعـ ماـ يـكـونـ لـهـ» ،ـ طـالـماـ اـنـهـ يـحـافـظـ عـلـىـ قـيـمـ مـادـيـةـ ضـخـمـةـ وـعـلـىـ جـمـاهـيرـ النـاسـ .ـ وـهـوـ «ـاقـلـ الـطـرـقـ اـيـلـامـاـ وـلـهـذـاـ كـانـ يـنـبـغـىـ اـنـ نـنـاضـلـ مـنـ اـجـلـهـ بـاـكـبـرـ قـوـةـ» \*\* .

فـ الـ وـاقـعـ يـتـوقـفـ اـخـتـيـارـ السـبـلـ نـحـوـ الاـشـتـرـاكـيـةـ لـاـ عـلـىـ رـغـبـاتـ شـخـصـيـاتـ مـنـفـرـدـةـ ،ـ بـلـ يـتـوقـفـ بـالـدـرـجـةـ الـاـولـ عـلـىـ التـنـاسـبـ الـمـوـضـوعـيـ بـيـنـ الـقـوـيـ الـطـبـقـيـةـ فـيـ هـذـاـ الـبـلـدـ اوـ ذـاـكـ .ـ فـاـذـاـ غـدـتـ قـوـيـ الـطـبـقـةـ الـعـاـمـلـةـ وـالـكـادـحـيـنـ مـتـفـوـقـةـ بـصـورـةـ مـطـلـقـةـ عـلـىـ قـوـيـ الـبـرـجـواـزـيـةـ ،ـ وـاـذـاـ فـضـلـتـ هـذـهـ الـاخـيـرـةـ ،ـ وـقـدـ اـقـتـنـعـتـ بـعـدـ جـدـوـيـ الـمـقاـوـمـةـ ،ـ اـنـ تـبـقـىـ عـلـىـ قـيـدـ الـحـيـاةـ وـتـخـلـتـ عـنـ السـلـطـةـ لـلـبـرـوـلـيـتـارـيـاـ ،ـ عـنـدـهـاـ يـكـونـ الـاـنـتـقـاـلـ السـلـمـيـ اـلـىـ الاـشـتـرـاكـيـةـ اـمـراـ مـمـكـنـاـ .

\* ماركس وانجلـس . المؤلفات ، المجلد ٤ ، ص ٣٣١ .

\*\* ليـنـينـ . المؤـلـفـاتـ الـكـامـلـةـ ،ـ المـجـلـدـ ٣ـ٤ـ ،ـ صـ ١ـ٢ـ .

الا ان التجربة التاريخية تدل على ان البرجوازية ، شأن اي طبقة اخرى لفظها التاريخ ، عاجزة عن تقدير تناسب القوى بصورة متبصرة . وب MAVS المحكوم عليه تستخدم جميع الوسائل الممكنة من اجل اطاللة امد وجودها . واهم هذه الوسائل هي السلاح ، الذى تستخدموه البرجوازية ، عامة ، في كل مرة تتعرض فيها سيطرتها للخطر ، وعندما يمس المضطهدون سلطتها وامتيازاتها . فقد اغرقت في بحر من الدم ، مثلا ، كومونة باريس . ولم يسلم الملاكون العقاريون والرأسماليون الروس ايضا بانتصار الكادحين في اكتوبر ١٩١٧ . فاثاروا حربا اهلية مدمرة ، واستنجدوا برأسمالى الدول الاجنبية الذين حاولوا بالحديد والنار اعادة الاوضاع الرأسمالية الى البلاد السوفيتية . وقد صدت الطبقة العاملة وجهمي الكادحين في الجمهورية السوفيتية الفتية بحزم ، تحت قيادة الحزب الشيوعى ، هجوم البرجوازية المسلحة ، وذادوا عن مكتسبات اكتوبر بقوة السلاح .

ويدل التاريخ وتجربة تطور الحركة الثورية للطبقة العاملة ، بصورة مقنعة ، على ان امتلاك اساليب النضال المسلحة شرط الزامى للاطاحة بالدولة البرجوازية . اما مسألة ما اذا كانت سوف تنشأ ضرورة استخدام السلاح ضد البرجوازية ، فذلك امر آخر . في ذلك الزمن ، الذى كانت فيه البرجوازية تسيطر تماما على العالم بأسره ، وعندما كانت تشعر بكل قوتها وقدرة على التوحد من اجل الصراع ضد الشعوب المضطهدة الثائرة ، كان السلاح ، في الواقع ، اهم وسيلة للاستيلاء على السلطة من جانب الطبقة العاملة . وليس من قبيل

الصدفة ان لينين ، رغم عدم رفضه مبدئياً لامكانية استيلاء البروليتاريا على السلطة بالطرق السلمية ، كان يعتبر هذه الامكانية ضعيفة الاحتمال ونادرة للغاية .

اما الان فقد تغير الوضع . فتناسب القوى الجديد بين الرأسمالية والاشتراكية ، والذى نشأ في الميدان الدولى بعد الحرب العالمية الثانية ، قد وسع الى حد كبير امكانيات الانتقال السلمي الى الاشتراكية . فبالطريق السلمي بالذات تحقق الانتقال الى الثورة الاشتراكية في عدد من بلدان اوروبا وآسيا .

ويمكن ان يكون استخدام البرلمان احد طرق الاستيلاء السلمي على السلطة من قبل البروليتاريا في حال وجود ظروف مطابقة . وبالاستناد الى اكثريه الشعب وبالنضال العاسم ضد الانتهازيين تستطيع الطبقة العاملة في جملة من البلدان الرأسمالية تحويل البرلمان الى اداة تخدم الشعب الكادح ، وبتحطيم مقاومةقوى الرجعية خلق الشروط من اجل التقدم نحو الاشتراكية .

ومن السذاجة الاعتقاد بان الطبقة العاملة تستطيع الاستيلاء على السلطة والاحتفاظ بها لمجرد تحقيق انتصار في الانتخابات البرلمانية . فيصبح المرء على ثقة بان نتائج التصويت لن تدوتها البرجوازية باقدامها ، وبانه ستتم المحافظة عليها وتعزيزها وتطويرها من اجل التحويلات الاشتراكية لجميع نواحي الحياة الاجتماعية ، عندما يغدو الانتصار في البرلمان مدعماً بالقوة الحقيقية للطبقة المستعدة للذود عن منجزات هذا الانتصار بجميع الوسائل ، بما فيها قوة السلاح .

ولا ينبغي النظر الى امكانية الطريق السلمى نظرة مطلقة ، ولا يجوز اعتبار الاقرار بها تخليا من جانب البروليتاريا عن الطريق المسلح للاستيلاء على السلطة السياسية . ويجب ان لا يغيب عن البال ان البرجوازية ما تزال تسيطر على القسم الاكبر من العالم ، وان في ايديها السلاح الذى تستطيع ان تستعمله ، وغالبا ما تستعمله ، ضد الطبقة العاملة والكادحين . لذا ، يجب على الطبقة العاملة ان تتحلى باليقظة ، يجب عليها ان تكون مستعدة لاستخدام اكثرا اشكال النضال اختلافا - غير السلمية والسلمية . ان امتلاك كافة اشكال النضال ، وحسن استعمال تلك الاشكال التى تتبع اكثرا من غيرها مع الوضع الملموس ، ومعرفة استبدال احد الاشكال باخر بصورة سريعة - ذلك هو الشرط المبرم لانتصار الطبقة العاملة في الثورة الاشتراكية .

#### ٤ - الحركة الشيوعية المعاصرة

##### الحركة الشيوعية اكثرا قوى عصرنا نفوذا

تشكل الحركة الشيوعية العالمية ، وهى اكثرا الحركات عددا واقواما نفوذا في ايامنا هذه ، القوة القائدة للنضال الثورى الذى تخوضه الطبقة العاملة .

ان التاريخ لم يعرف حركة سياسية اخرى كان من نصيبها هذا القدر الكبير من التجارب القاسية كما هي الحال بالنسبة لحركة الشيوعيين . فلا النفي والسجون القبيصرية ، ولا الزنزانات ومعسكرات الاعتقال الفاشية ،

ولا اعمال التعذيب الرهيبة وجرائم القتل الفظيعة استطاعت قهر ارادة الشيوعيين وثقتهم الراسخة في صواب قضيتهم وتصميمهم الراسخ على النضال في سبيلها . كما ان التاريخ لا يعرف حركة سياسية اخرى نمت بهذه السرعة الفائقة واتسعت واحرزت انتصارا بعد آخر كالحركة الشيوعية .

منذ ما يزيد عن مائة عام انشأ مؤسسا الشيوعية العلمية اول منظمة في العالم للشيوعيين الثوريين تضم فريقا غير كبير من المناضلين ، اما الان فان الاحزاب الشيوعية والعمالية تعمل في اكثريه بلدان العالم وتضم في صفوفها عشرات الملايين من ابناء وبنات الشعب الكادح . وغدت الحركة الشيوعية العالمية اقوى حركات العصر نفوذا ، في حين ان نفوذها يتسع ويتوازن باستمرار .

وتتوارد الاحزاب الشيوعية وتناضل في ظروف مختلفة ، وتمثل امامها مهام مختلفة .

**ان الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان الاشتراكية احزاب حاكمة .** فتحت قيادتها خلعت شعوب هذه البلدان عن كاهلها النير الرأسمالي وهى تحقق الان مهمة كبيرة وصعبة ، مهمة بناء الاشتراكية والشيوعية . وهى تقوم بعمل ابداعى ضخم ، وتحل مهام معقدة في تطوير الاقتصاد الوطنى وبناء علاقات اجتماعية جديدة وتربيه الجماهير بالروح الشيوعية ، وتوئ من الدفاع عن مكتسبات الاشتراكية ؛ هذا بالإضافة الى ما تقدمه من مساعدة شاملة لشعوب العالم غير الاشتراكى في نضالها الثورى . ويتسنم العمل الخلاق الذى يقوم به شيوعيو وكافة كادхи البلدان الاشتراكية باهمية تاريخية

لأنه يعزز المواقع الدولية للاشتراكية ويزيد من قوة جاذبية افكارها في العالم باسره .

**وتناضل الاحزاب الشيوعية للبلدان الرأسمالية في ظروف شاقة ، وسرية في الغالب ، في ظروف الملاحقات والارهاب من جانب الرجعية البرجوازية . وما تزال امامها مهمة قيادة شعوب بلدانها نحو الانتصار على المستثمرين ، نحو الثوره الاشتراكية . وهي ، بترؤسها نضال الجماهير ضد الاحتكارات ، تعمل في خضم معارك طبقية ضاربة على تكوين الجيش السياسي للثورة ، وتناضل في سبيل توسيع نفوذها على الجماهير ومن اجل مصالح الطبقة العاملة وجميع الكادحين . والشيوعيون هم انشط المناضلين في سبيل وحدة الطبقة العاملة ، وهم يقفون ضد السياسة الخائنة للانتهازيين اليمينيين الموجهة نحو الدفاع عن الرأسمال وشق صفوف الطبقة العاملة .**

**واخذت تتقوى الاحزاب الشيوعية للبلدان النامية في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، التي ولدت في معمعان ثورات التحرر الوطني ، وتمارس تأثيرا متزايدا باطرا على حياة الدول الفتية ذات السيادة ، وتشترك بنشاط في النضال ضد الاستعمار والاستعمار الجديد . وتكون مهمتها الاساسية في الانجاز الناجح لثورة التحرر الوطني ، وتدعم الاستقلال الوطني وقيادة الشعوب نحو التقدم والاشتراكية والسلام .**

وعلى الرغم من تميز الاهداف والمهام الملموسة تعمل الاحزاب الشيوعية من اجل قضية مشتركة واحدة : انها توجه حركة البشرية المعاصرة من الرأسمالية الى الاشتراكية .

وقد قامت الاحزاب الشيوعية ، باستنادها الى الماركسية - الليينية وبتعميمها تجربة النضال الطبقى للبروليتاريا التى يربو عمرها على المائة عام ، قامت بصورة جماعية فى مؤتمراتها العالمية لاعوام ١٩٥٧ و ١٩٦٠ و ١٩٦٩ و ١٩٧٦ وبصياغة الخط العام للحركة الشيوعية والعمالية العالمية المعاصرة ، الذى انعكست فيه اهدافها الاساسية . انه خط النضال الطبقى والثورة الاشتراكية ، خط بناء الاشتراكية والشيوعية .

كانت الاحزاب الشيوعية وما زالت عدوة للاستعمار . وهى تساند دون تحفظ حركة التحرر الوطنى ، وتعمل على انجاز الثورة الديمقراطية المعادية للامبرialisية واحراز الاستقلال الوطنى الحقيقى وولوج طريق التطور الارسمى .

ويتجلى الشيوعيون ، اينما وحيثما وجدوا ، كمناضلين نشيطين ضد الرجعية الامبرialisية وفي سبيل الحريات الديمقراطية وحقوق الكادحين . وهم يعتبرون الحركات الديمقراطية المعادية للامبرialisية حليفة لهم في النضال ضد الرأسمالية ومن اجل الاشتراكية والتقدم الاجتماعى .

والحركة الشيوعية اكثر الحركات انسانية في عصرنا الراهن . وليس من وليد الصدف ان يعتبر النضال في سبيل السلام والتعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، ومن اجل المحافظة على ارواح الملايين من الناس ، ومن اجل صيانة ما ابدعه عمل الناس من قيم مادية وروحية من اكبر مهماتها . ومن اجل حل هذه المهمة يوحد الشيوعيون جهود كافة القوى المحبة للسلام والمعادية للامبرialisية .

## **تعزيز وحدة الحركة الشيوعية العالمية مهمة من الدرجة الاولى**

يكسب النضال من اجل وحدة الحركة الشيوعية والعمالية العالمية اهمية ضخمة في ظروف احتدام الصراع الايديولوجي بين القوى الاشتراكية والقوى الامبرialisية في المرحلة المعاصرة من تطور البشرية .

ما يزيد في حيوية هذا النضال انه ما تزال توجد في حركة الشيوعيين العالمية حتى الان مصاعب وخلافات جدية . اما اسبابها فمتعددة للغاية .

ومن هذه الاسباب تفاوت درجات النضوج والاعداد النظري والتنظيمي لدى مختلف الفصائل ، ومرد ذلك بالدرجة الاولى الى النمو العاشر للحركة الشيوعية والعمالية .

ومنها ايضا تميز المهام الماثلة امام الاحزاب واصالة المواقف من حلها ، ويعود ذلك الى خاصية التطور التاريخي لهذا البلد او ذاك ، والى سمات الطابع النفسي والأخلاق والعادات والتقاليد لدى الشعوب . ومنها كذلك استمرارية مختلف انواع الباطيل ، وخاصة القومية ، المرتبطة بسياسة الطبقات المستثمرة التي غرسـتـ الحقد والبغضاء بين الشعوب والدول خلال قرون عديدة .

ومنها السياسة الغادرة لقوى الامبرialisية التي تسعى بجميع الوسائل الى دق اسفين في العلاقات بين مختلف فصائل الشيوعيين ، والنشاط الانشقاقى الخائن الذى يقوم به الانتهازيون من كل صنف ولون .

يعلق خصوم الماركسيـة والاشتراكـية العلمـية آمالـا

خاصة على النزعة القومية ، على العناصر القومية المتطرفة التي يحاولون بواسطتها شق الحركة الشيوعية العالمية . وقد كتب لينين يقول ان البرجوازية تستخدم اسلوب «تفريق العمال عن طريق التبشير بمختلف الافكار والتعاليم البرجوازية التي تضعف نضال الطبقة العاملة . ومن بين هذا النوع من الافكار نزعة التعصب القومي المتفننة التي تبشر بتقسيم وتشتيت البروليتاريا بواسطة اكثـر الذرائع لـياقة وـحسـن إخـراج ...» \* . وفي هذا الصدد يتسم باهمية شديدة خاصة في الظروف المعاصرة **الجمع الصحيح** بين المهام القومية والاممية المائلة امام مختلف فصائل جيش الشيوعيين العظيم .

بيد ان الماركسيين - الـلينينيين ، الى جانب كونهم امميـن ، يعتبرـون وطنـيين حـقيقـيين لـبلادـهـم مـفعـمـين بالـشعـور العمـيق بـواجبـهم الوـطنـي . فـهم يـناـضـلـونـ فـيـ سـبـيلـ تـحرـيرـ شـعـبـهـمـ منـ نـيـرـ الرـأسـمـالـ ، الاـ انـهـمـ لاـ يـفـصلـوـنـ ماـ هـوـ وـطـنـيـ عـمـاـ هـوـ اـمـمـيـ . وـهـمـ يـخـضـعـوـنـ

الـخاصـ للـعامـ اـذـ يـدـرـكـونـ انـ النـضـالـ منـ اـجـلـ تـحرـيرـ طـبـقـةـ(ـهـمـ)ـ العـاـمـلـةـ قدـ يـتـكـلـلـ بـالـنـجـاحـ فـحـالـ تـضـافـرـ جـهـودـ مشـتـرـكـةـ لـكـلـ الفـصـائـلـ الـوـطـنـيـةـ منـ عـمـالـ وـشـيـوعـيـ جـمـيعـ

الـبـلـدـانـ .

انـ الخـلـافـاتـ وـسـطـ شـيـوعـيـ عـالـمـ جـديـةـ ، بـيدـ انهـ يـمـكـنـ وـيـجـبـ اـزـالتـهاـ - وـالـحـالـ انـ بـلـوغـ وـحدـةـ الحـرـكـةـ الشـيـوعـيـةـ عـالـمـيـةـ يـشـكـلـ شـرـطاـ هـاماـ لـلـنـجـاحـ فـيـ النـضـالـ ضدـ الرـأسـمـالـيـةـ وـفـيـ سـبـيلـ الاـسـتـرـاكـيـةـ وـالـشـيـوعـيـةـ . وـهـنـهـ الخـلـافـاتـ فـيـ المسـائـلـ النـظـرـيـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ يـمـكـنـ

---

\* لـينـينـ . المؤـلـفاتـ الكـاملـةـ ، المـجلـدـ ٢ـ٥ـ ، صـ ١ـ٤ـ٤ـ .

**تذليلها على الاساس المبدئي للماركسية – اللينينية  
والاممية البروليتارية فقط .**

وقد اشار لينين الى ان الممارسة و«تطور الحياة السياسية نفسها» هما اهم وسيلة لتذليل الخلافات والتناقضات في الحركة الشيوعية . وتُستنجد هذه الخلافات ، في كثير من الاحيان ، «بانتقال الذين يحللون ويفكرون بصورة غير صحيحة انتقالا فعليا الى طريق النضال الصحيحة ، بتأثير دروس الحياة ، تحت ضغط سير الاحداث نفسه الذي يجبر على ولوح الطريق الصحيحة ، ويطرح جانبا بكل بساطة المحاكمات الخاطئة وينزع التربة من تحتها ، و يجعلها خالية من كل مضمون ، فارغة ، لا تهم احدا». وكان لينين يطالب «بالتتحقق سلفا في اكثرا ما يمكن من الاحوال من القرارات التكتيكية المتخذة على اساس الاحداث السياسية الجديدة» \* .

ان اساس العلاقات المتبادلة بين الاحزاب الشيوعية هو مبادئ الاممية البروليتارية ، والتضامن والمساندة المتبادلة ، واحترام الاستقلالية والتكافؤ في الحقوق ، وعدم التدخل في شؤون بعضها البعض . فالاستشارات الثنائية ، واللقاءات الاقليمية ، والمؤتمرات العالمية ، وتبادل التجربة من جميع النواحي – تلكم هى اشكال التعاون بين الاحزاب الشقيقة .

وكان اجراء مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية الاوروبية في برلين (عام ١٩٧٦) مرحلة هامة في طريق تلاحم الحركة الشيوعية العالمية . وقد اعلن المؤتمر

---

\* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ١١ ، ص ١٣٣ .

ان الاحزاب الشيوعية سوف تطور التعاون الاممى والتضامن على اساس افكار ماركس وانجلس ولينين العظيمة . ورفع عاليما راية وحدة وتلاحم الاحزاب الشقيقة واظهر استعدادها - كل حسب وسائله واساليبه وانطلاقا من الظروف الملموسة - لاسداء قسطها في القضية العامة للنضال من اجل بلوغ الاهداف النبيلة .

وانها لكبيرة الان اكثرب من اي يوم مضى مسؤولية الشيوعيين المشتركة عن القضية الاممية للنضال ضد الرأسمال العالمى وعن انتصار قضية الاشتراكية والشيوعية على الارض . وانها لكبيرة بوجهه خاص مسؤولية الاحزاب الشيوعية والعمالية للبلدان الاشتراكية ، هذه الاحزاب التى اؤتمنت على قيادة اقامة وتطوير المجتمع الجديد ، الاشتراکى ، الذى ثبتت على قسم ملحوظ من الكرة الارضية . فمساندة وتعزيز وحماية مكتسبات الاشتراكية ، التى تم احرازها بالجهود البطولية والعمل المتفانى لكل شعب ، هي واجب اممى مشترك لجميع البلدان الاشتراكية .

الحزب الشيوعى السوفيتى هو حزب امميين . وهو ، اذ ينظر الى بناء الشيوعية في الاتحاد السوفيتى كاسمى واجب اممى لديه ، يعتبر نفسه ، في الوقت ذاته ، واحدة من فصائل الجيش الاممى لشيوعى العالم . وهو يساعد بشتى الوسائل على تطوير الحركة الثورية في بلدان الرأسمالية واذكاء نضال التحرر الوطنى . والحزب الشيوعى السوفيتى مدافع مثابر عن المكتسبات الاشتراكية في البلدان الأخرى . وتشهد بذلك بالذات المساعدة الاممية لشعوب تشيكوسلوفاكيا في المحافظة على مكتسبات الاشتراكية ، التي قدمها لها الاتحاد

السوفيتى سوية مع البلدان الاشتراكية الشقيقة صيف  
عام ١٩٦٨ .

ويولى الحزب الشيوعى السوفيتى اهتمامه لتنمية التربية  
الناس السوفيتين بروح الاممية والوطنية والاستعداد  
للدفاع بكل ما اوتوا من قوة عن قضية الاشتراكية في  
الاتحاد السوفيتى وفي بلدان النظام الاشتراكي العالمى ،  
وعن قضية الطبقة العاملة والكادحين في العالم بأسره .  
وهو يخوض نضالا لا هوادة فيه ضد جميع مظاهر  
ايديولوجيا التحصب القومى ، والشوفينية ، والنزعة  
المحلية الضيقية والانفصالية ، ويصون كحدقة العين اعظم  
انجاز للاشتراكية - صداقه شعوب الاتحاد السوفيتى .

## ٥ - حركة التحرر الوطنى

### انهيار النظام الاستعمارى للامبرialis

ان الاستعمار ، الذى كان ينوء تحت نيره الى زمن  
غير بعيد اكثرب من نصف سكان العالم ، هو احدى احلك  
الصفحات فى تاريخ البشرية . فهلاك عدد لا يحصى من  
الناس ، والاستغلال الوحشى ، والفقر المدقع والجوع ،  
والامراض والامية ، ذلك هو المصير الذى فرضه  
الامبراليون على شعوب البلدان المستعمرة . ويكفى  
القول ان الاستعماريين نقلوا من افريقيا وحدها لغرض  
الاستعباد وأفروا اكثرب من ١٠٠ مليون شخص ! وكان  
استغلال الشعوب المستعبدة يجرى وما يزال يجرى من  
اجل هدف واحد هو ابتزاز الرأسمال  
الافمى - ذلكم هو الاستعمار .

وكان من الطبيعي تماما ان لا تطبق الشعوب صبرا على سيادة المستعمرین . فقد خاضت ، وما تزال ، نضالا متفانيا ضد الضوارى الامبریالية وفي سبيل الحرية والاستقلال الوطنى .

وقد اعطت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى في روسيا عام ١٩١٧ زخما شديدا لحركة التحرر الوطنى ، اذ ايقظت هذه الثورة الشعوب المضطهدة ، وألهمتها للنضال ، وجدتها الى التيار العام للحركة الثورية العالمية . وعلى اثر انتصار ثورة اكتوبر بدأت ازمة النظام الاستعمارى للامبریالية . واصبح الاتحاد السوفيتى - اول بلد للاشتراكية في العالم - مثلا وسندًا موثوقا في نضال الشعوب التحررى .

وفي حين ان الامبریالية قد سحقت الاستقلال الوطنى والحرية لأكثريّة الشعوب وكبلتها بأغلال العبودية الاستعمارية الوحشية فان نشوء الاشتراكية يدشن بدأیة عهد تحرر الشعوب المضطهدة . فقد اخذت موجة ثورات التحرر الوطنى العارمة تجرف النظام الاستعمارى ، وتقوّض اسس الامبریالية . وراحت تنشأ دول فتية ذات سيادة محل المستعمرات وشبه المستعمرات السابقة .

لقد تغير وجه آسيا بصورة جذرية حيث تحررت من التبعية الاستعمارية او شبه الاستعمارية شعوب الصين والهند واندونيسيا وغيرها من البلدان . واخذت الانظمة الاستعمارية تنهر في افريقيا ايضا . وترفرف حاليا الأعلام الوطنية للعشرات من الدول ذات السيادة على اراض شاسعة من القارة الافريقية . ففى الاعوام التي اعقبت الحرب العالمية الثانية نشأت اکثر من ٧٠

دولة مستقلة محل العالم الاستعماري القديم ، علماً بأن اكثريتها قد كسبت حريتها في السنوات ١٥ - ١٠٠ الاخيرة . وأخذت أميركا اللاتينية تنهض للنضال ضد الامبرialisية والاستعمار ، حيث ساد امبرياليو الولايات المتحدة الاميركية دون منازع طوال عشرات السنين . ولم يعد بعيداً ذلك الزمان الذي سيقضى فيه إلى الأبد على الاستعمار ، هذه الظاهرة المشينة في التاريخ البشري . ان تطهير كوكبنا كلياً من فظائع الاستعمار ، والقضاء على آخر بؤره ، وعدم السماح بانبعاثه في اشكال جديدة مموجة - ذلك هو مطلب العصر الراهن .

ان حركة التحرر الوطني جزء مكون من العملية الثورية العالمية الواحدة للعصر الجارى . وهى ترتدى اهمية كبيرة في تطور البشرية . فبنفسها الامبرialisية وبحطيمها اقرب مؤخراتها تساعد على تقدم البشرية من الرأسمالية نحو الاشتراكية . وتقدر الاحزاب الشيوعية والعمالية انهيار الاستعمار بمثابة الظاهرة التالية ، من حيث الاهمية التاريخية ، بعد قيام النظام العالمي للاشراكية .

بيد ان النضال ضد الاستعمار لم ينته بعد ابداً . فالامبراليون يحاولون بجميع الوسائل اعادة الوضع الاستعماري ، ويسعون ليس فقط الى البقاء على استغلال الدول الفقيرة ذات السيادة بل والى تشديد هذا الاستغلال ايضاً . وما يزال عشرات الملايين من الناس (شعوب جنوب افريقيا وروسييا الجنوبية وغيرهما من البلدان) يرزحون تحت نير الاضطهاد الاستعماري . لقد كانت الامبرialisية وما تزال العدو الرئيسي لحركة التحرر الوطني . لذا ، فان الشعوب المحبة للحرية في

العالم بأسره مفعمة بالعزم على النضال ضد الامبراليه وفي سبيل الحرية والاستقلال الحقيقيين . أن النضال ضد الاشكال الجديدة للاضطهاد الاستعماري ضد الاستعمار الجديد هو مهمة ذات شأن امام شعوب افريقيا وآسيا واميركا اللاتينية .

**والاستعمار الجديد** عبارة عن توسيع اقتصادي وعسكري سياسي وايديولوجي من جانب الامبراليين على حساب الشعوب التي تحررت من التир الاستعماري او تناضل في سبيل تحررها .

وفي حال احتفاظ الدول الامبرالية باشرافها على اقتصاد هذا البلد او ذاك تسعى بشتى الاساليب الى تشديد استغلالها الاقتصادي . وعلى الرغم من ان غالبية بلدان آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية قد حظيت باستقلالها السياسي فان العديد منها ما يزال في تبعية اقتصادية للدول الامبرالية . فان قسمًا ملحوظاً من المؤسسات والجزاء الاعظم من الموارد الطبيعية لهذه البلدان متوازن في ايدي الاحتكارات الاجنبية ، الامر الذي يتتيح لها الحصول كالسابق على ارباح هائلة من استثمارها للبلدان التابعة اقتصادياً .

وتدفع الدول الوطنية الفتية سنويًا للامبراليين اتاوة ضخمة تتراوح بين ١٤ و ١٨ مليار دولار . وينبغي ان تضاف الى ذلك خسائرها الضخمة من جراء التجارة غير المتكافئة . والحال ، ان سلع التصدير من البلدان النامية هي المنتجات الغذائية والمواد الخام التي تنخفض اسعارها باستمرار في السوق العالمية ، في حين انها تشتري من البلدان الرأسمالية المتطرفة منتجات صناعية مرتفعة الثمن . وهذا الفارق الضخم

المتعاظم ابدا في اسعار المواد الخام والبضائع الصناعية يشكل مصدرا لارباح الرأسماليين الخيالية . فمن اجل استيراد جرار ، مثلا ، اصبح يقتضى الان تصدير كمية من اكياس الطحين او الخامات تفوق بمرتين عما كان عليه الحال منذ بضع سنوات خلت .

وتعتبر الاحلاف العسكرية السياسية العدوانية (السنتو ، السياتو ، وغيرهما) ، والتي اقحم فيها الامبراليون جملة من بلدان آسيا وافريقيا ، اداة للاستعباد وشكلا جديدا للاستغلال ، الاستعماري بطبيعته ، للبلدان الضعيفة التطور .

ولا يتورع الامبراليون ، في صرائهم ضد الشعوب المتحررة ، حتى عن تصدير الثورة المضادة ، وعن التدخل المسلح المباشر في الشؤون الداخلية للدول المحررة .

ويشن الاستعمار الجديد عدوانا ايديولوجيا ضد قوى التقدم والاشتراكية والسلم . وقد وضعت الايديولوجيا البرجوازية الرجعية في خدمة محاولات الامبراليين المثابرة في الابقاء على استغلال البلدان النامية وتشديده .

## طابع ثورة التحرر الوطني وقوتها المحركة

ان ثورة التحرر الوطني اعلى مرحلة من مراحل نضال التحرر الوطني .

ان المسألة الرئيسية لكل ثورة ، بما في ذلك ثورة التحرر الوطني ، هي مسألة سلطة الدولة . والدليل

الاساسي على ثورة التحرر الوطنى هو انتقال سلطة الدولة من الاحتيارات الأجنبية او عملائها الى القوى الوطنية للشعب المضطهد سابقا .

لقد كانت الامبرialisية تسود دون منازع في الاقتصاد والحياة السياسية للبلدان المستعمرة ، وكانت تخنق كل مظهر من مظاهر الاستقلال السياسي والاقتصادي . وكانت الاحتيارات الأجنبية المسيطرة هنا تكبح بشتى الوسائل تطور الاقتصاد مضفيه عليه طابعا احادي الجانب ، مشوها .

وثورات التحرر الوطنى هي بالدرجة الاولى ثورات معادية للامبرialisية طالما انها موجهة ضد الامبرialisية التي استعبدت شعوب البلدان المستعمرة والتابعة اقتصاديا ، وحولتها الى ذيل زراعى خامى تابع لها ، واخضعتها سياسيا ساحقة بكل قسوة كل طموح الى الاستقلال السياسي ، وحارمة الشعوب ابسط الحقوق والحراء الديمقراطيات . بيد ان تصفية نير الاحتيارات امر مستحيل بدون القضاء على بقایا الاقطاعية والعلاقات العشائرية وما قبل الاقطاعية التي كان يشكل حاملوها السند الاجتماعى الرئيسي للامبرialisية داخل البلدان المستعمرة والتابعة . ولهذا بالذات ترتدى ثورات التحرر الوطنى طابعا معاديا للاقطاعية ايضا . وترتدى هذه الثورات ، اخيرا ، طابعا ديمقراطيا ، اذ ان احرار الاستقلال الاقتصادي والسياسي لا يمكن تحقيقه بدون مشاركة الجماهير الشعبية الواسعة ، بدون اشاعة الديمقراطية في كل الحياة الاجتماعية .

وتوجد في البلدان المستعمرة والتابعة ، ولو بأعداد متفاوتة واوضاع مختلفة ، طبقة عاملة وطبقة فلاحين

وبرجوازية وطنية وبرجوازية صغيرة في المدن وفئة مثقفين (مدنيين وعسكريين) وطلاب واقطاعيون وبرجوازية موالية للامبراليّة .

وجميع هذه الطبقات والقوى الاجتماعية ، باستثناء البرجوازية الموالية للامبراليّة واغنى الاوساط الاقطاعيّة ، تعانى من نير الاحتكارات الاجنبية ، لذا فهى تشارك الى هذا الحد او ذاك في ثورة التحرر الوطنى وتعتبر قواها المحركة . ان كل طبقة وفئة اجتماعية تميّز ، طبعا ، باختلاف فهمها لمهمات الثورة التي تتلوى فيها ، عدا الاهداف الوطنية العامة ، اهدافها الاجتماعية الخاصة .

وتشكل الطبقة العاملة ، التي يتّنامي عددها باستمرار ، احدى القوى المحركة الاساسية للثورة . وينبغى في هذا الصدد ان نأخذ بالاعتبار ان عدد الطبقة العاملة وتلاحمها التنظيمى ومستوى وعيها ليست مماثلة في مختلف البلدان . بيد ان البروليتاريا في جميع البلدان التابعة دون استثناء ، وبفعل مكانتها الموضوعية في المجتمع ، تعتبر اكثراً القوى الاجتماعية ثورية واكثرها مصلحة في ايصال ثورة التحرر الوطنى حتى نهايتها . وهذا امر مفهوم فالخلص من نير الاحتكارات الاجنبية وبث الديمقراطية في مجمل حياة المجتمع والدولة يخلقان امكانيات مؤاتية من اجل النضال في سبيل تحقيق الهدف التاريخي للبروليتاريا - الاشتراكية .

وفي سير نضال التحرر الوطنى ترسّخ الطبقة العاملة صفوفها وتنظم نفسها وتكلّس تجربة سياسية ، ويرتفع وعيها الطبقي ويتكوّن ويتعزّز تحالفها مع الفئات غير البروليتارية من الكادحين .. وتنشأ وتنقوى

منظماتها النقابية والنسائية والشبابية وغيرها . ان ثورات التحرر الوطنى هى بمثابة مدرسة جيدة للبروليتاريا من اجل المعارك الاجتماعية المقبلة في سبيل الاشتراكية .

وتعتبر طبقة الفلاحين اكثربالطبقات عددا ، لا بل القوة المحركة الاساسية لثورات التحرر الوطنى في عدد من البلدان . وهى ذات مصلحة حيوية في القضاء على ملكية الاحتكارات والاقطاعيين المحليين وشيوخ القبائل للأرض ، والحصول على امكانية العمل في هذه الارض والتمتع بشمار عملها . والفلاحون هم ، بالطبع ، قوة معادية للامبرialisية وللاقطاعية ، وذات مصلحة في القضاء على السيطرة السياسية والاقتصادية للرأسمال الاجنبى ، وكذلك سيطرة طبقة الاقطاعيين والملاكين العقاريين وشيوخ القبائل ، وفي اجراء اصلاح زراعى .

اما تلك الفئة من البرجوازية ، التي لها مصلحة في التنمية الاقتصادية للبلاد ، والتي تشارك مشاركة نشيطة في ثورة التحرر الوطنى ، وعلى الاخص في النضال من اجل الاستقلال السياسي ، فقد اصبحت تعرف باسم **البرجوازية الوطنية** ، تميزا لها عن البرجوازية الموالية للامبرialisية ، الالاوتينية (والتي يطلقون عليها احيانا لقب الكومبرادور) ، والتي تخون المصالح الوطنية العامة نظرا لارتباطها الوثيق بالاحتكارات الاجنبية .

ان البرجوازية الوطنية ، اذ تقف في ثورة التحرر الوطنى الى جانب مصالحها الطبقية الخاصة وبالدرجة الاولى الى جانب تنمية الاقتصاد الوطنى الرأسمالى والى جانب سيطرتها السياسية في المجتمع ، تعبر في الوقت نفسه

عن بعض المصالح الوطنية العامة ايضا طالما انه ليس باستطاعتها بلوغ اهدافها الطبقية الا بشرط التحرر من سيطرة الامبراليية الاجنبية والاقطاعية المحلية . ان المطامح المعادية للامبراليية وللقطاعية لدى البرجوازية الوطنية تؤدى الى تلاقي مصالحها بمصالح الامة جموعا وجماعا هير الشعب الواسعة . الا ان هذه البرجوازية تخاف في الوقت نفسه من ثورية الطبقة العاملة وال فلاحين اذ انها ترى فيهم خطرًا على مصالحها الاستغلالية ، لذا تسعى الى حصر الثورة في الاطارات الضيقه لمصالحها وكبح تطورها وتوجيهه في الطريق الرأسمالي .

ويوجد في البلدان المستعمرة والتابعة ، وخاصة في بلدان افريقيا ، ما يسمى بالفئات الوسطية ، فئات **البرجوازية الصغيرة** (اصحاب الصناعات اليدوية ، الحرفيون ، التجار الصغار واكثرتهم من تجار المفرق ، وغيرهم) . وهى فئات كثيرة العدد وذات نفوذ .

وهذه الفئات متناقضة للغاية من حيث طبيعتها الاجتماعية . فهى ، من جهة ، ذات ملكية رغم انها ، كقاعدة عامة ، غير كبيرة على الاطلاق ، وهذا يقر بها ، الى حد ما ، من البرجوازية ، وهى مضطربة ، من جهة اخرى ، للعمل ولكسب عيشها باليديها ، الامر الذى يجعلها قريبة جدا من العمال ، ولاسيما من الفلاحين . هذا ، بالإضافة الى ان الفئات الوسطية ، شأن سائر الكادحين ، تتعرض لاستغلال جائر من جانب الامبراليين الاجانب والاغنياء المحليين ، على حد سواء . وطبعا ان تكون الاكثرية الساحقة لممثل هذه الفئات الوسطية ذات موقف راديكالي ، وان تشارك في ثورة التحرر الوطني ، وان تكون ذات مصلحة في انتصارها الناجز .

وتلعب فئة المثقفين الوطنية الديموقراطية - رجال العلم والثقافة ، قسم من الموظفين ، الجماعة التقديمية من الضباط ، الطلاب ، المستخدمون ، وغيرهم - دورا هاما ، وأحياناً قيادياً ، في ثورة التحرر الوطني . ودورها كبير بوجه خاص في تلك البلدان التي لم تكون فيها الطبقة العاملة بعد كقوة مستقلة في حين ان البرجوازية الوطنية ما تزال اما ضعيفة واما تنهج سياسة موالية للامبراليّة ، كما يحصل ذلك في اكثريّة البلدان الافريقيّة . وليس من النادر ، في هذه الظروف ، ان يقف ممثلو المثقفين على رأس الثورة والدولة .

تلکم هي بخطوطها العامة القوى المحركة لثورة التحرر الوطني . اما تناسب ودور هذه القوى في الثورة فليسا مماثلين في مختلف البلدان بفعل الاختلافات في تاريخها وفي مستويات تطورها الاجتماعي الاقتصادي . ومع تطور الثورة يأخذ هذا التناسب في التغير في كل بلد بمفرده ايضا .

لذا ، ينبغي اتخاذ موقف تاریخی ملموس لدى تحليل القوى المحركة للثورة في هذا البلد اوذاك مع اخذ الظروف الداخلية والعالمية بعين الاعتبار .

### احراز الاستقلال الاقتصادي مرحلة جديدة في تطور الثورة

يعتبر احراز الاستقلال السياسي والتحرر من السيطرة السياسية للامبراليّة مضمون المرحلة الأولى ، الاولى ، لثورة التحرر الوطني . ففي هذه المرحلة ، التي تم انجازها بنجاح في جملة من البلدان النامية ، يجري تحقيق انتقال سلطة الدولة من البرجوازية- الامبراليّة

الاجنبية والطغمة الاقطاعية المحلية وشيوخ القبائل الى القرى الوطنية لlama . ان احراز الاستقلال الوطنى وقيام الدول الوطنية ذات السيادة فى آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية يشكلان اهم نتيجة سياسية لانهيار النظام الاستعماري لامبراليه .

بيد ان احراز الاستقلال السياسي ليس المهمة الوحيدة لثورة التحرر الوطنى . فمن المهم بمكان ترسیخ المكتسبات المحرزة والقضاء الى الابد على التبعية للاحتكارات الاجنبية ، الامر الذى لا يمكن تحقيقه بدون احراز الاستقلال الاقتصادي .

ولم يضن " الامبراليون بالجهود من اجل تأييد سيادتهم في البلدان المستعمرة والتابعة ، وربطها الى الابد بالنظام السياسي والاقتصادي الخاص بهم ؛ وكانوا يحيطون اقل محاولة من جانبشعوب المضطهدة لتنمية الاقتصاد الوطنى ، وخاصة الصناعة .

وقد القت الامبراليه في غياب التأثر الشديد بالعشرات من بلدان افريقيا وآسيا واميركا اللاتينية التي ما يزال مستوى تطور اقتصادها حتى الآن منخفضا جدا ، باستثناء بلدان معدودة . ففى عام ١٩٧٣ تم في البلدان النامية حيث يعيش ٧١٪ من سكان العالم غير الاشتراكي انتاج ٧٪ من مجموع المنتجات الصناعية في العالم .

ومن الطبيعي تماما ان شعوب البلدان النامية لا تستطيع استخدام الموارد الطبيعية الهائلة لما فيه مصلحتها هى ، والعمل من اجل نفسها ، من اجل شعبها ، وليس باسم ارباح الامبراليين الاجانب الا بعد تحرير اقتصادها من ضغط الاحتكرات الاجنبية . الا ان ثمة

طريقا واحدا فقط من اجل ذلك - طريق تنموية اقتصادها الوطني . وليس بمقدور شعوب البلدان المتحررة ، في حال بقائها تابعة اقتصاديا للامبراليّة ، ان تسلك طريق التقدم الاجتماعي الاقتصادي . زد على ذلك ان التبعية الاقتصادية تشكل تهديدا دائمًا وجديا لاستقلالها السياسي .

وكما اكد بريجنيف في خطابه بدورة تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٦ للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي فان الاتحاد السوفييتي يتخذ خطوات نشيطة «في دعم المطالب العادلة للبلدان النامية في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية بشأن إعادة بناء العلاقات الاقتصادية الدولية على أساس المساواة في الحقوق ، وبشأن إزالة كافة اشكال استغلال الدول الرأسمالية للشعوب الضعفة منها في «العالم الثالث»» («البرافدا» في ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٦) .

**ان احراز الاستقلال الاقتصادي يعتبر محتوى المرحلة الجديدة ، الثانية ، في تطور ثورة التحرر الوطني .**

ويعتبر التأميم احدى اشهر الوسائل جذرية للتحرر من التبعية الاقتصادية ، وهو انتقال المشاريع الصناعية ، والنقليات ، ووسائل الاتصال ، والبنوك ، ومؤسسات التجارة والخدمات ، والمدارس ودور التعليم العالي الى ملكية الدولة . وتكون نتيجة التأميم انشاء القطاع العام في الاقتصاد .

ولما كانت الظروف في احيان كثيرة لا تسمح لهذه الدولة النامية او تلك بان تؤمن على الفور ملكية الاحتکارات الاجنبية بكمالها ، او على الاقل جزءا هاما منها ، تقوم الدولة ، الى جانب التأميم ، ولفترات معينة

من الزمن ، بفرض اشرافها المحدد على نشاط هذه الاحتكارات ، وتحد من امكانيات استغلالها لسكان البلاد ومواردها الطبيعية . وغالبا ما يجري انشاء مؤسسات مختلطة تعود ملكيتها في الوقت نفسه الى الدولة والرأسمال الخاص بما في ذلك الرأسمال الاجنبي .

ويرتدى انشاء اقتصاد وطني عالى التطور والتصنيع اهمية كبيرة في كسب الاستقلال الاقتصادي .

ان التصنيع يؤمّن اعادة بناء جميع فروع اقتصاد البلدان الضعيفة التطور ، بما في ذلك الزراعة ، على اساس تكنيكى حديث ، وبلغ انتاجية عمل رفيعة . وهو يصلح قاعدة لتعزيز دفاع البلد ، واساساً لتقدير العلم والتكنيك والثقافة . ومن خلال التصنيع وحده يمكن ازاللة التخلف الموروث عن الماضي للبلدان المتحركة وانقاذهما من القيام بالدور المشين ، دور الملحلقات الزراعية الخامنة للبلدان الامبريالية واحراز الاستقلال الحقيقي . ان التصنيع شرط ضروري لرفع مستوى حياة الشعب .

وتبرز امام البلدان النامية ، في المقام الاول ، ضرورة تأمين اللباس والغذاء لجميع الناس ، وتوفير العمل والمسكن لهم ، وتقديم الخامات للمؤسسات القائمة وبصورة اولى تلك التي ما تزال قيد البناء . وتنصب مهمة تنمية الصناعة الحديثة بهذا الشكل او ذاك وبهذه الدرجة من الحدة او تلك امام شعوب هذه البلدان ، اذ انه من غير الممكن احراز الاستقلال الحقيقي بدون حلها . وليس بمستطاع بلد غير كبير تطوير جميع فروع الصناعة الحديثة ، لذا فان تخصيص وتعاونية

إنتاج البلدان النامية يكتسبان أهمية كبيرة في تنمية التصنيع ، الامر الذي يستلزم تعزيز وحدة هذه البلدان وتوسيع روابطها الاقتصادية وتطوير التجارة سواء فيما بينها او مع البلدان الأخرى وبالدرجة الأولى مع بلدان الاشتراكية .

وتقوم جملة كاملة من البلدان المتحررة بالخطوات الأولى في طريق التصنيع . فهى تعمل ، باستخدامها الموارد الداخلية ومساعدة البلدان الأخرى وخاصة الاشتراكية ، على انشاء القاعدة الطاقية والفروع العصرية للصناعة ، وتطور بالدرجة الأولى تلك الفروع التي تتسم باهمية كبيرة خاصة بالنسبة للبلاد وتساعد على احرازها الاستقلال الاقتصادي .

ويشكل حل **المسألة الزراعية** لصالح الشعب واجراء تحويلات زراعية عميقه جزاً مكونا هاما من برنامج احراز الاستقلال الاقتصادي للبلدان المتحررة . ويكمي جوهر هذه المسألة في تصفية العلاقات الاقطاعية وما قبل الاقطاعية في الزراعة ، والقضاء على الملكية ما قبل الاقطاعية والاقطاعية والاجنبية للارض ، وتوفير امكانية العمل على هذه الارض امام الفلاحين ، وتقديم مساعدة لهم في تدبير الشؤون الزراعية .

ان الطرق الملمسة للتحولات الزراعية يمكن ان تكون ، كما تدل التجربة المكتنزة حتى الان ، طرقا مختلفة . ففى جملة من البلدان المتحررة تجرى اصلاحات زراعية عميقه نحو الحد من مقاييس ملكية الارض الى درجة كبيرة ، ونحو تسليم الاراضى ، المصادره من كبار الملاكين العقاريين والامبراليين الاجانب ، الى الفلاحين للانتفاع بها .. واكثر اشكال التحويلات

الزراعية جذرية هو اشاعة التعاون في الزراعة التي بدأت تباشيرها تظهر في بعض البلدان المتحررة .

ويجدر التنوية بان المسألة الزراعية في العديد من البلدان المتحررة ما تزال بعيدة عن الحل ، ولهذا السبب يبقى حلها احدى اكبر مهام ثورة التحرر الوطني .

### **النضال لاختيار طريق تطور البلدان المتحررة**

يعتبر اختيار طريق تطور الشعوب المتحررة مسألة هامة وحادة يرتبط حلها بالتصادم والصراع بين القوى الاجتماعية طالما ان مختلف الطبقات والاحزاب تقترن حلولا مختلفة لهذه المسألة . فالقوى الرجعية ، بما فيها وبالدرجة الاولى البرجوازية الكبيرة وملوك الاراضي ، تسعى الى توجيهه تطور الامة في الطريق الرأسمالي والمحافظة على امتيازاتها وعلى الملكية الخاصة والاستغلال . وتستند الرجعية في ذلك الى المساندة الاقتصادية والعسكرية من جانب الامبراليية .

وتسعى القوى التقديمة للمجتمع ، وبالدرجة الاولى الطبقة العاملة وال فلاحون الكادحون ، الى توجيه البلد النامي في طريق الاستقلال الحقيقي والازدهار والتقدم . ان شعوب البلدان المتحررة تكره الرأسمالية . فما تزال طرية جدا في ذاكرتها ويلات الرأسمالية ، وقد دفعت ثمنا باهظا للغاية لقاء حريتها . وقد دلت تجربة التاريخ على ان الرأسمالية والإمبرالية هما الحروب الدموية والنهب الاستعماري ، وهما الاستغلال والبطالة والجوع والفقير المدقع .

والرأسمالية هي عدو الديمقراطية والتقدير . ولهذا السبب بالذات ترفض الشعوب الرأسمالية بكل قوية كانت الألبسة الجذابة التي تخليها عنها جهود حماتها الإيديولوجيين ، ومهمما كانت برقة النعوت التي يطلقونها عليها ((الرأسمالية الشعبية)) ، «مجتمع الرخاء العميم» وغيرهما) .

والشعوب تقف ضد الرأسمالية وإلى جانب طريق التطور اللارأسماي . فما الذي يعنيه هذا الطريق ، وما هي الافتراضيات التي يوفرها للشعوب المتقدمة ؟

### طريق التطور اللارأسماي

لقد أثبت لينين امكانية انتقال البلدان المختلفة سابقا إلى الاشتراكية دون المرور بالمرحلة الرأسمالية عامة او بمرحلة الرأسمالية المتطرفة صناعيا ، عندما يربط هذه الامكانية بقيام وتطور الاشتراكية في بلدان أخرى أكثر تطورا حيث البروليتاري مدعاة لتقديم مساعدة شاملة للشعوب المختلفة في تطورها الاقتصادي السياسي . وقد كتب لينين يقول : «... يمكن للبلدان المتأخرة ، ان تنتقل إلى النظام السوفياتي وإلى الشيوعية عبر درجات معينة من التطور ، متوجبة مرحلة التطور الرأسماي» \* .

وقد تحققت حاليا الأحكام اللينينية حول امكانية التطور اللارأسماي في البلدان المختلفة . فمن أصل ٦٥ مليونا من السكان غير الروس ، الذين كانوا يقطنون

---

\* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤١ ، ص ٢٤٦ .

روسيا عام ١٩١٧ ، كان ٢٥ مليونا من الذين يعيشون في الاطراف المستعمرة بآسيا الوسطى ما يزالون موجودين في مراحل التطور ما قبل الرأسمالية ويحافظون ليس فقط على اسلوب الانتاج الاقطاعي بل وعلى نمط الحياة العشائرية ايضا . ولم يمض سوى نصف قرن حتى تحولت هذه الاطراف بمساعدة الشعوب الشقيقة ، وبالدرجة الاولى الشعب الروسي ، الى جمهوريات اشتراكية مزدهرة ذات صناعة وزراعة وثقافة عالية التطور . كما ان منغوليا ، التي كانت في الماضي بلدا شبه مستعمر ، قد اجتازت الطريق من التخلف الاقطاعي الى الاشتراكية ووضعت نصب عينيها مهمة التحول ، بمساعدة الاتحاد السوفيفيتي وسائر البلدان الاشتراكية ، وفي القريب العاجل الى دولة صناعية زراعية متقدمة . ان تجربة الجمهوريات السوفيفيتية في آسيا الوسطى ، وتجربة منغوليا ، تدل بشكل ساطع على ما يستطيع ان يبلغه بمساعدة الشعوب الشقيقة شعب كان متخلفا في الماضي وتحرر من نير الاستعمار والاستثمار . وهذه التجربة تعلم حاليا الشعوب المحترزة في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية كيف وبأى طريق يمكن تجاوز الآلام الفظيعة للتطور الرأسمالي . وتعلم هذه التجربة ان الطريق نحو الاستقلال الحقيقى والتقدم بالنسبة لهذه الشعوب هو الطريق اللارأسمالى .

ومن المعلوم ان الانتقال الى الاشتراكية يتحقق بنتيجة الثورة الاشتراكية التي يلزمها توفير مقدمات مادية وطبقية معينة (مستوى مطابق للتطور الاقتصادي ، وجود طبقة عاملة متقدمة ونشيطة سياسيا يقودها حزب ماركسي ، وغير ذلك) . وهذه المقدمات تنضج عادة في

مرحلة التطور الرأسمالية ، ولذا فان الانتقال المباشر الى الثورة الاشتراكية امر ممكن في البلدان الرأسمالية المتطرفة .

والامر على خلاف ذلك في البلدان ما قبل الرأسمالية التي تشكل اكثريتها الدول النامية الفتية . فهنا لـم تنضج بعد المقدمات من اجل حل مهمات الثورة الاشتراكية ، لذا فمن اجل الانتقال الى الاشتراكية تلزم فترة تحضير معينة تنشأ اثناءها بالذات الظروف المادية والطبقية للانتقال الى الاشتراكية . وهذه الفترة ، التي يتم اثناءها تحضير التحولات الاشتراكية الخامسة ، تشكل السمة الازمة للتطور اللارأسماى .

والعمليات الاجتماعية الاقتصادية (تطور الاقتصاد وما يستلزم من اعادة تجميع القوى الطبقية لصالح الجماهير الكادحة ، او بالدرجة الاولى الطبقة العاملة) التي تجري في هذه الفترة الاولى هي عمليات مماثلة الى درجة ما للعمليات المميزة للتطور الرأسماى . الا انها تجري ، في ظروف طريق التطور اللارأسماى ، بصورة اسرع بكثير ، علما بان الجماهير الشعبية (وهذا الاهم) تتخلص هنا من معظم الآلام التي تعانيها في ظروف التطور الرأسماى . زد على ذلك انه يجري منذ هذه المرحلة الاولى من التطور اللارأسماى والى جانب التحولات ذات الطابع البرجوازى الديمقراطى ، تحقيق تحولات ذات طبيعة اشتراكية (الحد من الرأسمال الخاص والاستغلال ، وضع بعض وسائل الانتاج تحت اشراف الشعب والادارة ، تحطيط الاقتصاد ، الخ) ، رغم انها لا تمارس بعد تأثيرا حاسما ولا تحدد الصورة الاجتماعية الاقتصادية للمجتمع ككل .

وانه لأمر مفهوم ان يكون تناسب التحولات البرجوازية الديمocrاطية والاشتراكية في المرحلة الاولى من الطريق الالرأسمالي وزنها واهميتها في تطور المجتمع غير مماثلة في مختلف البلدان ، اذ ان ذلك يتوقف على مستوى تطورها الاقتصادي والاجتماعي وعلى التناسب بين القوى الطبقية . هذا ، بالإضافة الى ان وجود تحولات اشتراكية ، ايَا كان عمقها وشكلها ، يشكل علامة ضرورية من علائم الطريق الالرأسمالي . اما غياب هذا النوع من التحولات فيعني ان المجتمع يتتطور وفق الطريق الرأسمالي الاعتيادي .

وفي اعقاب المرحلة الاولى ، التي تغلب فيها التحولات البرجوازية الديمocratie ، تحل مرحلة جديدة ، مرحلة التحولات الاشتراكية الخامسة في كافة مجالات الحياة الاجتماعية ، مرحلة الانتقال المباشر الى الاشتراكية . وتأخذ التحولات الاشتراكية باكتساب اهمية حاسمة ، والطريق الالرأسمالي بالترسخ ، ويسلك المجتمع نهائيا طريق التطور الاشتراكي . انه يجري تحول ثورة التحرر الوطني الى ثورة اشتراكية .

ان سرعة حلول هذه المرحلة تتوقف على مدى قوة اشتراك الجماهير الشعبية في الثورة ، وعلى عمق التحولات الديمocratiّة في حياة المجتمع والدولة التي يجري تحقيقها في ظروف التطور الالرأسمالي ، وعلى مدى سرعة تنامي دور الطبقة العاملة وتوطيد تحالفها مع الفلاحين ، وعلى مدى سرعة تحول النواة القيادية للثورة الى معيَّن عن مطامع الجماهير الكادحة وانتقالها الى موضع الاشتراكية العلمية .

وعليه ، فان المحتوى الاجتماعي الاقتصادي للطريق

اللارأسماى ككل هو انجاز ثورة التحرر الوطنى وخلق المقدمات المادية والطبقية من اجل بناء الاشتراكية ، ومن ثم تحويل ثورة التحرر الوطنى الى ثورة اشتراكية. واعربا عن اراده الجماهير الشعبية وتنوّقها الشديد الى الاشتراكية وطموحها الى حياة جديدة سعيدة اعلن زعماء عدد من البلدان المتحركة عن عزم شعوبهم على سلوك طريق التطور اللارأسماى ، ويجرى في هذه البلدان تحقيق اجراءات ذات طابع لارأسماى ، نذكر منها : انشاء القطاع العام في الاقتصاد عن طريق التأميم ؛ التطبيق التدريجي لمبدأ التخطيط في تنمية الاقتصاد الوطني وبنائه بواسطة التصنيع ؛ التحولات الزراعية وخاصة انشاء التعاونيات للفلاحين ؛ ازاحة الرأسمال الاجنبى تدريجيا من الاقتصاد ؛ الحد من استغلال ونفوذ الطبقات المستشمرة على الحياة السياسية . كما يجرى انتاج سياسة خارجية مستقلة معادية للامبراليـة واقامة علاقات ودية وتعاون مع بلدان الاشتراكية ،

الخ .

ويولى اهتمام جدى لرفع مستوى معيشة الشعوب وثقافتها ، ولتطوير التعليم ورعاية الصحة واعداد الملاكات التكنيكية والعلمية .

وتعانى حركات التحرر الوطنى مصاعب وتناقضات جدية ، وفي بعض الاحيان تخلى انتصارات القوى التقديمية المكان لانتصار الرجعية ، والوضع في جملة من البلدان غير مستقر على الاطلاق . وكل ذلك مرتبط ، بالدرجة الاولى ، بالخلاف الاقتصادي والثقافي للعديد من البلدان النامية وبالارث الثقيل الذى خلفه الاستعمار . والتابع الزراعى للاقتصاد ، والحادي العجانب كقواعد ، وتعبيته

للرأسمال العالمي غالباً ما يكتبان ايدي القوى التقديمية ويحرمانها من امكانية انتاج سياسة مستقلة مثابرة . وتصطدم السياسة التقديمية المنتهجة بمقاومة ضاربة من جانب القوى الرجعية المحلية - مثل شيوخ القبائل ، والاقطاعيين ، والبرجوازية التي تعتمد على الرأسمال الاجنبى ، والعسكرية الرجعية . يضاف الى ذلك التدخل الفظ من جانب الامبرياليين الاجانب الذين لا يتورعون في صراعهم ضد القوى التقديمية عن اللجوء الى التدخل المسلح .

واخيراً ، الامر الاهم : ان حركات التحرر الوطني كثيرة ما تكون محرومة من الدور القيادي للطبقة العاملة التي هي اكثرب القوى ثورية في العصر الراهن والقادرة على تحريرك الثورة الى امام باصرار ومواقبة . فالطبقة العاملة في احدى البلدان النامية قليلة العدد وضعيفة من الناحية التنظيمية ، وهي ما تزال في بلدان اخرى في طور التكون وتخطو خطواتها السياسية الاولى ، وليس لها من وجود حتى الآن في غيرها من البلدان . بيد ان الطبقة العاملة ، مع تطور الصناعة القائمة في جميع البلدان النامية رغم اختلاف درجات تكتيفها تنشأ وتطور ، ويتناهى دورها في المجتمع ، ويقوم ويتوطد تحالفها مع الفئات غير البروليتارية وخاصة مع الفلاحين . وفي هذا ضمانة لكون الدول الفتية ذات السيادة سوف تنطلق على الدرب الاشتراكي عاجلاً ام آجلاً بمساعدة البلدان التي انتصرت فيها الاشتراكية . والطبقة العاملة هي التي تعسّد بالذات انتقال البشرية المعاصرة من الرأسمالية الى الاشتراكية . وهذا امر حتمي بنفس الدرجة سواء بالنسبة للبلدان الاشتراكية حيث الطبقة

العاملة تقود شؤون الدولة ، ام بالنسبة للبلدان الرأسمالية المتطرفة حيث تشرف الطبقة العاملة على النضال الثورى للكادحين ضد الرأسماى ، ام بالنسبة للبلدان النامية حيث الطبقة العاملة مدعوة الى كسب الدور القيادى في نضال الشعوب من اجل مستقبلها الاشتراكي .

### الفصل الثالث

## طريق الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية

### ١ - القوانين العامة والأشكال الخاصة لبناء الاشتراكية

تبني الاشتراكية على اساس منجزات انتاج وتقنيك الرأسمالية وعلمها وثقافتها ، يبنيها اناس نشأوا وتربوا في ظروف الرأسمالية . ومع ذلك فالاشتراكية هي مجتمع جديد نوعيا .

وفي حين ان اقتصاد الرأسمالية وعلاقاتها الاجتماعية وثقافتها الروحية ، القائمة على الملكية الخاصة والاستغلال ، تخدم مصالح حفنة ضئيلة للغاية من الناس : مالكي وسائل الانتاج ، فان الاشتراكية ، القائمة على الملكية الاجتماعية وعلاقات التعاون والمساعدة المتبادلة بين الناس ، هي مجتمع الشغيلة ومن اجل الشغيلة . وبناء الاشتراكية ليس امرا ممكنا ، بطبيعة الحال ، بدون اجراء تحولات نوعية جذرية لجميع

نواحي الحياة الاجتماعية . ومن المهم التنويه هنا بان اجراء هذه التحولات يواجه مقاومة ضاربة من جانب الطبقات المستثمرة المخلوعة ، وبالدرجة الاولى البرجوازية .

ومن اجل القضاء على مقاومة المستثمرین والقيام بتحولات اشتراكية جذرية في الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والحياة الثقافية ، ومن اجل وضع ذلك في خدمة الانسان الكادح ، لا بد من مرحلة انتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية .

**المرحلة الانتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية** هي تلك المرحلة التي يكون فيها قد اطیع بالبرجوازية بينما الرأسمالية لم تصن بعد نهائياً والطبقات المستثمرة التي فقدت السلطة لم تکف عن صراعها ضد الطبقة العاملة المنتصرة ، المرحلة التي تجري فيها تحولات اشتراكية جذرية بينما الاشتراكية لم تبن بعد . وقد كتب لينين يقول : «ان حالة الانتقال ... من القديم الى الجديد هي حالة نمو هذا الجديد» \* . والمرحلة الانتقالية هي بالذات مرحلة اقامة الاشتراكية ونموها ، مرحلة الصراع بين الرأسمالية المحتضرة والاشتراكية التي ترسخ اقدامها .

ان تجربة بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاخرى تتبع التأكيد بان القوانين الاساسية لانشاء مجتمع جديد ترتدى اهمية دائمة غير مؤقتة . فهذه القوانين تتكرر بالضرورة وستتكرر لاحقاً في ظل ظروف مطابقة في جميع البلدان التي تسلك طريق البناء

---

\* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ١٥٤ .

الاشتراكى . وهى تكتسب بذلك معنى القوانين العامة للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . ومن بين هذه القوانين : الثورة الاشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا ممارسة بهذا الشكل او ذاك ، الدور القيادى للحزب الشيوعى ، التأمين الاشتراكى والتصنيع ، انشاء انتاج يتطور بصورة مبرمجة وقائم على الملكية الاجتماعية والمنجزات المعاصرة للعلم والتكنيك ، اشاعة التعاون فى الزراعة ، الثورة الثقافية ، التحولات الاشتراكية للعلاقات القومية (فى البلد المتعدد القوميات) على اساس مبادئ الاممية البروليتاريا والصداقه والتعاون بين الشعوب .

وهذه القوانين العامة فى نفس الوقت لا تتجل بتماثل على الاطلاق فى مختلف البلدان . فكل بلد ، يبني الاشتراكية ، يملك ظروفا خاصة به تمتاز عن ظروف البلدان الاخرى : مستوى تطور الاقتصاد والثقافة ، التاريخ الخاص ، الظروف الطبيعية واحتياطيات الثروات الباطنية ، تناسب القوى الطبقية ، تقاليد الشعب وخصائصه القومية الخ . هذا ، بالإضافة الى تميز الظروف الدولية التى يقوم ابانها هذا البلد او ذاك ببناء الاشتراكية . لذا ، ففى كل بلد ميزات خاصة للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وكتب لينين يقول : «ستصل جميع الامم الى الاشتراكية ، ان هذا امر محتموم . ولكنها لن تصل جميعها على صورة واحدة ، فستتحمل كل منها امرا تتفرد به الى هذا الشكل او ذاك اشكال الديمocratic ، الى هذا المظهر او ذاك من مظاهر دكتاتورية البروليتاريا ، الى هذه السرعة او تلك فى تحويل مختلف وجوه الحياة الاجتماعية على اسس

الاشتراكية» \* . ان خصائص بناء الاشتراكية في هذا البلد او ذاك تتناول لا جوهر التحولات الاشتراكية بل اشكال وطرق ومواعيد ووتائر وفعالية هذه التحولات . وهي لا تبطل القوانين العامة باى حال من الاحوال .

ان خصوم الاشتراكية العلمية والشيوعية ، والقوى التحريرية والمعادية للاشتراكية ينكرون وجود قوانين عامة ويشددون على الخصائص القومية لتطور مختلف البلدان . وهم يخترعون مختلف «الموديلات» (النماذج) للاشتراكية ، وينفون الطابع الاممي للماركسية-اللينينية وللاشتراكية العلمية . ويوجهون رؤوس حرباهم ضد دكتاتورية البروليتاريا . والدور القيادي للطبقة العاملة وطبيعتها الحزب الشيوعي ، في البناء الاشتراكي . وتشهد على ذلك الاحداث المعروفة في تشييكوسلوفاكيا (عام ١٩٦٨ وبداية عام ١٩٧٩) حيث حاولت القوى المعادية للاشتراكية والقوى الانهائية اليمينية ابعاد الحزب الشيوعي والدولة الاشتراكية عن قيادة المجتمع ، واطلاق «تلعب» القوى السياسية ، وخلق معارضة سياسية ، وتقويض اسس الاشتراكية . وقد صد شغيلة تشييكوسلوفاكيا بمساعدة البلدان الاشتراكية الشقيقة القوى المعادية للاشتراكية .

ونتحدث فيما يلي بالتفصيل عن وحدة القوانين العامة لبناء الاشتراكية واشكاله المتنوعة في مختلف البلدان .

---

\* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ١٢٣ .

## ٢ - دكتاتورية البروليتاريا والدور القيادي للحزب الشيوعي هما الشرط الحادي عشر لبناء الاشتراكية

تشكل دكتاتورية البروليتاريا والدور القيادي للحزب الشيوعي الشرط الحاسم لبناء المجتمع الاشتراكي . ان دولة دكتاتورية البروليتاريا والدور القيادي للطبقة العاملة وطبيعتها - الحزب الشيوعي ، هما اهم قانون لبناء الاشتراكية .

تنبعق دولة دكتاتورية البروليتاريا بنتيجة الثورة الاشتراكية الناجحة والتخطيم الجذرى لماكنة الدولة البرجوازية . وهى تعتبر طرزاً دولياً جديداً نوعياً وتختلف جذرياً عن جميع الدول السابقة من حيث طبيعتها الطبقية بالدرجة الاولى ، ومن حيث الدور المطلوب منها القيام به ، وكذلك من حيث اشكال تنظيم الدولة .

لقد كانت جميع انماط الدولة السابقة اداة بيد الطبقات المستثمرة ، اداة لسحق الكادحين ، وكانت تضع نصب عينيها هدف ترسیخ النظام الاستثماري وتأيد انقسام المجتمع الى ماضطهدين ومضطهدين . اما دكتاتورية البروليتاريا فهى سلطة الطبقة العاملة التي تقضى على الرأسمالية بالاشتراك مع جميع الكادحين وتخلق مجتمعاً جديداً : مجتمعاً بدون طبقات متناحرة وبدون استثمار .

فما هي ، اذن ، المهام الاساسية التي تتحقق دكتاتورية البروليتاريا ؟

في غضون المرحلة الانتقالية لا يتوقف الصراع الطبقي . فالطبقات المستثمرة وبالدرجة الأولى البرجوازية لا تستطيع ، وقد غدت محرومة من السيادة السياسية ، التسليم بهزيمتها وبفقدان السلطة والامتيازات ، لذا تبدي مقاومة ضاربة بوجه السلطة الجديدة . وعليه فان دكتاتورية البروليتاريا ضرورية قبل كل شيء من اجل تحطيم مقاومة الطبقات المستثمرة المخلوعة ، واحالة وسائل الانتاج الى الشعب ، والذود عن المكتسبات الثورية من تطاولات الاعداء الداخليين والخارجيين ، وترسيخها .

**تلك هي المهمة الأولى لدكتاتورية البروليتاريا ، وال المتعلقة بالعنف تجاه المستثمرين .**

بيد ان سحق البرجوازية ليس هدفا بحد ذاته لدى البروليتاريا . فمهما كانت الرئيسية تنحصر في بناء الاشتراكية ، المجتمع الاشتراكي ، وبالدرجة الأولى الاقتصاد الاشتراكي . وتكون صعوبة تحقيق هذه المهمة في ان الثورة الاشتراكية تبدأ في ظروف عدم وجود اشكال جاهزة للنموذج الاشتراكي . والدولة البروليتارية بالذات مدعوة الى ادارة الحياة الاقتصادية للمجتمع ، وخلق نمط جديد للاقتصاد ، اقتصاد الاشتراكية القائم على الملكية الاجتماعية ، وخلق نمط جديد للعلاقات الاجتماعية ، وتربيبة الشغيلة بروح الاشتراكية . ولا يقتصر الامر على انجاز بناء المجتمع الاشتراكي وتجيئه وفق خطة موضوعة مسبقا ، بل وعلى الدفاع عن مكتسباته بوجه تطاولات العناصر الرجعية داخل البلاد والعدوان المحتمل من جانب الامبراليات العالمية .

**تلك هي المهمة الثانية ، الانشائية التوجيهية ،  
لدكتاتورية البروليتاريا .**

تبني الطبقة العاملة المجتمع الجديد ، الاشتراكي ، لا بمفردها بل بتحالف وثيق مع الجماهير الكادحة غير البروليتارية ، وبالدرجة الاولى الفلاحين . ولدى ذلك تعيد الطبقة العاملة تربية هذه الجماهير ابان النضال ضد البرجوازية وبناء الاشتراكية . وتلك مهمة صعبة جدا ، اصعب واكثر حساسية بكثير من النضال ضد البرجوازية . فهنا يتطلب الامر عملا تربويا مديدا متعبا واقناع فئات الشغيلة غير البروليتارية بافضليات الاشتراكية . وفي غمرة هذا العمل تتربي الطبقة العاملة هي ايضا وتحقق انعطافا عميقا في حياة المجتمع الروحية .

**تلك هي المهمة الثالثة ، التربية لدكتاتورية البروليتاريا .**

وبالاضافة الى هذه المهام ، التي تُعرف بالمهام الوطنية التي تحل في اطار البلد المعنى ، تقوم دكتاتورية البروليتاريا بمهمة اهمية هامة ايضا : فهي تساعد بجميع الوسائل ، وقبل كل شيء بمثال البناء الاقتصادي الناجح على النضال الثوري لکادحى البلدان الرأسمالية ، وتقدم لهم مساندة سياسية ومادية ومعنوية . وبهذا بالذات تساعد دكتاتورية البروليتاريا لكل بلد بمفرده على تطوير العملية الثورية العالمية والقضاء على الرأسمالية واقامة الاشتراكية في العالم بأسره . وفي ظروف وجود النظام الاشتراكي العالمي تنظم دولة دكتاتورية البروليتاريا وتومن علاقات التعاون والمساعدة المتبادلة للبلدان الشقيقة والدفاع المشترك عن المكتسبات الاشتراكية .

ان دكتاتورية البروليتاريا فمط اعلى للديمقرatie وجديد نوعيا . انها ديمقراطية من اجل اكثريه الشعب العظمى . والطراز الجديد نوعيا للديمقرatie في ظروف دكتاتورية البروليتاريا ينبع من نفس طبيعة الدولة البروليتاريه ، من الاهداف والمهماز التي تضعها نصب عينيها . وبمساندة جماهير الشعب الواسعة فقط تستطيع البروليتاريا وضع حد لاستثمار الانسان للانسان ، وفرضي الانتاج ، والازمات الاقتصادية ، والبطالة وفقر الجماهير ، وتأمين تطور مبرمج متواصل للاقتصاد بوتائر عاليه ورفع مستوى معيشة الشعب باستمرار . لذا ، فان تحالف الطبقة العاملة مع فئات الكادحين غير البروليتاريه في المدينة والريف ، وبالدرجة الاولى من الفلاحين ، وفي ظل الدور القيادي للطبقة العاملة ، يشكل الاساس والمبدأ الاعلى لدكتاتورية البروليتاريا ، واكملا واشمل تعبير عن الديمقرatie الحقيقية للدولة البروليتاريه .

ودكتاتورية البروليتاريا هي بداية عهد السلطة الشعبية الحقة . ولنقارن ، من اجل تأكيد ذلك ، وعلى سبيل المثال ، بين تركيب الهيئات العليا للسلطة في جمهوريه المانيا الديمقراطية وجمهوريه المانيا الاتحاديه . في المجلس الشعبي الحالى بالمانيا الديمقراطية ٤٣,٨٪ من العمال ، و ١٥,٤٪ من الفلاحين والعمال الزراعيين ، و ٤,٤٪ من المستخدمين ، و ٢٠,٢٪ من المثقفين ، و ٢,٢٪ من ممثلى مختلف المهن الأخرى . وفي برلمان المانيا الاتحاديه لا يوجد عامل انتاجي او فلاح واحد ، في حين يضم ٦٦٪ من ممثلى الرأسمال و ٣٤٪ من الموظفين العاملين في خدمتهم .

ودكتاتورية البروليتاريا عبارة عن مجموعة من المنظمات الحكومية وغير الحكومية (العربية والاجتماعية) في البلاد . ويقع في مركز هذه المجموعة الحزب الشيوعي الذي يضطلع بقيادة بناء الاشتراكية . فاعتمادا على معرفة قوانين التطور الاجتماعي يقود الحزب ، من خلال المنظمات الحكومية والاجتماعية خلال الفترة الانتقالية ، النضال ضد الطبقات المستثمرة وتحقيق التحولات الاشتراكية . وعلاقات الحزب الواسعة بالجماهير الشعبية ، والتي نشأت في غمرة النضال ضد الرأسمالية ، تتحول الى وحدة الحزب والشعب . ففي وحدة الحزب والشعب ضمانة نجاح قضية بناء المجتمع الاشتراكي .

لقد كانت مسألة مكان الحزب الشيوعي في نظام دكتاتورية البروليتاريا والبناء الاشتراكي ، وما تزال موضع صراع حاد بين الماركسية-لينينية والانتهازية التي تنكر الدور القيادي للحزب في بناء الاشتراكية والشيوعية . ونحو ذلك تتجه ، مثلا ، جهود النزعة التحريرية «اليسارية» ، التي تحاول ، في الحقيقة ، تصفية حزب الطبقة العاملة باحلال حزب الثوريـة البرجوازية الصغيرة محله . وإلى هذا يدعو ايضا انتهازيـو المذهب اليمينـي . فهم يحالون ، تحت شعارات زائفة حول الدفاع عن الديمقراطية والحرية بوجهه «دكتاتورية الحزب» الموهومـة وتحت شعار «اشاعة الليبرالية» و«اشاعة الديمقراطية» في النظام الاشتراكي ، التشهير بحزب الشيوعيين وابعاده عن قيادة المجتمع .

لقد كانت تجربة نصف قرن من تطور البلاد السوفياتية وتجربة عدد من بلدان الاشتراكية الأخرى بمثابة اختبار عملـي وتأكيد لصحة التعاليم الـلينينـية

حول الدور القيادى للحزب ، وبيننا بشكل مقنع انه بدون قيادة الحزب الشيوعى لا يمكن بناء المجتمع الاشتراكي واقامة الديمقراطية الحقة ، الاشتراكية . ان وجود دكتاتورية البروليتاريا والدور القيادى للحزب الماركسي في الدولة ، كما سبق ان رأينا لتوه ، يشكلان اهم قانون للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . بيد ان اشكال دكتاتورية البروليتاريا ، وفقا للظروف التاريخية الملحوظة لتطور هذا البلد او ذاك ، يمكن ان تكون مختلفة . ففى البلاد السوفيتية تحققت دكتاتورية البروليتاريا على شكل مجالس سوفييت ، وفي جملة من بلدان الاشتراكية الاخرى على شكل ديمقراطية شعبية . وخلافا لمجالس السوفيت تتسم الديمقراطية الشعبية في بعض البلدان (بلغاريا ، جمهوريةmania الديمقراطية ، بولونيا وغيرها) بتعدد الاحزاب وباستخدام الاشكال البرلمانية التقليدية (مجلس الدولة في هنغاريا ، البرلمان في بولونيا ، وغيرهما) ، وبوجود جبهة شعبية (وطنية) – منظمة جماهيرية تضم اكثر فئات الشعب اختلافا وتحقق بناء الاشتراكية بقيادة الحزب الشيوعى . هذا ، بالإضافة الى ان الديمقراطية الشعبية لا تعجب الحقوق السياسية عن ممثل الطبقات المستثمرة والعناصر غير الكادحة باستثناء مجرمى الحرب وشركائهم .

والفروقات بين مجالس السوفيت والديمقراطية الشعبية لا تغير من جوهر السلطة السياسية طالما ان هذه السلطة ، في الحالتين ، تعود الى الطبقة العاملة .

ولا ريب ان التاريخ يمكن ان يوفر في المستقبل اشكالا اخرى ايضا لدكتاتورية البروليتاريا . وطرق اقامة دكتاتورية البروليتاريا يمكن ان تكون مختلفة ايضا (سلمية او غير سلمية) . ففى البلاد السوفيتية ، مثلا ، اقيمت دكتاتورية البروليتاريا بقوة السلاح . فهنا اندلعت حرب اهلية . وسبب ذلك ان البرجوازية المطاح بها لم تقف فقط ضد السلطة الجديدة بقوة السلاح بل طلبت المساعدة من الامبراليين الاجانب ومهدت السبيل لتدخلهم المسلح . ولم يبق امام الطبقة العاملة في هذه الظروف سوى ان تنهض والسلاح بيدها من اجل الدفاع عن مكتسباتها .

وكان الامر مغايرا في البلدان الاشتراكية الاوروبية فالقوى الاساسية المعادية للثورة (الفاشيون والعناصر الرجعية المرتبطة بهم) كانت قد سحقت هنا في غمار الحرب العالمية الثانية ، لذا لم يكن لدى البرجوازية المطاح بها ما يكفى من القوى من اجل ابداء مقاومة مسلحة بوجه السلطة الجديدة . ولم يجاذف الامبراليون الاجانب كذلك في شن تدخل مسلح ضد البلدان المتحررة لان هذه البلدان كانت تحت حماية الجيش السوفييتي الجبار . لذا جرت اقامة دكتاتورية البروليتاريا في هذه البلدان بدون حرب اهلية . الا ان الصراع الطبقي يتتخذ هنا ايضا في بعض الاحيان اشكالا حادة للغاية ، وتضطر الطبقة العاملة للجوء الى السلاح واستخدام المساعدة ، بما فيها المساعدة المسلحة ، التي يقدمها لها اشقاءها الطبقيون في سائر البلدان الاشتراكية (كما حدث في هنغاريا عام ١٩٥٦ ، وفي تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨) .

ويتبين مما ذكر اعلاه ان دكتاتورية البروليتاريا لا ترفض رفضا قاطعا جميع الاشكال السابقة ، وخاصة البرلمانية ، لتركيب الدولة ، ولا تقضى على جميع الاحزاب والمنظمات غير الشيوعية . هذا فضلا عن انها تضعها في خدمة مصالح الشغيلة . والحزب الشيوعى ، بوصفه القوة القائدة للمجتمع ، لا يرفض التعاون مع كافة الاحزاب والمنظمات التي تساعده على اجراء التحولات الاشتراكية . الا انه يقف في الوقت نفسه ضد المعارضة السياسية للقوى الموجهة ضد اعادة بناء المجتمع على اسس اشتراكية . ويصون الحزب الشيوعى بصرامة وحدة صفوفه رافضا وجود تكتلات وتجمعات تناهض نهجه العام ، نهج الاشتراكية .

ان خصائص تقدم مختلف البلدان نحو الاشتراكية تدل بقناعة على انه لا توجد في الثورة كليشهات محددة لجميع الازمنة ، وان الثورة هي قضية ملموسة ، حية ، خلقة .

### ٣- التحويلات الاقتصادية

#### التأمين الاشتراكي

الاقتصاد هو اساس الحياة الاجتماعية ، ولهذا السبب تكتسب التحويلات الاقتصادية ، وبالدرجة الاولى تحويل الملكية الرأسمالية الخاصة لوسائل الانتاج الاساسية الى ملكية عامة ، اشتراكية ، اهمية حاسمة في المرحلة الانتقالية . ويعتبر التأمين الاشتراكي اهم وسيلة لاقامة الملكية الاجتماعية .

التأمين الاشتراكي هو مصادرة وسائل الانتاج الاساسية من البرجوازية واحتلتها الى ملكية الدولة

البروليتارية ، عنينا بها : المعامل ، المحطات الكهربائية ،  
النقل البحري وبالسكك الحديد ، المؤسسات الزراعية  
والتجارية الضخمة ، الخ . وبهذا يقضى على الملكية  
الرأسمالية الكبرى بالطريقة الثورية وتنشأ الملكية  
الاشتراكية لعموم الشعب . ويرتدى أهمية كبيرة خاصة  
تأمين الصناعة الضخمة والبنوك والتجارة الخارجية ، لأن  
الدولة في هذه الحالة تستولى على الهيئات الاقتصادية  
الحاسمة التي تمكنها من التأثير على تطور البلاد  
الاقتصادي لما فيه مصلحة الشغيلة ، وتنظيم ادارة  
الاقتصاد والعمليات الاجتماعية الأخرى ، وتحقيق  
الإنتاج المبرمج وحساب وتوزيع المنتجات ، وتأمين  
استقلال البلاد الاقتصادي عن الرأسمالية .

وبنتيجة التأمين ينشأ في اقتصاد البلاد نمط اشتراكي  
قائم على ملكية الشعب بأسره ، نمط يتسم بعلاقات  
انتاجية للتعاون والمساعدة المتبادلة ، وكذلك باشكال  
التوزيع حسب العمل . ويجري في نطاق النموذج  
الاشتراكي القضاء على الاستغلال ، وتذليل التناقض ،  
الذى سبق ان تحدثنا عنه ، بين الطابع الاجتماعي  
للانداج والشكل الخاص للتملك ، وهو التناقض الملائم  
للمجتمع الرأسمالي ، وتأخذ عفوية التطور تخلى المكان  
تدريجيا للاسس الموجهة المبرمج . وتكتسب الدولة  
البروليتارية في المؤسسات الانتاجية المؤسسة اساسا  
اقتصاديا متينا يأخذ في الاتساع والتوطد بمقدار التقدم  
 نحو الاشتراكية .

ووفقا للظروف الملموسة فان التأمين يمكن ان يتحقق  
بصورة مباشرة او غير مباشرة من خلال جملة من المراحل  
الانتقالية .

وتشكل رأسمالية الدولة احدى المراحل الانتقالية نحو التأمين . وتشكل رأسمالية الدولة يمكن ان تكون مختلفة ، منها الامتيازات ، وتأجير المؤسسات الانتاجية لارباب عمل خاصين ، والمؤسسات الانتاجية المختلطة العائدة للدولة وللملاك على السواء الخ . ومع ذلك فهى ذات طبيعة اجتماعية اقتصادية واحدة : انها مؤسسات تعمل باشراف الرأسمال الخاص ولكنها موجودة دائمًا تحت اشراف الدولة البروليتارية ، تنفذ مطالبها ، وتستخدمها الدولة ، في آخر المطاف ، لصالح بناء الاشتراكية .

وثمة اشكال انتقالية اخرى نحو التأمين هي مختلفة انواع الاشراف العمالي الذى تتحقق فى المؤسسات الانتاجية الرأسمالية جماعات عمل الشغيلة والمستخدمين العاملة فيها . ويقوم الشغيلة بالاشراف على تنظيم وادارة الانتاج ، وعلى قبول وصرف العمال والمستخدمين ، وعلى نوعية المنتجات وتوزيعها ، وعلى نظام الاجور ، الخ . واثناء تنفيذ عملية الاشراف العمالي يجتاز الشغيلة مدرسة جيدة لادارة الانتاج والتوزيع ، ويكتسبون خبرات التمويل والحساب ، الخ . وقد التجأ شغيلة روسيا الى انواع مختلفة للاشراف على المؤسسات الرأسمالية . واستخدم تجربتهم واغناها شغيلة البلدان الاشتراكية الاخرى . فقد نظموا مجالس عمالية ، ولجانا انتاجية-عميلية ، ولجانا معملية-صناعية كانت بمثابة خطوة هامة في الطريق نحو التأمين .

يجرى كذلك في المرحلة الانتقالية تأمين (كامل او جزئي) للارض التى تعود لكبرى المالكين العقاريين . ففى الاتحاد السوفياتي ، مثلا ، اممت كل الارض وسلم

قسمها الاكبر الى الفلاحين للانتفاع بها الى الابد وبدون مقابل . اما القسم الآخر فقد استخدمته الدولة من اجل تنظيم المؤسسات الزراعية التابعة للدولة (السuo فخوزات) . وفي بلدان اخرى امم قسم من الارض ، اما القسم الآخر فقد جرى تمليكه للفلاحين .

ان التأمين ، وهو حتمى بالنسبة لجميع البلدان التي تشرع بسلوك طريق الاشتراكية ، يتحقق على نحو متمايز في مختلف البلدان . ففي الاتحاد السوفييتي تم التأمين في مهل قصيرة جدا : خلال بضعة أشهر فقط (كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ - حزيران (يونيو) ١٩١٨) .

ولم تحظ الاشكال الانتقالية ، وخاصة رأسمالية الدولة ، بانتشار واسع نظرا لكون البرجوازية لم ترغب في غرس هذه الاشكال وكانت تعرقل بشتى الطرق اجراءات السلطة السوفييتية . اما في بلدان الديمقراطية الشعبية فقد استمرت عملية التأمين بضع سنوات . فقد جرت في هذه البلدان قبل كل شيء ، مصادرة المؤسسات العائدة لاعوان المحتلين الفاشيين ، ثم اخذ التأمين يتناول تدريجيا المؤسسات الأخرى ايضا . وانتشرت هنا على نحو واسع مختلف اشكال رأسمالية الدولة ، وخاصة المؤسسات المختلطة . وفي عدد من البلدان دفعت تعويضات للملاكين السابقين عن مصادرة مؤسساتهم ، بينما لم تدفع اي تعويضات في البلاد السوفييتية .

### اشاعة التعاون في الزراعة

ان انتصار الاشتراكية التام في الاقتصاد الوطنى وانشاء الاقتصاد الاشتراكي يفترضان بالضرورة اجراء تحولات في اقتصاد صغار الفلاحين المنتجين .

فبأية طريقة ، اذن ، يجري تثبيت الملكية الاشتراكية في القرية ، في الزراعة ؟

قد يبدو للمرء ان الامر على ابسط ما يكون : مجرد الاقدام على تأمين الاستثمارات الصغيرة بجعلها ملكا للدولة . الا ان القيام بذلك لا يمكن السماح به بأى حال من الاحوال اذ ان الملاك الصغير ، الفلاح ، لا يعتبر مستثمرا رغم انه صاحب ملكية . انه شغيل كادح يكسب رزقه بعمله وعرق جبينه ، ولا يجوز ، بالطبع ، مصادرة ملكيته شأن ملكية الرأسمالية الكبير والملاك العقاري . بالإضافة الى ذلك ينبغي ان تؤخذ بالحسبان نفسية الفلاح الذى امتنج مع قطعة ارضه .

كما ان الفلاحين القليل الاراضى والمحرومین منها والعمال الزراعيين انما يشاركون في الثورة بنشاط على امل الحصول على الارض وان يصيروا اصحابا اكثرا غنى ورفاهها . والثورة المنتصرة لا يمكن ان تخيب آمالهم . وابان الثورة يجري عادة تمليک قسم ملحوظ من اراضي كبار المالكين السابقين (الملاكين العقاريين والرأسماليين) لا ولئك الذين يعملون فيها ، اى للعمال الزراعيين والفقراء وال فلاحين المتوسطى الحال ، فيحصل بنتيجة ذلك لا تكبیر الاستثمار بل على العكس زيادة تفتیتها . لذا فان عدد صغار المنتجين في الزراعة لا ينقص بعد الثورة بل يزداد على العكس .

والطريقة الوحيدة الممكنة لتغيير وجه الريف على نحو اشتراکي في هذه الظروف هي اشاعة التعاون في الزراعة . فالاستثمارات الصغيرة الخاصة في الريف تتوحد طوعا في استثمارات جماعية ضخمة تدعى تعاونيات .

واهم ميزة من ميزات التعاونيات هي تعميم العمل ووسائل الانتاج الاساسية . ويمكن للتعاونيات ان تتخذ اشكالا مختلفة وفقا لدرجة تعميم العمل والادوات . وقد اعطت تجربة اشاعة التعاون في الزراعة في الاتحاد السوفيفيتي وسائل بلدان الاشتراكية ثلاثة اشكال اساسية للتعاونيات :

١- جمعية فلاحية الارض . وهذا يعتبر الشكل الاول ، الادنى ، للتعاونيات . ووسائل الانتاج والارض هنا لا يجري تعميمها ، بل يعمم العمل وحده : يتوحد الفلاحون من اجل القيام بصورة مشتركة بهذه الاعمال الزراعية او تلك .

٢- تعاونية تعمم فيها وسائل الانتاج والعمل ، بينما تبقى الارض ملكا للفلاحين . وتوزع المداخل طبقا لذلك : قسمها الاكبر يوزع حسب العمل ، والقسم الاصغر وفقا لمساحة الارض العائدة لعضو في التعاونية .

٣- المزرعة التعاونية . هنا تعمم الارض والعمل ووسائل الانتاج ، بينما يعتبر التوزيع حسب العمل الشكل الاساسي للتوزيع . وهذا الشكل للتعاونية يطلق عليه في الاتحاد السوفيفيتي اسم **كولغوز** (تعاونيات زراعية) . وبنتيجة اشاعة التعاونيات تصنف في الزراعة تدريجيا الملكية الصغيرة الخاصة وتطور الملكية الاشتراكية ، الاجتماعية . وهذه الملكية تشبه ، من حيث جوهرها ، الملكية الاشتراكية للدولة طالما انها تستبعد الاستثمار وتومن مبدأ التوزيع حسب العمل . الا ان الملكية التعاونية لا تعود للشعب بأسره ، كما هي الحال بالنسبة لملكية الدولة ، بل لفريق من الناس اعضاء التعاونية .

انها ملكية اشتراكية لجماعة من الناس .

وتعتمد العمل ووسائل الانتاج في ظل اشاعة التعاون لا يعني القضاء على الاستثمار الشخصية . اذ يبقى ملكا لعضو التعاونية البيت والادوات المنزلية وماشية اللحوم والحليب وبعض ادوات العمل التي تتيح له العمل في استثمارته الشخصية الموضوعة تحت تصرفه (او ملكيته) والملحقة ببيته .

وخطة اشاعة التعاون في الزراعة في الاتحاد السوفيفيتي طرحها لينين . ويعتبر المبدأ الاساسي لهذه الخطة مبدأ انضمام الفلاح بصورة طوعية الى التعاونيات . وكان لينين وحزب الشيوعيين يعارضان غرس التعاونيات بالطريقة الادارية الاكراهية رغم رغبة الفلاحين ، وقد نوهوا ماراً بان اجتذاب الفلاحين الى التعاونيات ينبغي ان يجري بطريقة الاقناع والتبيين الواضح لافضليات الاقتصاد التعاوني على الاقتصاد الصغير الخاص .

وتنص الخطة اللينينية لاشاعة التعاون الاشتراكية على الطابع التدريجي للتحولات الاشتراكية في الريف ، والانتقال من الاشكال الدينية للتعاونيات الى الاشكال العليا منها ، وطالب بان تؤخذ بالحسبان الظروف الملحوظة (الجغرافية ، الاقتصادية ، القومية ، الخ) ، وتقضى لتطبيق الدائب لمبدأ الديمقراطية في ادارة شؤون التعاونيات والجمع بين المصالح الشخصية والمصالح الاجتماعية .

وكان لينين يولي اهتماما خاصا لتقديم مساعدة للتعاونيات من جانب الدولة البروليتارية ، ولتوطيد وتطوير تحالف الطبقة العاملة والفلاحين . والدولة

البروليتارية ، بتقديمها المساعدة للتعاونيات في التزود بالآلات الزراعية وفي استخدام منجزات العلم الزراعي ، وفي تنظيم معالجة الارض والرى وغيرها من الاجراءات ، وبتنظيمها الشامل للتجارة الحكومية والتعاونية بين المدينة والقرية ، انما تساعد على انماء الانتاج الزراعي وتحسين معيشة الفلاحين . والفلاحون اذ يحسون بالمساعدة والمساندة اليومية من جانب الطبقة العاملة القابضة على زمام السلطة يغمرهم شعور من الاحترام العميق والثقة نحوها ويغدون مشاركين نشيطين في بناء الاشتراكية .

وتحدث اشاعة التعاونيات تأثيرا طيبا للغاية على تطور الانتاج الزراعي . فهى تكبر الاستثمار وتفسح في المجال امام استخدام اكمل الآلات الزراعية ومنجزات العلم وتخلق الامكانية امام الاستخدام الاكثر صوابا للقوة العاملة ووسائل الانتاج الموحدة . هذا ، بالإضافة الى ان الزراعة ، نتيجة لقيام الملكية الاشتراكية ، تغدو قابلة للادارة ايضا وتُجتذب الى دائرة التخطيط والتوجيه على نطاق الدولة بأسرها . اما القيام عن وعي بتوجيه الاستثمارات الصغيرة الفردية التي تتطور بصورة عفوية وتخطيط نشاطها فامر غير ممكن عمليا . ونتيجة لاشاعة التعاون يأخذ انتاج المنتجات الزراعية في الازدياد . من ذلك على سبيل المثال انه اذا اخذنا المنتوج الزراعى الاجمالى في روسيا عام ١٩١٣ كأساس مئوى ، فقد شكل هذا المنتوج في عام ١٩٤٠ في الاتحاد السوفياتي (بانتهاء عملية اقامة التعاونيات) ١٤١٪ . وفي الوقت نفسه انخفض الى حد كبير عدد السكان الريفيين بسبب نمو الصناعة نموا عاصفا .

وبالاضافة الى التعاونيات الزراعية (الكولخوزات) يجري في الريف تنظيم مؤسسات زراعية حكومية ضخمة : سوفخوزات ، وهي ملك للشعب بأسره .

وبتجميع الاستثمارات الفلاحية في تعاونيات ، وتنظيم السوفخوزات ينتهي التمايز (التقسيم) الاجتماعي للفلاحين الى فقراء ومتوسطين واغنياء (كولاك) ، ويقضى على امكانية وجود ، ناهيك عن انبعاث ، العناصر الرأسمالية الخاصة في الريف : الكولاك ، والتجار الخاصين . اما الفلاحون فيتحولون من طبقة برجوازية صغيرة الى طبقة اشتراكية . وبهذا بالذات تقام وتتوطد الاشتراكية في الريف ، في الزراعة . ويکف الانتاج الاشتراکي عن البقاء بوصفه مجرد احد الانماط ويتحول ، من حيث الجوهر ، الى نظام اقتصادي اشتراکي موحد يشمل جميع الفروع ، ويتم تحقيق الانتصار الاقتصادي الناجز للاشتراكية .

واشكال التحولات الاشتراكية ليست مماثلة في مختلف البلدان . ففي تشيكوسلوفاكيا ، مثلا ، نشأت اربعة اشكال للتعاونيات الزراعية يمتاز احدها عن الآخر بدرجة تعميم وسائل الانتاج والعمل . وفي كوبا ، حيث ينتشر بصورة واسعة للغاية انتاج قصب السكر وغيره من المزروعات في المزارع ، جرى انشاء استثمارات حكومية ضخمة : المزارع الشعبية ، والتي تبلغ حصتها حاليا اكثر من ثلاثة اربعين ملصق قصب السكر ، وكل انتاج المحاصيل المستخدمة في الصناعة ، ونصف عدد رؤوس الابقار .

## التصنيع الاشتراكي

يعتبر التصنيع الاشتراكي ، اي انشاء صناعة ضخمة عصرية قائمة على احدث منجزات العلم والتكنيك ، شرطا هاما للغاية واساسا لبناء الاشتراكية وخاصة في البلدان ذات التطور الصناعي الضعيف او غير الكافي . ويشكل التصنيع ، اي تطوير الصناعة الثقيلة ، اسساً اسس المجتمع الاشتراكي الذي يقام في الفترة الانتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية . وقد كتب لينين يقول : «ان القاعدة المادية للاشتراكية لا يمكن ان تكون الا الصناعة الآلية الضخمة التي من شأنها ان تعيد ايضا تنظيم الزراعة» \* .

ويؤمن التصنيع الاشتراكي تقدما علميا تكنيكيا متواصلا في الاقتصاد وزيادة دائمة في انتاجية العمل ورفع مستوى تجهيزه بالمعدات وتحسين ظروف النشاط العملي . وهو يضمن اعادة بناء جميع فروع الاقتصاد الوطني على احدث اساس تكنيكى ، وتقدم العلم والتكنيك والثقافة ، وبلغ استقلال البلاد الاقتصادي والسياسي وتوطيده وتعزيز قدرتها الدفاعية .

ويرتدى التصنيع اهمية اجتماعية سياسية كبيرة ايضا . فهو يوطد الملكية الاجتماعية في المجال الحاسم من الاقتصاد ، ويؤمن ازاحة العناصر الرأسمالية في المدينة وانتصار النمط الاشتراكي في الصناعة . وبنمو الصناعة الضخمة تنمو الطبقة العاملة ويزداد دورها واهميتها في الحياة الاجتماعية وتأثيرها على

---

\* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٤ ، ص ٩ .

الطبقات والفئات الاجتماعية الأخرى . وهذا يعني انه بتطوير التصنيع تتسع وتوطد ليس فقط القاعدة الاقتصادية بل للدولة اليموليتارية وقاعدتها السياسية ايضا وترسخ موقع القوى الاجتماعية الاشتراكية . ومن الهام بمكان ان نشير الى ان التصنيع الاشتراكي واشكاله وطرائقه تميّز جذريا عن التصنيع الرأسمالي . فالتصنيع الرأسمالي يتحقق على حساب استثمار الكادحين ونهب شعوب البلدان الأخرى الاقل تطورا ، او على حساب ابتزاز اتاوة حربية من الشعوب المهزومة . اما التصنيع الاشتراكي فيجري بالدرجة الاولى على حساب التراكمات الداخلية الحاصلة بنتيجة رفع انتاجية العمل ، واتباع التخطيط في الاقتصاد ، واشد اشكال التوفير صرامة ، والاستخدام الرشيد للمواد والابدي العاملة والموارد المالية .

واهداف التصنيع الاشتراكي مغايرة ايضا من حيث المبدأ . ففي حين ان هدف التصنيع الرأسمالي هو حصول الرأسماليين على اكثـر ما يمكن من الارباح فـان التصنيع الاشتراكي يخضع في نهاية المطاف لهدف انسانـي ، هـدف خـدمة الانـسان الكـادح وتـلبـية حاجـاته ، هـدف تـطـوير هذا الانـسان من جـمـيع النـواـحي .

وليس التصنيع بالقضية السهلة طبعا . فهو يتطلب جهود عمل ضخمة من جانب الشعب ومبـلغ كبيرة ، وهو يرتبط في احيـان كـثـيرـة بمـصـاعـب وحرـمانـات مـعـروـفة . وكان الامر صعبـا بـوجـهـه خـاصـا بـالـنـسـانـ السـوفـيـتـيـنـ الذين كانوا اولـين من شـقـ الطريق نحو الاشتراكـية امامـ البشرـية . فـلـقـد كـانـتـ البلادـ متـخـلـفةـ ومـخـربـةـ بـنـتـيـجـةـ الـحـربـ الـعـالـمـيـةـ الـاـولـيـةـ والـحـربـ الـاـهـلـيـةـ .

وكان محاطة باعداء حاولوا بجميع الوسائل - من الحصار الاقتصادي حتى التدخل العسكري - عرقلة البناء الاشتراكي . وكانت روسيا السوفيتية محرومة من امكانية الحصول على قروض ، اذ ان الامبراليين اعتادوا تقديم الاموال فقط كبديل لفقدان الاستقلال السياسي ، الامر الذي لم يكن بوسع العمال وال فلاحين ، بالطبع ، الموافقة عليه . فهم لم يطردوا رأسمالييهم كي يقعوا في عبودية رأسماليين اجانب .

لم يكن ثمة سوى خيار واحد : اعتماد على النفس ، على ارادة وطاقة وعمل الشعب الشورى . لقد كان الناس السوفيتيون في وضع صعب ، وترتب عليهم احيانا ان يحرموا انفسهم من اشياء كثيرة ، الا انهم صمدوا ، وانشأوا صناعة ممتازة وما يزلون يطورونها ويتقنونها . لقد غير التصنيع وجه البلاد السوفيتية بصورة جذرية . فقد انشئت من جديد فروع صناعية كاملة ، وغطت البلاد شبكة كثيفة من المصانع والمعامل والمحطات الكهربائية الضخمة . وتضاعف عموما الانتاج الصناعي الاجمالي ٧,٧ مرات عام ١٩٤٠ بالمقارنة مع عام ١٩١٣ ، وانتاج وسائل الانتاج ١٣,٤ مرة ، والطاقة الكهربائية اكثر من ٢٤ مرة ، والصناعة الكيميائية ١٦,٩ مرة ، وبناء المكائن ومعالجة المعادن ٢٩,٦ مرة . وبنتيجة التصنيع اصبحت البلاد ، التي كانت تستورد المكائن من الخارج ، تنتج بل وتصدر ماكينات ومعدات عصرية . واتاحت نجاحات التصنيع انشاء زراعة تعاونية ضخمة ، وتزويدها بالآلات الزراعية الحديثة ، ورفع مستوى حياة الشعب ، وتعزيز دفاع البلاد .

واحرزت بلدان النظام الاشتراكي الاخرى كذلك

نجاحات جدية في طريق التصنيع . فقد أخذ الانتاج الصناعي ينمو في هذه البلدان ، وتطور بوجهه خاص الفروع التي تشكل اساس الاقتصاد الوطني وتومن التقدم التكنيكى (انتاج الطاقة الكهربائية ، بناء المكائن ، الانتاج الكيميائى ، وغيرها) وقد بلغت حصة هذه الفروع في منتجات مجلس صناعة البلدان الاعضاء في مجلس التعاون الاقتصادي ٤٥٪ عام ١٩٧٢ ، الامر الذى يطابق تقريراً مسحياً اكش الدول الرأسمالية تطوراً .

وكانت ظروف بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي ، وخاصة واقع ان هذا البناء كان يجري تحقيقه في بلد واحد محاط بدول امبريالية معادية ، تتطلب من الناس السوفياتيين تسريع وتثبيت التصنيع وتطوير كافة فروع الصناعة الأساسية . والحال انه ، بالقضاء على التخلف وبناء صناعة حديثة وتعزيز دفاع البلاد على هذا الاساس ، بذلك فقط كان يمكن الوقوف بوجه قوى الامبريالية العدوانية . وعطفاً على ذلك ، كما سبق القول ، ترتب على الناس السوفياتيين ان يقاوموا مصاعب وحرمانات جديدة . اما بلدان الديمقراطية الشعبية في اوروبا الشرقية فقد خلصت من هذه المصاعب الى حد كبير . فلم يكن ثمة من ضرورة الى تسريع وتثبيت التصنيع وتطوير كافة فروع الصناعة اذ انه كانت لديها امكانية استخدام افضليات التوزيع الاشتراكي للعمل وتجربة الاتحاد السوفياتي ، والاعتماد على مساعدته وعلى مساعدة البلدان الاشتراكية الأخرى .

وعلى العموم ينبغي القول انه ليس الزامي في الظروف الراهنة ان يعتمد كل بلد ، وبصورة اولى اذا كان صغيراً يسلك طريق الاشتراكية ، يعتمد الى انشاء

وتطوير مجموع الفروع الحديثة للصناعة . انه امر غير قابل للتحقيق وعديم الجدوى . فالاليوم ، وقد تطور كثيرا تخصص الانتاج وتقسيمه ، وقد ولجت بلدان الاشتراكية طريق التكامل الاقتصادي ، اصبحت لدى كل بلد بمفرده امكانية تركيز اهتمامه على فروع معينة ، على تلك الفروع التي يملك الخامات الضرورية والملاكات ، الخ ، من اجل تطويرها . اما منتجات الفروع الاخرى فباستطاعته الحصول عليها من بلدان الاشتراكية الاخرى ، وبصورة جزئية من البلدان الرأسمالية ايضا .

ان مسألة التصنيع بالنسبة للبلدان المتقدمة صناعيا ليست بنفس المقدار من الحدة كما هي الحال بالنسبة للبلدان الزراعية . بيد انه تمثل امامها ايضا في المستقبل مهمة الاتقان اللاحق للصناعة وتطويرها على اساس احدث منجزات العلم والتكنيك .

#### ٤ - اعادة تنظيم العلاقات القومية

تشكل اعادة تنظيم العلاقات القومية اشتراكيا ، على اساس مبادى الاممية البروليتارية ، احدى اهم مهام المرحلة الانتقالية . ويترسم حل هذه المهمة بمعزى خاص بالنسبة للبلد المتعدد القوميات حيث توجد ، الى جانب الامة السائدة ، امم خاضعة ، مضطهدة . وهكذا بالذات كان الحال في روسيا القديمة التي كانت تقطنها عشرات من الشعوب الكبيرة والصغريرة .

ان المجتمع الرأسمالي ، القائم على الملكية الخاصة والاستثمار ، هو في الوقت نفسه مجتمع القهر القومي

واستعباد امم لامم اخرى . وانطلاقا من ذلك فان مهمة الثورة الاشتراكية لا تنحصر في القضاء على القهر الاجتماعي ، الطبقي وحسب بل وعلى القهر القومى ايضا الذى يعتبر مراقبا دائما للقهر الطبقي . والاشتراكية ، بقضائها الى الابد على الاستثمار والتناحر الطبقي ، تضع حدا للاضطهاد القومى وللعداء القومى ، وتؤمن ازدهارا حقيقا وثقة متبادلة وتقاربا بين الشعوب .

وقد كتب ماركس وانجلس فى «بيان الحزب الشيوعى» : «بمقدار ما سيدتم القضاء على استثمار فرد آخر ، بنفس المقدار سيدتم القضاء على استثمار امة اخرى .

ومع انهيار تناحر الطبقات داخل الامم تنهار كذلك العلاقات العدائية بين الامم» \* .

وقد صاغ لينين البرنامج الملحوظ لحل المسألة القومية ، برنامج ازدهار وتقرب الامم . اما المبادئ الاساسية لهذا البرنامج فهى : اشاعة ديمقراطة كاملة في الحياة الاجتماعية ، اقامة مساواة تامة في الحقوق لجميع الاجناس والامم ، منح الامم حق تقرير المصير وصولا الى انشاء دول مستقلة ، التلامم الاممى للطبقة العاملة لجميع قوميات البلاد . وساعد البرنامج القومى اللينينى ، المفعم بالاحترام للشعوب كبيرة وصغيرة وبالاهتمام العميق لاعز آمالها وامانيتها ، على تلامم عمال وفلاحى روسيا المتعددة القوميات فى تحالف لا ينفصل بقيادة الطبقة العاملة ، تحالف باعتباره احد اهم عوامل انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى .

---

\* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٤ ، ص ٤٤٥ .

وقد نادى «بيان حقوق شعوب روسيا» الذي اقرته الحكومة السوفيتية ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧ ، بتصفيية الاضطهاد القومي واقامة المساواة السياسية والحقوقية للامم والاقوام العديدة في البلاد . ولكن كان من المستحيل ان تقتصر مسألة تحرير الامم على تصفيية الاضطهاد القومي واقامة مساواة الامم في الحقوق السياسية والقانونية . فقد كان الامر الرئيسي يكمن في القضاء على تخلفها الاقتصادي والثقافي المزمن الذي ورثته عن روسيا الحكم المطلق . وقد حلت الدولة الاشتراكية السوفيتية هذه المهمة الصعبة بنجاح ايضا . فهي لم تكتف بمنع الامم المضطهدة سابقا الحق في التطور المستقل بل وساعدتها على ازالة التخلف وبلغ ذرى شاهقة في تطوير اقتصادها وثقافتها القومية .

بعد تعمير الاقتصاد الوطني الذي خربته الحرب الامبرialisية وال الحرب الاهلية سلك الحزب الشيوعي والحكومة السوفيتية على الفور نهجاً موجهاً نحو تصنيع الجمهوريات القومية . وبفضل العناية الدائمة من جانب الحزب والحكومة والمساعدة النزيهة من قبل الامم الاخرى ، وبالدرجة الاولى الشعب الروسي ، نشأت في الجمهوريات المختلفة سابقاً فروع صناعية جديدة وامنت وتأثر تطور عالية لم يسبق لها مثيل . كما تغيرت جذريأياً ايضا الزراعة في الجمهوريات القومية . فقد غدت زراعة تعاونية مجهزة باحدث المعدات .

وعلى اساس تطور الاقتصاد نمت في الجمهوريات السوفيتية ملاكات وطنية كفوءة وفئة مثقفين كبيرة العدد . وتم القضاء على التخلف الثقافي . وقامت شعوب

الاتحاد السوفييتي ليس فقط باعمق انقلاب في الحياة الاقتصادية بل وباعظم ثورة ثقافية ايضا .

وقدت كافة جمهوريات الاتحاد السوفييتي جمهوريات يحسن فيها الجميع القراءة والكتابة ، فقد انشئ فيها عدد كبير من المدارس ودور التعليم العالي ومؤسسات البحث العلمي والثقافة . وازدهرت فيها ثقافة جديدة ، اشتراكية المضمون وقومية الشكل .

وهكذا ، فان الاطراف القومية السابقة لدى روسيا قد تحولت اثناء بناء الاشتراكية من مناطق متخلفة اقتصاديا وثقافيا تزود روسيا القيصرية بالمنتجات الزراعية والمواد الخام الى دول اشتراكية متقدمة ذات سيادة تملك صناعة عالية التطور وزراعة عالية المردود وطبقة عاملة وفئة مثقفين خاصة بها . وتحولت الشعوب المتأخرة سابقا الى امم اشتراكية ، جديدة نوعيا ، توحدها جامعة المصالح الاقتصادية والسياسية والروحية في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية . وقد ترسخت في ايديولوجيا هذه الامم بشكل متين ايديولوجيا الاممية البروليتارية .

وبنتيجة انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي نشأ كيان تاريخي جديد من الناس : الشعب السوفييتي . انه كيان قائم على التغيرات الموضوعية العميقية في الانتاج وحياة البلاد الاجتماعية والروحية ، وعلى نشوء وتطور الامم الاشتراكية ، وعلى جامعة مصالحها الاقتصادية والسياسية ، وعلى الايديولوجيا الماركسية\_لينينية الواحدة .

ومما يزيد في اهمية منجزات الاتحاد السوفييتي في حل المسألة القومية ان العديد من الاقوام التي كانت تقطن

روسيا قد ولجت طريق التطور الاشتراكي متتجاوزة مرحلة الرأسمالية . ففى غضون حياة جيل واحد استطاعت اجتياز الطريق من العلاقات الاقطاعية حتى ما قبل الاقطاعية الى الاشتراكية .

ان الحل الناجح للمسألة القومية في الاتحاد السوفيفيتي لصالح الشعوب - وهى احدى اكثى مسائل تطور البشرية تعقیدا وحدة - يشكل مظها ساطعا لانتصار افكار الاشتراكية العلمية ، افكار الاممية البروليتارية .

وقد دلت تجربة البناء القومى في الاتحاد السوفيفيتي بصورة مقنعة على ان الثورة الاشتراكية وحدتها تخلق الشروط من اجل القضاء التام على الاضطهاد القومى ، ومن اجل التوحيد الطوعى لشعوب حرة ومتساوية في الحقوق في دولة واحدة ، ومن اجل الازدهار الحقيقى لللامم والتقريب فيما بينها . وتستخدم هذه التجربة حاليا وتنجذب دول النظام العالمى للاشتراكية التي تحل على اساسها المسألة القومية سواء داخل كل بلد بمفرده ام في نطاق اسرة الامم الاشتراكية ككل .

وتتسم هذه التجربة الثمينة باهمية كبيرة كذلك سواء بالنسبة لشعوب الدول الوطنية الفتية ذات السيادة التي تحررت من النير الاستعماري ، او بالنسبة لتلك الشعوب التي تخوض النضال في سبيل تحررها من الاستعمار . وتشكل نجاحات شعوب الاتحاد السوفيفيتي بالنسبة اليها مصدر الهم وقوة في نضالها الشاق ضد الامبراليه والاستعمار . انها ترى في حاضر الامم الاشتراكية مستقبلهاهى .

## ٥ – الثورة الثقافية

الثورة الثقافية ، باعتبارها قانونا هاما من قوانين بناء الاشتراكية ، ليست الا خلقا لثقافة جديدة ، بروليتارية من حيث جوهرها الظبقي ، اشتراكية ، محل الثقافة القديمة ، البرجوازية . ولدى ذلك ، فان الطبقة العاملة المنتصرة ، بخلقها الثقافة الجديدة ، لا تتنكر للثقافة البرجوازية بشكل قاطع ، بل تتقبل افضل منجزاتها وتراجعها بصورة انتقادية ثم تضعها في خدمة الشعب بأسره . فباستيعاب ارث الماضي الثقافي ومراجعة ناقده ، بذلك فقط يمكن خلق الثقافة الجديدة للاشتراكية .

فما الذى نعنيه بتقبل منجزات ثقافة الماضي ومراجعتها بصورة انتقادية ؟ ان ذلك يعني ان المجتمع الجديد يضع في خدمته منجزات الفكر العلمي والتكنيكى وتلك المؤلفات الادبية والفنية التي تتميز بروح تقاليد تحررية وديمقراطية وتعكس عمل الشعب ونضاله بشكل ماهر وبراعة فنية رفيعة ، وافضل نماذج اللغة الادبية والاسكال والاساليب الكلاسيكية لتصوير الواقع . الا ان خلق ثقافة اشتراكية حقة لا يعني مجرد اقتباس وتقليد اعمى لمنجزات ثقافة الماضي ، بل يفترض انتقاء دقيقا لكل ما يخدم قضية الاشتراكية ، ونبذ مختلف انواع الآراء الرجعية ، والاستخدام العاذق لتجربة الماضي في الظروف الجديدة . فالناس السوفيتيون ، مثلا ، يمجدون اليوم ايضا الادب العبرى لتولستوى ودوستويفسكي ويتعلمون لديهما معرفة الكتابة بمهارة عن هذه او تلك من نواحي الحياة

الاجتماعية ، والاستشفاف عميقا في مكنونات النفس البشرية . الا انهم لا يستطيعون ان يتقبلوا روح التصوف واللاعقلانية لدى دوستويفسكي و تعاليم تولستوي حول عدم مواجهة الشر بالعنف .

والى جانب استيعاب ثقافة الماضي ومراجعتها بصورة انتقادية تفترض الثورة الثقافية استخدام تجربة و معارف فئة المثقفين القدماء التي خدمت اكثريتها الساحقة الطبقات السائدة ، واعادة تربيتها واجتنابها الى المشاركة النشيطة في البناء الاشتراكي . وتأخذ في التكون فئة مثقفين شعبية جديدة يشكل جمهورها الاساسى العمال وال فلاحون الذين تلقوا تعليمهم في ظل السلطة الجديدة ، السوفيتية .

يؤلف النهوض **بالتلليم والتوصيل الشعبي** احدى اكبر مهام الثورة الثقافية . فالدولة البروليتارية تنشئ شبكة كثيفة من مدارس التعليم العام ودور التعليم الثانوى التخصصى والعالى ومختلف انواع المدارس المهنية-التكنيكية ، التي تفتح ابوابها على مصراعيها امام شغيلة المدينة والقرية .

ان الحج مهمه لدى الثورة الثقافية هي توطيد **الايديولوجيا الاشتراكية ، الماركسيّة-اللينينية** ، وتنظيم مجمل حياة المجتمع الروحية على اساسها ، وتربيه الناس وتحويلهم الى بناء نشيطين للاشتراكية ، وازالة النفسية والأخلاق الجشعة والامزجة والآراء البرجوازية الصغيرة من وعي الناس .

والثورة الثقافية ضرورية في البلد المتتطور ثقافيا والبلد مختلف على حد سواء . فحتى في البلد الرأسمالي الاكثر تطورا يعاني قسم كبير من السكان ، اى الشغيلة ،

كقاعدة عامة ، من عدم الحصول على امكانية التمتع بمنجزات الثقافة ، اما نصيبهم فهو العمل من اجل مصالح الطبقة السائدة . وتعمد الطبقة السائدة ، وهى تحتكر لنفسها ممارسة النشاط الثقافي والعمل الفكري ، تعتمد احيانا كثيرة الى حصر التطور الثقافي للكادحين بذلك الحد الادنى الذى يعتبر ضروريا للقيام بوظائف انتاجية معينة . اما بالنسبة للبلدان المختلفة فضوررة الثورة الثقافية تتجلى فيها بوضوح اكثرا . يضاف الى ذلك انه في جميع البلدان بلا استثناء تمثل مهمة تأمين انتصار الايديولوجيا الاشتراكية على الايديولوجيا البرجوازية ، مهمة التربية الشيوعية للكادحين .

ولا يجوز تصور الثورة الثقافية على انها عمل ما مفاجيء ، دفعه واحدة ، سريع الجريان . انه عملية تدريجية تتطلب حقبة من الزمن تتراوح في امتدادها ، وعملا متعبا ومثابرا ، وتنظيميا بارعا . ويستحيل حل مسائل التحويل الثقافي للمجتمع بمجرد اصدار مراسيم ، بعمره قلم بسيطة . فمن المهم بمكان هنا ان تدرك الجماهير الشعبية ضرورة النمو الثقافي ، وان يستخدم طموحها الى المعارف والثقافة على اكمل وجه وبالاتجاه المطلوب . ومن اجل خلق ثقافة اشتراكية جديدة لا بد كذلك من وجود قاعدة مادية متينة . وتنشأ هذه القاعدة ابان التحويل الاشتراكي للاقتصاد ، ابان التأمين والتصنيع واقامة التعاونيات .

ان الدولة البروليتارية تؤمن وتضع تحت تصرف الشعب بأسره كافة مؤسسات الثقافة ، جميع وسائل التأثير الروحى على الناس : المسارح ، المتاحف ، دور

السينما ، الاذاعة ، الصحافة ، الغ ، وتبني ايضا مؤسسات ثقافية جديدة . وهى تأخذ في يديها قضية تعليم وتربيـة الشغيلة ، وتعـيد تنـظيم دور التعليم العام والتخصصـى (الثانوية والعلـيا) بصـورة جـذرـية لما فيه مصلحة الشعب . وبهـذا بالـذات تـنفتح امام فـئـات واسـعة من الشـغـيلـة امـكـانـيات لم يـسبق لها مـثـيلـ من اجل رفع مستواهم التعليمـى العام والتـخصـصـى .

لقد كان منظـرو الامـمـيـة الثـانـيـة الـانتـهـازـيون ، يـؤـكـدونـ فيـ حينـهـمـ انهـ بـدـونـ بـلوـغـ مـسـتـوـىـ ثـقـافـيـ معـينـ ، وـبـدـونـ وـجـودـ عـدـدـ كـافـىـ مـنـ المـتـقـفـينـ وـالـمـلـاـكـاتـ التـقـافـيـةـ لاـ يـجـوزـ لـلـطـبـقـةـ العـاـمـلـةـ انـ تـسـتـوـىـ عـلـىـ الـحـكـمـ ، وـذـلـكـ لـانـ الجـمـاهـيرـ الشـعـبـيـةـ «ـغـيـرـ المـشـقـفـةـ»ـ لـيـسـ بـمـقـدـورـهـاـ ، كـمـاـ يـزـعـمـونـ ، اـدـارـةـ الدـوـلـةـ وـتـأـمـيـنـ اـنجـازـ بـنـاءـ الـمـجـتمـعـ الاـشـتـراكـىـ .

وقد اشار لينين ، في سياق فضـحـهـ لـلـانتـهـازـيـينـ ، الى انه يـجـبـ عـلـىـ الـبـرـولـيـتـارـيـاـ ، اذاـ كـانـتـ المـقـدـمـاتـ الـضـرـورـيـةـ قـدـ نـضـجـتـ لـذـلـكـ ، انـ تـسـتـوـىـ عـلـىـ السـلـطـةـ دـوـنـ تـبـاطـؤـ ، ثـمـ انـ تـعـمـلـ فـيـمـاـ بـعـدـ بـدـونـ كـلـلـ عـلـىـ رـفـعـ مـسـتـوـىـ الشـغـيلـةـ الشـقـافـيـ ، خـاصـةـ وـانـ دـكـتـاتـورـيـةـ الـبـرـولـيـتـارـيـاـ تـخـلـقـ مـنـ اـجـلـ ذـلـكـ اـكـثـرـ الـظـرـوفـ مـؤـاتـةـ . وهـكـذاـ بـالـضـبـطـ تـصـرـفـ الـعـمـالـ ، هـكـذاـ تـصـرـفـ الـجـمـاهـيرـ الـكـادـحةـ فـيـ روـسـيـاـ وـعـدـدـ مـنـ الـبـلـدـانـ الـآخـرـىـ . فـلـمـ يـأـخـذـوـ يـنـتـظـرـونـ حـتـىـ يـرـتفـعـ مـسـتـوـىـ الشـعـبـ الشـقـافـيـ الـمـسـتـوـىـ الـلـازـمـ ، مـنـ وجـهـةـ نـظرـ الـانتـهـازـيـينـ ، لـلاـسـتـيـلـاءـ عـلـىـ السـلـطـةـ .

فقد استـولـتـ الطـبـقـةـ العـاـمـلـةـ الـمـتـحـالـفـةـ معـ الـجـمـاهـيرـ الـكـادـحةـ فـيـ روـسـيـاـ عـلـىـ السـلـطـةـ فـيـ بلدـ مـتأـخرـ ثـقـافـيـاـ ،

في بلد كانت اغلبية سكانه من الاميين والتعليم والتحصيل في انحطاط عميق . و مباشرة بعد الاستيلاء على السلطة عملت الطبقة العاملة كل ما بوسعها من اجل القضاء بأقصر مهلة على التخلف الثقافي في البلاد ورفع المستوى الثقافي لدى الشعب . وحتى عام ١٩٣٧ ، اي حتى زمن انتهاء المرحلة الانتقالية ، تمت في الاتحاد السوفييتي تصفيه الامية في الاساس . وغطت البلاد بشبكة كثيفة من المدارس ، ودور التعليم التخصصي الثانوي والعلمي ، والمكتبات العامة ، وقاعات المطالعة ، والمتاحف ، والمسارح ، والنوابد وغيرها من المؤسسات الثقافية . ويکفى القول ان عدد التلامذة في مدارس التعليم العام وحده تضاعف خلال هذه الفترة ٣,٥ مرة تقريبا . وقد عملت الدولة البروليتارية الكثیر بوجه خاص من اجل تعليم شعوب الاطراف القومية المختلفة في روسيا .

واحرزت سائر البلدان الاشتراكية ايضا نجاحات جدية في تحقيق الثورة الثقافية .

من الامثلة على ذلك : في حين كانت نسبة الامية سابقا في بولونيا ٢٣٪ ، وفي رومانيا ٤٣٪ ، وفي بلغاريا ٢٧٪ ، الخ ، فقد تم محو الامية تقريبا في الوقت الحاضر في جميع بلدان الاشتراكية ، علما بان ذلك قد تم في مهل قصيرة للغاية : خلال سنتين - الى ثلاث سنوات فقط لا غير . وقد تم هنا عمل الكثير من اجل اجتذاب ملايين الكادحين الى التمتع بمنجزات الثقافة ، وانشئ نظام للتعليم العام والتخصصي مفتوح امام الجميع ، وجرى تأمين انتصار الايديولوجيا الاشتراكية العلمية ، وتكونت فئة مثقفين شعبية حقا .

وهكذا ، فان الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية يتحقق على اساس القوانين العامة التي تتجلی على نحو خاص في مختلف البلدان . ان التقيد الصارم بمتطلبات القوانين العامة ، وحسن استخدامها مع الاخذ بالحسبان الظروف التاريخية الملحوظة لتطور هذا البلد او ذاك ، هما المهمة التي لا غنى عنها من اجل نجاحات البناء الاشتراكي .

---

## الفصل الرابع

# الاشتراكية - الطور الأول للمجتمع الشيوعى

بانتهاء المرحلة الانتقالية تبدأ الاشتراكية ، الطور الاول للمجتمع الشيوعى .

فما هي ، اذن ، العلائق الاساسية للاشتراكية ؟  
انها ، في الميدان الاقتصادي ، الانتاج المتتطور  
الحديث ، القائم على الملكية الاجتماعية ، الاشتراكية  
لوسائل الانتاج الاساسية ويستخدم التكنيك الآلى ،  
والممكّن بصورة واسعة وتجري اتمنته تدريجياً ؛ وهو  
يتتطور وفق خطة مركزة واحدة . واثناء الانتاج  
والنشاط العمل تنشأ بين الناس علاقات التعاون  
والمساعدة المتبادلة . ويتحقق توزيع اسباب العيش  
وفقاً لكمية العمل ونوعيته .

وهي ، في الميدان الاجتماعي- السياسي ، انعدام  
الطبقات المستثمرة واستثمار الانسان للانسان

والظلم القومى وغيره من اشكال الاضطهاد الاجتماعى ؛ ووحدة المصالح الاساسية للطبقة العاملة وال فلاحين والمثقفين ومختلف الامم والفتات الاجتماعية ؛ وارتقاء دولة دكتاتورية البروليتاريا الى دولة الشعب بأسره مع بقاء الدور القيادى بيد الطبقة العاملة ، وتحول الديمقراطية البروليتاريا ، الديمقراطية من اجل الاكثريه ، الى الديمقراطية التامة ، الديمقراطية من اجل الجميع ؛ وبقاء وتعاظم دور العزب الشيوعى القيادى في المجتمع .

وهى ، في الميدان **الثقافى** ، انتصار الايديولوجيا الاشتراكية العلمية والثقافة الاشتراكية وفتح المجال واسعا امام الجماهير الشعبية نحو منجزاتها ، واجتذاب الجماهير الى مختلف انواع الابداع الفكري . ان بلدان الاسرة الاشتراكية تسير بخطى واثقة في طريق الاشتراكية والشيوعية . فمنها من ينشئ اسس المجتمع الاشتراكي ، اقتصاده وثقافته ؛ ومنها من يعمل على انجاز بناء الاشتراكية الناضجة . اما فيما يخص الاتحاد السوفياتي فهو يقوم ، بعد انجازه بناء الاشتراكية لأول مرة في العالم ، تحقيق الانتقال التدريجي الى الطور الاعلى للمجتمع الجديد : الشيوعية . ومن الطبيعي ان توجه لدى الحديث عن الاشتراكية وعن عملية البناء الشيوعى سواء بسواء ، الى تجربة البلاد السوفياتية بالدرجة الاولى ، الى منجزاتها وقضاياها . خاصة وانه قد اخذ يسير في الطريق التي اجتازها الاتحاد السوفياتي العديد من البلدان في الوقت الحاضر ، وعاجلا ام آجلا ستسلك هذه الطريق جميع الشعوب والدول الأخرى ايضا .

وبما ان الاشتراكية والشيوعية طوران لمجتمع واحد ، المجتمع الشيوعى ، فان اشیاء مشتركة كثيرة تقام بينهما . فهما تستندان الى قاعدة مادية تكنيكية عالية التطور ، واساسهما الاقتصادي الثابت هو الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج وانعدام استثمار الانسان للانسان .

وطالما ان الملكية الخاصة والطبقات المستمرة واضطهاد الانسان للانسان لا وجود لها في ظل الاشتراكية وفي ظل الشيوعية على حد سواء فان العلاقات الانتاجية هنا وهناك هي علاقات التعاون الأخرى والمساعدة المتبادلة .

وفي ظل الاشتراكية والشيوعية على السواء يفعل قانون التطوير المبرمج المناسب للاقتصاد الوطنى . وهدف الانتاج الاجتماعي - اي تلبية حاجات الشغيلة المادية والروحية بصورة متزايدة الكمال - ووسيلة بلوغ هذا الهدف - اي تطوير واستكمال الانتاج باستمرار على اساس احدث منجزات التكنيك بالنسبة للاشتراكية والشيوعية - هما ايضا مماثلان .

وتتصف الاشتراكية والشيوعية على حد سواء بعلاقات الصداقة والتعاون بين الشعوب ، اما الحفاظ على السلام وتوطيده فيعتبران اساس العلاقات بين شعوب البلدان كبيرة وصغرتها ؛ ويتمتع كافة اعضاء المجتمع في ظل الاشتراكية وفي ظل الشيوعية بحق متكافئ في العمل حسب قدرتهم ؛ وفي كل المراحلين تقوم وحدة الشخصية والمجتمع ، وتسود ايديولوجيا واحدة ، شيوعية .

وكان مؤسسو الماركسية-اللينينية ، انطلاقا من

جامعة السمات الجذرية للاشتراكية والشيوعية ، يعتبرونهما مجرد طورين (مرحلتَي تطور) متمايزين لمجتمع واحد هو المجتمع الشيوعي . وقد كتب لينين حول الاشتراكية يقول : «فبمقدار ما تصبح وسائل الانتاج ملكا عاما يمكن تطبيق الكلمة «الشيوعية» على هذا الطور ايضا ، شريطة الا ينسى المرء ان هذه ليست بالشيوعية الكاملة» \* .

وتعتبر الاشتراكية شيوعية ناقصة غير متطورة لانها تنشأ من الرأسمالية مباشرة ، وتبني على الاسس المادية الموروثة عن الرأسمالية ، وتحافظ ، وهذا امر طبيعي تماما ، على آثار هذا المجتمع القديم و«شوائبها» . من ذلك ، مثلا ، بقايا التقسيم السابق للعمل ، وانعدام التكافؤ الاقتصادي التام ، ومخلفات الماضي في عقلية وسلوك الناس ، الخ . لتنتقل الان الى معالجة خصائص المجتمع الاشتراكي . ولنبدأ بتنظيمه الاقتصادي .

## ١ - اقتصاد الاشتراكية

تشكل اساس اقتصاد الاشتراكية **المملوكة الاجتماعية** التي تطابق الطابع الاجتماعي للإنتاج . والملكية الاجتماعية في الاتحاد السوفييتي وغالبية البلدان الاشتراكية الاخرى تتواجد في شكلين : ملكية الشعب بأسره والملكية التعاونية . تتكون الاولى بنتيجة **التأمين الاشتراكي** وتعود للشعب بأسره ،

---

\* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٣ ، ص ٩٨ .

والثانية بنتيجة اشاعة التعاون في الانتاج وتعود لفريق ، لجماعة من الناس يشكلون هذه التعاونية او تلك . وتشغل ملكية الشعب بأسره وضعا قياديا في الاقتصاد الاشتراكي ، ذلك لأنها ، اولا ، تشمل فروع الاقتصاد الحاسمة (الصناعة الثقيلة ، منشآت انتاج الطاقة ، النقل ، الخ) ، وثانيا ، تتتفوق على الملكية التعاونية من حيث درجة التطور وعمق وسائل الانتاج . وطبقا لشكل الملكية الاجتماعية يوجد نوعان من الاقتصاديات الاشتراكية : المؤسسات الانتاجية الحكومية (المصانع ، المعامل ، السوفخوزات ، الخ .) ، والتعاونيات (المزارع التعاونية للفلاحين ، وتعاونيات الحرفيين والصناع) . ونوعا الاقتصاديات هذان ، شأن الاقتصاديات داخل كل نوع ، مترابطان فيما بينهما اقتصاديا بواسطة العلاقات البضاعية\_النقدية الملازمة بالضرورة للمجتمع الاشتراكي .

والملكية الاجتماعية في ظل الاشتراكية تزيل تقسيم الناس الى سائدين وخاضعين ، ولا تدع مجالا لاستثمار الانسان للانسان ، وتقيم **العلاقات الانتاجية للتعاون الودي والمساعدة المتبادلة بين الشغيلة** .

ومن سيادة الملكية الاشتراكية ، ومن كون وسائل الانتاج ، ومنتجاته بالتالي ، وجميع القيم المادية والروحية هي ملك للشعب ، ينبع هدف في غاية الانسانية للانتاج الاشتراكي : **التلبية المتزايدة كاما باطراد ل الحاجات الشغيلة المادية والروحية المتنامية باستمرا**ر . وهذا الهدف ينافض جذريا هدف الانتاج الرأسمالي الذي تكمن غايته في ابتزاز اقصى الارباح . ففى حين انه لا فرق لدى الرأسمالية بمبدئيا في ما الذى

تنتجه ، سواء اكان قنبلة ذرية ام منتجات غذائية ، طالما ان ذلك يوفر ارباحا عالية ، فان الانتاج الاشتراكي يتتحقق لا من اجل اغذاء حفنة من المميزين بل من اجل تلبية حاجات الناس .

لقد مر على السلطة السوفيتية في الاتحاد السوفييتي مايزيد على نصف قرن فقط ، ولكن كم هو كبير ما فعلته من اجل الشعب ، من اجل الناس الكادحين البسطاء ! يكفى القول ان المداخيل الفعلية لعمال الصناعة والبناء في عام ١٩٧٣ بالمقارنة مع ١٩١٣ ، ومع الاخذ بالحسبان تصفية البطالة وتقليل دوام يوم العمل ، قد تضاعفت في المعدل بالنسبة للشغل الواحد ٨,٨ مرة ، والمداخيل الفعلية للفلاح تضاعفت ١٣ مرة في نفس الفترة . ويجرى في البلاد بناء سكنى هائل . ففى عام واحد فقط ، عام ١٩٧٤ ، تم بناء ٢٢٣١ الف شقة جديدة مجهزة بجميع اسباب الراحة انتقل اليها ملايين من الناس .

وعلى اساس الملكية الاشتراكية والمستوى الحاصل في تطور الانتاج تأكد المبدأ الاشتراكي للتوزيع : «من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله» . «من لا يعمل (اذا كان بالطبع قادرًا على العمل) لا يأكل» - ذلك هو القانون المبرم للاشتراكية .

ان جميع اعضاء المجتمع القادرين على العمل ملزمون بان يستغلوا ويتمتعون بحقوق متساوية في ان يتلقوا من المجتمع وفق كمية ونوعية العمل المبذول . والملكية الاجتماعية ، والمبدأ الاشتراكي للتوزيع النابع من هذه الملكية ، يزيلان الواقع الملائم لكافة المجتمعات القائمة على الاستثمار ، عيننا بذلك تقسيم

الناس الى اقلية : المستثمرين المغففين من العمل لكنهم يتمتعون بجميع خيرات الحياة ، واكثرية هائلة . الكادحين ، الذين نصيبهم هو العمل ، الذى نادرا ما يستطيع تأمين تلبية اكثرب الحاجات مساسا لدليهم . ومبدأ التوزيع حسب العمل هو مبدأ طبيعى ، ضروري بالنسبة للاشتراكية . فهو يؤمن المصلحة المادية الشخصية لدى الشغيل فى نتائج عمله ، والتى تعتبر اهم حافز للانتاج الاشتراكى . وفي ظل الاشتراكية من يعمل اكثرب وبصورة افضل يتتقاضى اكثرب . وهذا النظام فى دفع الاجور يخلق مصلحة مادية لدى الشغيل او ان يرفع كفائه ، وان يشارك مشاركة نشيطة فى الانتاج ، وان يزيد كمية المنتجات ويحسن نوعيتها .

وعلى الرغم من ان جميع اعضاء المجتمع فى ظل الاشتراكية يتحملون واجبا متساويا فى ان يستغلوا ويتمتعون بحق متساو فى التلقى حسب العمل المبذول ، فان المجتمع الاشتراكى لا يؤمن بعد المساواة الاقتصادية التامة للناس .

ففى ظروف الاشتراكية يحصل كل منتج بمفرده من المجتمع بالقدر الذى يقدمه هو له مع اقطاع تلك الحصة التى تحسم الى الصندوق الاجتماعى . ولم يبق هنا من وجود للامساواة الطبقية ، الا ان ثمة عدم مساواة ما تزال قائمة فى حصة المنتجات التى يتلقاها كل فرد بمفرده من افراد المجتمع لدى التوزيع . ومن السهل على المرء ان يرى ان مبدأ الدفع المتساوى للعمل المتساوى فى ظل الاشتراكية هو استخدام مقاييس مماثل بالنسبة لمختلف الناس . وبما ان

الناس يملكون كفاءة مختلفة وموهبة غير متساوية وتركيبا مختلفا لأفراد العائلة فهم يتتقاضون مداخيل غير متساوية فعليا لدى الدفع لقاء العمل . وهذا امر لا مفر منه في الطور الاول من المجتمع الجديد : ففي هذه المرحلة لا يكون المجتمع قد بلغ بعد الوفرة التامة من سلع الاستهلاك ، ولا يملك جميع افراده بعد ما فيه الكفاية من الوعى الرفيع . ان جعل اجرات جميع الشغيلة على مستوى واحد في ظل الاشتراكية امر مستحيل ، ومن شأن ذلك ، لو حصل ، انتهاك مبدأ التوزيع الاشتراكي واضعاف العوافز المادية ازاء العمل .

ويكون من الخطأ بالطبع الاعتقاد بان التنظيم الاقتصادي للمجتمع الاشتراكي هو تنظيم مثالى ، وبان اقامة هذا التنظيم وتطوره يجريان بدون تعقيدات وصعوبات . ففي تطور الاقتصاد الاشتراكي عدد غير قليل من الصعوبات والتناقضات ذات الطابع الموضوعي بالدرجة الاولى . ولا يجوز ان ننسى ان بناء المجتمع الجديد في الاتحاد السوفييتي (وكذلك في اکثرية البلدان الاشتراكية الاخرى) قد بدأ في ظروف مستوى منخفض لتطور الانتاج ، وان شعوب البلاد السوفييتية قد بذلت كثيرا من الجهد والوقت في النضال المسلح ضد الاعداء الداخليين والخارجيين ، ومن اجل تعمير الاقتصاد الذى خربته العروب . ولا يجوز ان نُسقط من الحساب النقص في الموارد المادية والمالية والملالكات الكفوفة ، وانعدام تجربة بناء مجتمع جديد . كما حصلت اخطاء واغلاط جدية لها طابع ذاتي ايضا . يقال ان الحقيقة تدرك بالمقارنة ، وهذا امر صحيح

بصورة عامة . ولكن المصيبة انه ، لدى المقارنة احياناً بين مستوى تطور اقتصاد الاشتراكية واقتصراد الرأسمالية ، بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الاميركية مثلاً ، لا يعترف الاهتمام الا للارقام فقط . انه لامر طبيعي ان يكون مستوى تطور الانتاج وانتاجية العمل ومستوى معيشة فئة معينة من شغيلة الولايات المتحدة الاميركية اعلى مما هي عليه في الاتحاد السوفييتي ؛ والحال ان الولايات المتحدة الاميركية قد تطورت دون عوائق طوال قرنين تقريباً لم تطأ خلالهما قدم جندي معد واحد ارض اميركا الشمالية ولم تنهض اية منشأة هنا بقنبيلة او قذيفة معادية . زد على ذلك ان الرأسماليين الاميركيين كانوا يشنون من الحرب وكانت دماء اناس العمل البسطاء تحول الى سيل ذهبي تصب في خزائن اسياد الولايات المتحدة الاميركية .

الذا ، فلدى مقارنة اقتصاد الاشتراكية واقتصراد الرأسمالية لا يجوز عدم الاخذ بالحسبان ما يلي : باى شئ بدأت الاشتراكية ، وفي اية ظروف جرى بناؤها ، وكم من الوقت مضى على وجودها ، وما هي آفاق تطورها . فإذا اخذ كل ذلك بعين الاعتبار عندها تصبح المقارنة في غير صالح الرأسمالية على الاطلاق .

ففى حين انه كان ينتج عام ١٩١٣ في اراضي الامبراطورية الروسية ١٢,٥٪ فقط من الناتج الصناعي للولايات المتحدة الاميركية ، فقد بلغت هذه النسبة في الاتحاد السوفييتي ٧٥٪ في عام ١٩٧٣ . وفي حين ان انتاجية العمل في الصناعة عام ١٩١٣ كانت تشكل ١١٪ تقريباً بالمقارنة مع ما كانت عليه في الولايات

المتحدة فقد وصلت عام ١٩٧٣ الى حوالي ٥٤٪ . وفي حين ان الدخل القومى للاتحاد السوفيتى عام ١٩٥٠ كان يشكل ٣١٪ من الدخل القومى للولايات المتحدة فقد وصل عام ١٩٧٣ الى اكتر من ٦٦٪ . ومن عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٧٣ بلغ المعدل السنوى لوتائر نمو الانتاج الصناعى في الولايات المتحدة ٤,٦٪ ، اما في الاتحاد السوفيتى فقد بلغ ٩,٧٪ ، علما بان هذا النجاح الضخم قد تم احرازه في غضون ما يزيد قليلا عن ٣٠ عاما فقط من البناء السلمى !

ان الاتحاد السوفيتى ، الذى كان في السابق بلدًا متخلفا زراعيا في الاساس ، قد غدا تحت راية الاشتراكية ثانى دولة صناعية في العالم ، وبلدا ذات مستوى رفيع في العلم والتكنيك والثقافة ، وبلد اكتر العلاقات الاجتماعية طبيعية . وليس من وليد الصدف على الاطلاق ان يكون اول بلد اشتراكي في العالم من يطلق قمرا صناعيا تابعا للارض ، وسفينة فضائية تحمل انسانا ، وسبوتنيكا صناعيا تابعا للقمر .

## التطور المخطط قانون الاشتراكية

خلافا للرأسمالية ، ليس بوسع الاشتراكية ، التي يخلقها الشعب وتبني من اجل الشعب لصالح ومن اجل اهداف جميع اعضاء المجتمع ، ان تتطور في ظل سيادة فوضى السوق . فالملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج توحد جميع المنتجين في اقتصاد واحد لا يستطيع ان يتطور الا تحت قيادة واعية مخططة من جانب المجتمع باسره بشخص الدولة . ان التطور المخطط المناسب

**للاقتصاد هو ضرورة موضوعية وقانون تطور  
الاشتراكية .**

فالملكية الاجتماعية ووحدة مصالح واهداف  
المنتجين في ظل الاشتراكية تتيحان الامكانية ليس فقط  
من اجل التنبؤ بكيفية سير الانتاج والتجارة والاستهلاك  
في المستقبل القريب بل وتوجيهه تطور مجمل الاقتصاد  
الوطني وفقاً للهدف المرسوم .

ابان بناء الاشتراكية يحل الانتاج الاجتماعي ، المنظم  
وفق خطة محسوبة من اجل تلبية حاجات المجتمع ككل  
وكل فرد من افراده على السواء ، محل سيادة فوضى  
السوق الملازمة للإنتاج الرأسمالي . وتخلق منهاجية  
تطور الاقتصاد الوطني امكانية ادارة الاقتصاد بصورة  
فعالة على نطاق المجتمع بأسره ، ووضع النسب  
الضرورية ، وتوزيع القوى المنتجة بصورة رشيدة ،  
وتؤمن التوفير بالموارد المادية والبشرية والمالية .

ويستند تسيير الاقتصاد على اساس التخطيط الى  
حساب اكشن دقة ممكنة للموجود من الموارد المادية  
والبشرية وغيرها من موارد النمو الاقتصادي . وهدف  
الخطة الاشتراكية هو تطوير الحياة الاقتصادية وفقاً  
للمهام الجذرية لبناء المجتمع الجديد . ويتسنم  
التخطيط الاشتراكي بتابع تعويلى نشيط .

واجراء التخطيط الاشتراكي عملية تدريجية ، طويلة  
الامد ، تتحقق بمقدار نمو النموذج الاشتراكي في  
الاقتصاد ، وبمقدار حلول الملكية الاجتماعية محل  
الملكية الخاصة . والشرط الضروري لاجراء التخطيط  
الاشتراكي هو امتلاك الدولة للهيئات القيادية في  
الاقتصاد الوطني : الصناعة الضخمة ، ووسائل النقل

والاتصال ، والشئون المصرفية ، والتجارة الخارجية . وتنشأ هذه الظروف في المرحلة الانتقالية نتيجة للتأميم وتطوير الصناعة الاشتراكية واسعة التعاون في الزراعة اللاحقين . وبمقدار نمو واتساع الملكية الاشتراكية تتسع دائرة التخطيط ، وبانتصار الاشتراكية يشمل التخطيط الاقتصاد بأسره ، الاقتصاد الوطني ككل . وتغدو الخطة الحكومية الواحدة الانطلاق الموجهة في تطوير الاقتصاد الوطني . وتケف السوق ، بما فيها من فوضى اقامة العرض والطلب على البضائع والتلاعب الحر بالاسعار والتنافس بين التجار والمشترين ، تケف عن ان تكون المنظم الرئيسي لتطور الاقتصاد الوطني .

## ٢ - التركيب الطبقي والتنظيم السياسي للمجتمع الاشتراكي

### التركيب الطبقي

مع انجاز بناء الاشتراكية يتعرض التركيب الطبقي للمجتمع للتغيرات جدية . ففي المدينة وفي القرية على السواء تتم تصفيية الطبقات المستثمرة : الرأسماليين ، الملاكين العقاريين ، كبار التجار ، الكولاك (برجوازية الريف) .

في ظروف الرأسمالية يقوم تضاد بين المدينة والقرية لكون برجوازية المدينة تستثمر الفلاحين الكادحين بالاشتراك مع برجوازية الريف . اما الاشتراكية فتقتضي على التضاد بين المدينة والقرية اذ

ان كادحى المدينة والقرية ، وقد تحرروا من الاستثمار ، يعملون من اجل انفسهم ، من اجل مجتمعهم ، ويتمتعون بحق متساو في ان يتقاضوا لقاء عملهم حسب كميته ونوعيته .

وفي ظروف الرأسمالية يقوم تضاد بين اناس العمل الجسدي والعمل الفكرى . فالطبقات السائدة ، باحتكارها ممارسة العمل الفكرى ، وضعفت العقل في خدمة مصالحها المغرضة واستقطار العرق في اجنبة اناس العمل الجسدي - العمال وال فلاحين . ويخدم اناس العمل الفكرى ، المثقفون ، في اكثريتهم الساحقة ، في ظل الرأسمالية مصالح الطبقات المستثمرة . وتقضى الاشتراكية على التضاد بين اناس العمل الفكرى والعمل الجسدي لأن فئة المثقفين الشعبيين يعملون يدا بيد مع العمال وال فلاحين لصالح قضية الاشتراكية العامة .

ففى الاتحاد السوفيتى ، مثلا ، تم القضاء نهائيا على الطبقات المستثمرة الى عام ١٩٣٧ حين اصبحت الاشتراكية مبنية من حيث الاساس فى البلد : في ذلك الحين كان ٣٦,٢٪ من السكان عمالا ومستخدمين ، و ٥٧,٩٪ كولخوزيين وحرفيين تعاونيin ، و ٥,٩٪ فلاحين منفردين وحرفيين غير تعاونيin . و الى عام ١٩٦٣ هبط عدد هؤلاء الاخرين بنسبة ٠,١٪ فقط . وهكذا لم يبقى في الاتحاد السوفيتى سوى طبقتين صديقتين : **الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين الكولخوزيين** ، وكذلك فئة المثقفين الكادحين ، وقد تغيرت كلها تغيرا جذريا في غضون سنوات السلطة السوفيتية . وصفيت او اصبحت على وشك التصفية ، الطبقات المستثمرة في بلدان اشتراكية اخرى . وما يزال يوجد

في بعضها عدد معين من صغار الملاكين الخاصين : فلاحين ، تجار صغار ، حرفين . بيد انه لا يجوز اعتبارهم من المستثمرين ، ذلك لأنهم رغم امتلاكهـم لوسائل انتاج معينة ، يعملون بأنفسهم دون استئجار يد عاملة ودون استثمارها .

ولا تكتفى الاشتراكية بتصفية الطبقات المستثمرة بل وتغيير الطبقات الكادحة تغييرا عميقا وتعيد تكوينها .

**فالطبقة العاملة** لم تعد تلك البروليتاريا السابقة التي تعانى من الاستثمار والاجحاف في ظل الرأسمالية . فهى تملك مع شعبها وسائل الانتاج ، وهى السيدة الحقيقية لبلادها . ونتيجة لنمو الصناعة ازداد عدد افراد الطبقة العاملة . ففى الاتحاد السوفيتى ، مثلا ، تشكل الطبقة العاملة في الوقت الحاضر اكثرا من نصف عدد كافة الشغيلة . وارتقت الكفاءة الانتاجية لدى العمال ومستواهم التكنىكى والثقافى ، وتغير محتوى وطابع عملهم . وحوالى نصف العمال السوفيتين حاصلون على تعليم ثانوى كامل او غير كامل . ونمـت انتاجية العمل ، وازداد نشاط العمال الاجتماعى ، واتسعت متطلباتهم الثقافية . واخذ عمل العامل الكفـوء ، الذى يدير عمليات آلية وتقنولوجية معقدة ، يقترب ، من حيث محتواه ، من عمل التكنىكى والمهندس .

وغيرت اشاعة التعاون في الزراعة والثورة الثقافية وجه الطبقة الفلاحية بصورة جذرية ايضا . فقد تحولت هذه الطبقة من طبقة مشتتة ، مظلومة ، مستثمرة من جانب الملاكين العقاريين والكولاك ، الى طبقة حرة حقا

وحليف امين للطبقة العاملة وقوة اجتماعية نشيطة .  
وقضى عمل الفلاحين المشترك لما فيه خير الوطن  
على انزعالهم الابدى وساعد فى تدليل نفسية الملكية  
الخاصة الملزمة لهم وتربيه مشاعر الروح الجماعية  
والصداقه والرفاقية لديهم . وينمو المستوى الثقافى  
لدى الفلاحين . وقد ادى الاستخدام الواسع للتكنيك  
الحديث في الريف الى ظهور ملاكات كفؤة من  
الميكانيكين الزراعيين الذين قليلا ما يمتاز عملهم عن  
عمل العمال .

وطرأت تغيرات ضخمة على فئة المثقفين ايضا . ففئة  
المثقفين الاشتراكيين هي فئة شعبية حقا تحدّر  
ممثلوها في اغلبيتهم من الطبقة العاملة والطبقة  
الفللاحية . وهي تكونها متدرجة من الشعب تخدم الشعب  
بتقان واخلاص .

ويزداد باطراد دور المثقفين في المجتمع الاشتراكي .  
وهذا امر مرتبط بتطور الثورة العلمية التكنيكية  
وبتحول العلم الى قوة انتاجية مباشرة . كما ان عدد  
المثقفين آخذ في الازدياد بسرعة . ففي حين انه كان  
يعمل في اقتصاد روسيا عام ١٩١٣ حوالي ٢٠٠ الف  
اخصائى حاصل على تعليم عال وثانوى فقد ارتفع هذا  
الرقم في آخر عام ١٩٧٤ الى قرابة ٢١,٥ مليون  
شخص . ويعمل لخير الشعب الملايين من المدرسين  
والاطباء والعلماء والمهندسين والتكنيكين والقضاة  
وغيرهم من الاخصائيين الرفيعي الكفاءة .

وتخلق الاشتراكية ظروفا مؤاتية من اجل العمل  
الابداعي للمثقفين ، ومن اجل استخدام مؤهلاتهم  
ومعارفهم في صنع تكنيك جديد وفي استخراج الثروات

الطبيعية وفي ادارة شؤون المجتمع وفي تعليم وتربيه الجيل الناشي ، وفي تطوير الثقافه والعلم والادب والفن .

وتقضى الاشتراكية الى الابد على العلاقات الطبقية القائمة على السيادة والخضوع . فليس هنا من وجود طبقات او لجماعات من الناس ذات امتيازات . وجميع اعضاء المجتمع متساوون من حيث وضعهم تجاه وسائل الانتاج ، الامر الذى يستبعد امكانية استغلال عمل الغير والاستئثار بثماره . وبما انه لا يوجد في المجتمع الاشتراكي مستثمرون ومستثمرون ، بل طبقات وفئات اجتماعية كادحة فقط ، لذا لا يوجد فيه صراع طبقي ايضا .

وت تكون في المجتمع الاشتراكي الوحدة الاجتماعية السياسية والفكرية الراسخة للشعب .  
فماذا يعني ذلك ؟

انه يعني ، اولا ، جامعة المصالح الاساسية للطبقة العاملة والطبقة الفلاحية وفئة المثقفين ، للطبقات والفئات الاجتماعية والامم والاقوام التي تؤلف التركيب الاجتماعي للمجتمع الاشتراكي . ثانيا ، جامعة الاهداف السياسية ، والمهامات التي تواجهها ، والمساواة في الحقوق والواجبات السياسية . ثالثا ، جامعة ايديولوجيتها ، اي الايديولوجيا الاشتراكية ، الماركسية-اللينينية . فالعمال وال فلاحون والمثقفون مجمعون في طموحهم الى الترقى نحو درجة اعلى من التطور الاجتماعي ، وانجاز بناء المجتمع الشيوعي الذي يجلب اعظم الخيرات المادية والثقافية . وجامعة الآراء هذه تتيح لاعضاء المجتمع الاشتراكي ان يعملوا سوية

وبوافق ، وان يذللوها بالجهود المشتركة اشتق المصاعب ، وان يحلوا مهام ذات اهمية تاريخية ضخمة . ان جبروت مئات ملايين من الناس ، تربط فيما بينهم جامعة المصالح وترص صفوفهم وحدة الاعمال وتلهفهم المثل العظيمة للشيوعية ، هو بمثابة قوة هائلة يستحيل قهرها .

وقد اعلن الرفيق بريجنيف ، في خطابه اثناء اللقاء مع ناخبي دائرة باومنسكي الانتخابية بمدينة موسكو في ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٧٤ ، قائلا : «لقد نشأت لدينا وحدة تاريخية جديدة للبشر وهي الشعب السوفييتي . يعني ذلك انه تبرز اكثراً فاكثر صفات عامة مشتركة لسلوك المواطنين السوفييت واخلاقهم وآرائهم لا تتعلق بالفوارق الاجتماعية والقومية . ويعني ذلك ان التحالف بين الطبقة العاملة وال فلاحين الذي كان ابداً اساساً للنظام الاشتراكي ، قد تطور عبر وحدة سياسية وفكيرية متينة لهاتين الطبقتين مع المثقفين الذين يقفون بثبات ومنذ وقت بعيد موقف اشتراكية . ولنا الحق الان في ان نقول ان التحالف المتين بين جميع الكادحين واصحاب العمل اليدوى والفكري ، التحالف بين الطبقة العاملة وال فلاحين الكولخوزيين والمثقفين الشعبيين ، قد اصبح اليوم حقيقة من حقائق واقعنا . وهذا التحالف الذى تلعب الطبقة العاملة فيه دوراً قيادياً ، متين لا يتزعزع» \* .

---

\* بريجنيف . كل شيء لخير الشعب وباسم الانسان السوفييتي . موسكو ، بوليتيزدات ، ١٩٧٤ ، ص ١٢-١٣ .

## التنظيم السياسي

تنبثق الديمقراطية الاشتراكية ، وهي الشكل الجديد والاعلى للسلطة الشعبية ، من الديمقراطية البروليتارية التي تسود المرحلة الانتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية . وتكمن الخاصية المميزة الرئيسية للتنظيم السياسي في ظل الاشتراكية في توسيع وتطوير الديمقراطية ، وفي تحويل الديمقراطية من اجل الاكثريية الى الديمقراطية من اجل الجميع ، من اجل الشعب بأسره .

ولا يكتفى المجتمع الاشتراكي بمجرد اعلان حقوق مواطنه بل ويضمن تطبيق هذه الحقوق . فهو يمنح جميع المواطنين ، بصرف النظر عن المنشأ ونوع العمل والجنس والقومية والمعتقد ، الحق في العمل ، وفي الراحة ، وفي التطبيق ، وفي الضمان الاجتماعي في الشيخوخة وفي حال المرض وفقدان المقدرة على العمل ، وفي التعليم . والامكانية الفعلية لتمتع كل مواطن بهذه الحقوق يضمنها القانون ويؤمنها الجبروت الاقتصادي الصاعد للدولة الاشتراكية . ويعنى مواطنو المجتمع الاشتراكي حرية التعبير والنشر والاجتماع والمسيرات الشارعية والمظاهرات ، والحق في التوحد في منظمات اجتماعية ، وتضمن لهم الحصانة الشخصية وحصانة المسكن وسرية المراسلات . وتتمتع المرأة بحقوق متساوية مع الرجل في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والحكومية والثقافية والاجتماعية - السياسية . ولها نفس حقوق الرجل في العمل ، وفي الراحة ، وفي التعليم ، وتتقاضى اجرا متساويا لا جر

الرجل . وتضمن الدولة حماية مصالح الام والطفل ، وتقديم مساعدة مادية للامهات الكثيرات الاطفال او الوحدات ، وتعطى المرأة اثناء العمل وبعد الولادة اجازة طويلة الامد مدفوعة الاجر .

وبمقدار تطور المجتمع الاشتراكي تتضور الديمقراطية الاشتراكية كذلك ، الامر الذى ينعكس في ازدياد دور الهيئات التمثيلية المنتخبة للسلطة الشعبية ودور المنظمات الاجتماعية الجماهيرية : النقابية والشبابية والتعاونية والتنويرية الثقافية الخ . وتبدا العملية التدريجية لتحول الادارة الحكومية الى ادارة اجتماعية ذاتية .

والمظهر الهام لهذه العملية ، والتعبير الحسى لتطور الديمقراطية الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي ، هما تحول دولة دكتاتورية البروليتاريا الى منظمة سياسية لعموم الشعب مع ابقاء الدور القيادى للطبقة العاملة ، الى دولة الشعب بأسره .

تعتبر الطبقة العاملة ، في المرحلة الانتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية طبقة سائدة وقائدة معا ؛ وفي ظروف الاشتراكية وبناء الشيوعية تحافظ على دورها القيادى في المجتمع .

لماذا ، وبفعل اية اسباب تبقى الطبقة العاملة القوة القيادية للمجتمع الاشتراكي ؟

انها ، بالدرجة الاولى ، لكون الطبقة تشغّل في الصناعة التي هي اساس كل الاقتصاد الوطنى ، ولكون عملها يستند الى الشكل الرئيسي والاكثر تطورا من اشكال الملكية الاشتراكية : ملكية الدولة ، ملكية الشعب بأسره . وهي تتحلى بتقاليد ثورية غنية ،

ويتصلب عودها في المعارك الضاربة ضد الرأسمالية ، وتعتبر أكشن حامل الایديولوجيا الاشتراكية مثابرة ومواظبة . وبوصفها أكشن الطبقات عددا فهى حسنة التنظيم والانضباط ، اي انها أكشن القوى الاجتماعية تقدمية في المجتمع الاشتراكي . وتنجز الطبقة العاملة تأدية دورها كقائد للمجتمع فقط لدى الانتهاء من بناء الشيوعية ، لدى اضمحلال الطبقات كلية .

والدور القيادي للطبقة العاملة في المجتمع الاشتراكي لا ينتقص باقل درجة من دور القوى الاجتماعية الاخرى : طبقة الفلاحين ، فئة المثقفين . وهذا امر مفهوم : ليس لدى الطبقة العاملة ولا يمكن ان تكون لديها اغراض انسانية ومصالح مغرضة . والطبقة العاملة ، باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الشعب ، تعبر عن مصالح عموم الشعب ، وتحقق اهداف عموم الشعب .

والطبقة العاملة ، باكتسابها سمعة هائلة واحتراما عميقا لدى الشعب بأسره في النضال البطولى ضد المستثمرين وفي العمل المتفاني من أجل انتصار الاشتراكية ، تضطلع ابان بناء الشيوعية ايضا بدور نبيل ، دور اكشن المناضلين مثابرة وتنظيمها في سبيل قضية الشعب بأسره . وهدف الطبقة العاملة هو تصفية الفروق الطبقية واقامة مجتمع خال من الطبقات . وهى ، بوصفها حاملا مثابرا للمشاعر الوطنية ، مفعمة بالاخلاص العميق لفكر تضامن كادحى جميع البلدان .

ليس ثمة من حدود فاصلة بين دولة دكتاتورية البروليتاريا ودولة الشعب بأسره طالما انهما ، من

حيث الجوهر ، دولتان من ذوع واحد ، اشتراكى»، وهما شكلان ، درجتان لتطور الدولة الاشتراكية . وبتتحول دولة دكتاتورية البروليتاريا الى دولة الشعب بأسره لا تتغير الطبيعة الاشتراكية للدولة بل تتطور وتتكامل فقط بحكم البناء الشيوعى . وتبقى وتتوطد قاعدتها الاجتماعية : تحالف الطبقة العاملة والطبقة الفلاحية ، ويحافظ على الدور القيادى للطبقة العاملة في المجتمع ، وتبقى الديمقراطية الاشتراكية تتكامل وتزدهر . ودولة الشعب بأسره هي استمرار تاريخي طبيعى وتتويج للشىء الرئيسي الملازم لدكتاتورية البروليتاريا منذ الخطوات الاولى لانبعاثها : ديمقراطية الكادحين الواسعة .

وتضطلع الدولة في ظل الاشتراكية بادارة العمليات الاجتماعية وحياة البلاد الاقتصادية والسياسية والثقافية ، علماً بانها تدير المجتمع باساليب ديمقراطية بصورة دائبة . وهي تتخذ تدابير اكراه معينة ، بالطبع ، بحق منتهكى الشرعية الاشتراكية والعناصر المعادية للمجتمع ، الذين لا يزالون يتواجدون في ظل الاشتراكية . بيد ان هذه التدابير لا يمكن مماثلتها بوظيفة سحق المستثمرين الملازمـة لدكتاتورية البروليتاريا ، اذ انها ليست موجهة ضد طبقات معادية بل ضد اكـثر افراد الطبقة العاملة وال فلاحين والمثقفين تخلفاً وتأثراً برواسب الماضي . وهي تقوم ، من حيث جوهرها ، بتنفيذ وتطوير واستكمال الوظائف الاساسية لدولة دكتاتورية البروليتاريا باستثناء وظيفة سحق الطبقات المستثمرة وتحمـل هذه الوظيفة

بالقضاء على الطبقات المذكورة نتيجة لانتصار الاشتراكية .

وتكمّن وظائف السياسة الداخلية للدولة ، بوصفها هيئة ادارة ، في قيادة انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية وتحويل العلاقات الاجتماعية الاشتراكية الى علاقات اجتماعية شيوعية ، وتحقيق الاشراف على مقياس العمل ومقياس الاستهلاك ، وتأمين النهوض برفاهية الشعب ، وحماية حقوق وحريات المواطنين السوفيت والنظام القانوني الاشتراكي والملكية الاشتراكية ، وتربيـة الجماهـير الشعـبية بروح الانضباط الـواعـى والموقف الشـيـوعـى من العمل .

وفي ميدان السياسة الخارجية تولى الدولة عنایتها لتعزيز الوحدة والتلاحم وتطوير التعاون الاخوى مع البلدان الاشتراكية . وهى تقوم ، بكل نزاهة ، بواجبها الاممى تجاه الطبقة العاملة العالمية وتجاه كافة شعوب العالم : تساعد على النضال الثورى لبروليتاريا البلدان الرأسمالية المتطرفة ، وتقـدم المسـاعدة والدعم لشعوب البلدان النامية التى تحررت من الاستعمار وكذلك لشعوب الذى تناضل فى سـبيل تحررها الوطنـى . وتـبـدى الدولـة الكـثـير من الاهتمام وتـبـدل الكـثـير من الجـهـود من اجل الدـود عن قضـية السلام العالمـى والـحـفـاظ على عـلـاقـات طـبـيعـة مع جـمـيع البلدـان . واذ تـأـخذ بالحسبـان خـطـر الهـجـوم من جانب القـوى الـامـبـرـيـالـيـة تسـهر فى الوقت نفسه على تعـزيـز الـقـدرـة الدـفاعـية للـبلـاد وللنـظـام الاـشـتـراكـى عـامـة .

ويتحقق تطور التنظيم السياسي في المجتمع الاشتراكي تحت قيادة حـزـب الشـيـوعـين . وهو في

الاتحاد السوفيفيتي الحزب الشيوعي السوفيفيتي - القوة القائدة والموجهة للمجتمع السوفيفيتي .

ان الحزب الشيوعي السوفيفيتي ، كما جاء في نظامه الداخلي ، هو طليعة كفاحية مجربة للشعب السوفيفيتي ، توحد في صفوفها على اسس طوعية القسم الطليعي والاكثر وعيما من الطبقة العاملة والفلاحين الكولخوزيين وفئة المثقفين . وقد اجتاز الحزب الشيوعي الذى اسس له لينين ، خلال ٧٠ عاما ونيف من وجوده ، طريقا بطوليا مجيدا من النضال والانتصارات . وقد طرقت الطبقة العاملة وجميع كادحى روسيا القيصرية الى انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى واقامة دكتاتورية البروليتاريا ، وامن الانتصار التام والناجح للاشتراكية . ونتيجة لذلك ارتفعت مكانة الحزب وثقة الشعب السوفيفيتي اللامحدودة به .

وتضم صفوف الحزب الشيوعي السوفيفيتي في الوقت الحاضر ١٦ مليون شيوعي - اكثرا ممثلى الطبقة العاملة وكافة الشغيلة طليعية ووعيا . ويشكل العمال والكولخوزيون القسم الاكبر من اعضاء الحزب ، علما بان الطبقة العاملة تحتل في التركيب الاجتماعى للحزب وضعا قياديا وهى مدعوة للمحافظة على ذلك في المستقبل ايضا . ويعتبر الحزب الشيوعي السوفيفيتي بمثابة منظمة سياسية امية تعبر عن الصداقة العظيمة لشعوب الاتحاد السوفيفيتي وآخائها . وهو يجمع في صفوفه ممثلى جميع الشعوب التى تقطن البلاد السوفيفيتية .

وتخضع كل سياسة الحزب وكل نشاطه ، داخل البلاد وخارجها على السواء ، لمصالح الشعب ، لاعز

افكاره وامانيه . ولهذا السبب بالذات غدت افكار وقضايا الحزب افكار وقضايا الشعب بأسره ، ولهذا السبب بالذات تعتبر هذه الافكار والقضايا قريبة ومفهومة بنفس الدرجة لدى العمال والكولخوزيين والمثقفين ، او اناس من مختلف الاعمار والمهن والقوميات .

والحزب الشيوعى السوفيتى ، باضطلاعه بقيادة المجتمع والعمل الخلاق العظيم الذى يقوم به الشعب ، ينظر الى المستقبل بعين ثاقبة ، ويidel الشعب على طرق التقدم الى امام ، ويثير المبادرة الخلاقة لدى الجماهير الشعبية . ففى وحدة الحزب والشعب وفي قيادة الحزب الليينى ونشاطه المنظم والوجه تكمن قوة النظام الاشتراكى التى لا تزعزع .

### ٣ - الثقافة الروحية للاشتراكية

في اعقاب الثورة الثقافية ، التي تتحقق على اساس التحويل الاشتراكى للاقتصاد وال العلاقات الاجتماعية السياسية ، تنشأ ثقافة اشتراكية جديدة نوعيا . وهى تتكون من منجزات المجتمع الاشتراكى في ميدان العلم والفن والادب والتحصيل والتعليم الخ .

وتضع الاشتراكية نهاية لتقسيم الثقافة الى ثقافة الطبقات السائدة وثقافة الطبقات المضطهدة ، والملازم لمجتمع الطبقات المتناحرة . وهى تخلق ثقافة واحدة لعموم الشعب تعتبر ملكا لجميع الشغيلة : العمال وال فلاحين والمثقفين . وهذه الثقافة باعتبارها

اشتراكية ، اهمية المحتوى ، تهدف الى تعزيز وتطوير الاشتراكية وصداقة وتعاون شغيلة مختلف القوميات ، هي ثقافة قومية في شكلها (في اللغة وسائل اساليب التعبير) ، الامر الذى يجعلها قريبة ومفهومة على وجه خاص لدى كل شعب صغيرا كان ام كبيرا ، وتسهل عليه التمتع بمنجزات الحياة الروحية للشعوب الأخرى وتساعد على اغناء الثقافات القومية وتطوير الثقافة الاممية العامة بالنسبة لجميع الشعوب . او الاساس الفكري لثقافة الاشتراكية هو الماركسيـــاللينينية ، العقيدة العلمية التي تمهد الطريق امام ازدهار الثقافة وتضعها في خدمة القضية العظيمة للاشتراكية .

يطيب لايديولوجى الرأسمالية ان يتحدثوا عن ثقافة وتمدن المجتمع العزيز على قلوبهم ، وعن افضليات الثقافة الرأسمالية ازاء الثقافة الاشتراكية .. بيد ان منجزات الثقافة في ظل الرأسمالية تعتبر ملكا لفئة غير كبيرة من المميزين . اما في ظل الاشتراكية فهى ملك لجميع اناس العمل . واما كل عضو من اعضاء المجتمع الاشتراكي توفر امكانيات واسعة من اجل الحصول على التعليم ، والنشاط الابداعي في ميدان الانتاج والعلم والفن واستكمال صفاته الاخلاقية . اما بالنسبة لانسان المجتمع الرأسمالي فان هذه الامكانيات محدودة ، لأن احتكار النشاط الابداعي يعود هنا الى الطبقات السائدة . والثقافة الاشتراكية هي ، من حيث جوهرها وطبيعتها الداخلية ، مفعمة بالمشاعر الانسانية الرفيعة ؛ وهي تخلق من اجل انسان العمل ، وتعتبر وسيلة هامة لرفع مستوى الثقاف ، وخدم المثل العليا الانسانية حقا .

ولنتناول الاتحاد السوفييتي على سبيل المثال فيتجلب ما يلى : في حين ان عدد تلامذة مدارس التعليم العام في روسيا القيصرية كان اثناء سنة ١٩١٤ - ١٩١٥ الدراسي ٩٦٥٦ الف شخص ، فقد بلغ في الاتحاد السوفييتي اثناء سنة ١٩٧٤ - ١٩٧٥ الدراسية ٤٩ مليون شخص ؛ وعدد طلاب دور التعليم العالى على التوالى ١٢٧ الفا و ٤٧٥٠ الفا ، وتلامذة المدارس الثانوية التخصصية ٥٤ الفا او ٤٤٨٠ الفا . اما مختلف انواع التعليم في الاتحاد السوفييتي فتشمل ٩٠ مليون شخص . وثلث مواطنى البلاد يتعلمون . أفليس ذلك دليلا على الطابع الشعبي للثقافة الاشتراكية وال نطاق الهائل للبناء الثقافى ؟

وتعتبر احدى اهم نتائج الثورة الثقافية خلق الفن الاشتراكي الجديد نوعيا الذى قد استوعب افضل ما في فنون الماضي ويواصل استيعاب القيم الجمالية التقديمة للفن الحديث في البلدان الأخرى ..

والاسلوب الابداعى لهذا الفن هو الواقعية الاشتراكية التي من سماتها المميزة الشعبية العميقه ، والحزبية ، والروح الانسانية الثورية ، (والموطنية ، والصدق والتغلغل العميق في الواقع ) ، وعدم تساهله مع الايديولوجيا والاخلاق البرجوازية . ويعكس الفن الاشتراكي الطريق التاريخي الذي قطعه الشعب ، ونضاله البطولى ، وعمله باسم اقامة المجتمع الجديد . وهو يتميز بالطلب الفكري الرفيع ، وعدم التساهل مع كل ما هو بائد ، وبروح التجديد والبحث الفنى الجريء اللذين يتالفان مع استخدام وتطريز جميع التقاليد التقديمة للثقافة العالمية . وهو ، من جهة

آخرى ، يقدم مساهمة لا تقدر بثمن الى خزانة ثقافة العالم الروحية المعاصرة .

وتكون اهم ميزة للفن الاشتراكي في انه يخدم الطبقة العاملة وجميع الشغيلة . انه فن شعبي الى اقصى حد . وقد قال لينين ، في معرض تنويعه بشعبيه الفن الاشتراكي : «ان الفن ملك للشعب .. ويجب عليه ان يمد اعمق جذوره الى نواة اوسع الجماهير الشعبية . ويجب عليه ان يكون مفهوما من جانب هذه الجماهير ومحببا لديها . ويجب عليه ان يوحد شعور وفكر وارادة هذه الجماهير وان ينهض بها . ويجب عليه ان يوقظ فيها الفنانين ويطورهم» \* .

والفن الاشتراكي فن واقعى . وهو مدعو لتصوير الواقع بشكل صحيح وبصورة تاريخية ملموسة وبشكل فنى رفيع . ومن المهم التنويه بان الفن الاشتراكي يصور هذا الواقع في تحركه ، في تطوره الثورى . وهو يساعد الطبقة العاملة وكافة الكادحين في النضال ضد العالم الرأسمالى القديم ، البائد ، وفي سبيل انتصار العالم الجديد ، الاشتراكي . ففى خدمة الطبقة العاملة وكافة الشغيلة خدمة مباشرة وصريحة تكمن حزبية الفن الاشتراكي .

يتهم خصوم الماركسية على المبدأ الماركسي اللينينى لحزبية وطبقية الفن لانه ، كما يزعمون ، يحد من حرية ابداع الفنان ، من فرديته الابداعية . وينسون ، اثناء ذلك ، انه يستحيل وجود «فن مجرد»

---

\* «لينين حول الادب والفن» . موسكو ، ١٩٥٦ ،

اساساً في المجتمع الطبقي . فسهولة ادراك الفن وفهمه وقوة اقناعه الهائلة وقوّة تأثيره الایعائی على الانسان يجعل منه وسيلة جبارة للنضال الطبقي . لذا تستغل الطبقات الفن بمثابة موصل لافكارها السياسية والاخلاقية وغيرها . اما في ما يتعلق بحزبيّة الفن الاشتراكي فهى لا تكبل حرية الابداع ، بل توجه جهود الفنان نحو حل اكثـر المهمـات الاجتماعية العاجـلا . وحرية الابداع هي صفة ملازمة للاشتراكية ، بيد انه لا توجد هنا حرية العمل بما يلحق الضـرر بالـمصلـاح الشـعـبـيـة ، بـمـصـالـحـ المجتمعـ . فقد تكون هنا نـمـطـ الفنانـ الذـى يـرى رسـالتـهـ كـمواـطنـ اـفـ انـ يكونـ مـشارـكاـ نـشـيـطاـ في خـلـقـ العـالـمـ الجـديـدـ اوـمـفـعـماـ بـشـعـورـ المسـؤـولـيـةـ اـمامـ المـجـتمـعـ ، اـمامـ الشـعـبـ .

ويرى الفنان الاشتراكي في نفوس الناس الصفات السياسية والاخلاقية والجمالية السامية ، ويساعد على تصفية بقايا الماضي الرأسمالي فيوعي وسلوك الناس ، ويصور عمل الشعب ونضاله بصورة عميقة ومخلصة ، ويكشف العالم الروحي الغنى لدى الانسان المعاصر وافكاره ومشاعره ومطامحه ، ويندد تنديدا لا هوادة فيه بكل ما يعرقل تقدم المجتمع الى امام ، ويلهم الناس لاجتراض مآثر جديدة .

ودور الفن كبير على نحو خاص في التربية الجمالية الفنية للشغيلة . فالفن يعكس جمال الطبيعة ، واتزان وتناسق ما يجري فيها من عمليات ، ووفرة الالوان والاصوات الرائعة . وهو يتغنى بجمال الانسان والعلاقات البشرية ، وبجمال العمل البشري . علما بان التأثير الجمالي للفن على الانسان يزداد كبرا بمقدار

ما تزداد الاعمال الفنية روعة وجمالاً ويصبح فيها الارتباط بين المحتوى الفكري والشكل الفنى المكتمل أكثر عضوية . اما الفن اللافكري والشكلي ، شأن الفن الطبيعي ، فهو لا يربى المبدأ الجمالي في نفس الانسان بل يحطمها .

تعتبر الواقعية ، اي التعبير الصادق عن الواقع ، مكسباً عظيماً لعصرية الانسان الفنية . فالواقعية وحدها ، وخاصة الواقعية الاشتراكية ، تشكل وسيلة مأمونة للتربية الجمالية لاجتذاب الجماهير الواسعة من الشعب الى الابداع الفنى .

ويكتسب الفن غير المحترف ، فن الهوا ، أهمية متزايدة ابداً في الحياة الفنية للمجتمع الاشتراكي وال التربية الجمالية للشغيلة . وبفضل هذا الفن يجذب ملايين الناس الى التمتع بالقيم الثقافية ويطورون مواهبهم وذوقهم الجمالي .

#### ٤ - الاشتراكية والشخصية

تخلق الاشتراكية ، بقضائها على الملكية الخاصة والاستغلال و بتؤمنها حقوقاً وواجبات سياسية وقانونية متساوية لجميع المواطنين ، شروطاً سياسية من اجل تطوير الانسان . فالفرق اف الجنس وال عمر والمنشأ ونوع العمل والقومية والمعتقد لا تشكل هنا عائقاً بوجه مشاركة كل شغيل بصورة خلقة نشيطة في اكثر ميادين الحياة الاجتماعية تنوعاً . والاشتراكية ، بتحريرها عمل الانسان و بتحويله من عمل من اجل المستثمر الى عمل من نفسه ، من اجل المجتمع ،

ونتيجة لذلك وعلى اساس التحولات العميقة في الاقتصاد وال العلاقات الاجتماعية والحياة الثقافية لا تكتفى الاشتراكية بالحفاظ على تلك السمات الانسانية الخاصة التي تتولد لدى الشخصية الكادحة في ظل الرأسمالية ، ولا تكتفى بتطويرها ورفعها الى مستوى اعلى جديد نوعيا ، بل وتخلق سمات جديدة تفتقر اليها شخصية المجتمع القديم . وبكلام آخر نقول انه نتيجة لانتصار الاشتراكية تنشأ شخصية جديدة ، الشخصية الاشتراكية .

ان تكوين الانسان الجديد - الصانع الحقيقى للتاريخ ، والسيد المطلق التصرف للمجتمع ، والمالك الوحيد للقيم المادية والروحية ومبادئها ، والعامل

الواعي للعلاقات الاجتماعية الجديدة الإنسانية حقا ، وحالقها - هو اعظم انجاز للاشتراكية لم يسبق لتاريخ البشرية ان عرف مثيلا له .

والشخصية الاشتراكية تتجل بالدرجة الاولى كشغيل في الانتاج الاشتراكي القائم على الملكية الاجتماعية المشتركة لوسائل الانتاج . ومن مميزاتها الملازمة النشاط العملي ، والتلوق الى الحفاظ على الترورة الاجتماعية ومضاعفتها ، والانضباط الجديد في العمل ، وال العلاقات الجديدة في الشغل - علاقات الصداقـة والتعاون مع رفاق العمل . اوهي تتصف ايضا بميزات روحية رفيعة كالاخلاص المتفاني للممثل الشيوعية ، وشعور الاممية ، والوعي الرفيع والمسؤولية العالية امام المجتمع ، والنشاط الاجتماعي ؛ وتغدو مبادئ " الاخلاقية الشيوعية متأصلة بثبات في حياتها وعملها ومعيشتها . ومن خصائص الشخصية الاشتراكية الحياة الروحية الغنية ، والمستوى الثقافـي الرفيع ، وتنوع المتطلبات الروحية ، والاهمـام العميق بالابداع العلمي والفنـي ، والطموح الى التطور والتكمـل من جميع النواحي .

ومن الخطأ الاعتقاد ، طبعا ، بان جميع اعضاء المجتمع الاشتراكي يملكون كافة سمات الشخصية المذكورة اعلاه . فما زلنا نصادف هنا ميل بعض الافراد الى التملص من العمل الاجتماعي المفيد ، ووقائع الخمول الاجتماعي والفتور في نشاط عقلـي .

ومع ذلك فان السمات المذكورة اعلاه هـى سمات نموذجية للشخصية في ظل الاشتراكية . اولا ، لأن الاشتراكـية تخلق امكانـية واقعـية

من اجل تكوين هذه السمات في نفس كل انسان ؛ ثانيا ، لأن هذه السمات ملزمة للاكثريه الغالبة من اعضاء المجتمع الاشتراكي .

ومع انتصار الاشتراكية وتكون الشخصية الاشتراكية تنشأ وتطور وحدة الشخصية والمجتمع . وتستند هذه الوحدة على اساس موضوعى متين - الملكية الاجتماعية ، الامر الذى يؤمن الجمع بين المصالح الاجتماعية والشخصية الاساسية . ان طموح الفرد نحو تحسين وضعه الخاص فى ظروف انعدام الاستغلال والزامية العمل بالنسبة للجميع انما يتحقق في العمل لما فيه خير المجتمع بأسره .

والوحدة المتزايدة التطور للشخصية والمجتمع هي نزعة موضوعية للاشتراكية وقانون تطورها ، بيد ان هذه النزعة تتجل في خط غير مستقيم . فوحدة الشخصية والمجتمع لا تستبعد على الاطلاق المناقضات فيما بينهما والتي تبرز في كون المجتمع الاشتراكي ، باعتباره ما يزال عاجزا عن تلبية حاجات الشخصية تلبية كاملة ، يضع مقياس تلبيتها وفقا لكمية ونوعية العمل ، ولكن المجتمع لا يؤمن بعد المساواة الاقتصادية التامة للناس ، ولا يخلق بعد الظروف المتساوية من اجل تطوير واظهار النشاط الابداعى لجميع الناس دون استثناء . زد على ذلك ان الشخصية لا تدرك دائما ضرورة التوفيق بين مصالحها ومصالح المجتمع ، بل وتتقدم احيانا من المجتمع بمطالب انانية مفرطة فتنشأ بنتيجة ذلك المناقضات بين المجتمع ، باكثريته الساحقة من اعضائه ، وبين قسم غير كبير من اعضاء المجتمع المتخلجين . ومع سير تطور

الاشتراكية يجرى تدليل هذه التناقضات وتأخذ الوحدة بين الشخصية والمجتمع في التطور باتجاه بلوغ علاقات منسجمة فيما بينهما . واثناء التقدم نحو هذا الانسجام يتغير المجتمع والشخصية على السواء ، اف حين ان تطور وتحول المجتمع يشكلان اساس تطور الشخصية .

لقد اشارت الوثيقة الاساسية لمؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمى عام ١٩٦٩ الى ان الاشتراكية قد بنيت للبشرية آفاق التخلص من الامبرialisية . فالنظام الاجتماعى الجديد القائم على الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج وعلى سلطنة الكادحين ، قادر على تأمين التطور المخطط والخاصى من ازمات للاقتصاد فى صالح الشعب ، وضمان الحقوق الاجتماعية والسياسية للكادحين ، وخلق الشروط من اجل الديمقراطية الحقة ومشاركة الجماهير الشعبية الواسعة مشاركة عملية فى ادارة المجتمع ، ومن اجل تطوير الشخصية من جميع النواحي ومساواة الامم فى الحقوق والصداقه فيما بينها . وتم التدليل عمليا على ان الاشتراكية وحدها قادرة على حل المسائل الجذرية الماثلة امام البشرية .

---

## الفصل الخامس

# الشيوعية - الطور الاعلى للمجتمع الجديد

لقد دلت الشيوعية العلمية البشرية على الطريق نحو المجتمع الشيوعي السعيد . فما الذى تمثله الشيوعية ، اذن ، في شكلها المتتطور ، واية آفاق تفتح امام البشرية ؟

يجدر التنويه بان التصورات عن المجتمع الشيوعى المقبل لا يجوز اعتبارها تصورات كاملة وواافية ابدا ، فهى تقوم على اساس التجربة المكتنزة حتى الآن في بناء الاشتراكية والشيوعية ، وعلى معطيات النظرية الماركسية اللينينية . وهذه التصورات بمثابة تنبؤات تتناول السمات الاساسية للشيوعية ، اما كيفية كونها في تفاصيلها فذلك ما ستتبينه ممارسة المستقبل . وسوف يحل اولادنا بأنفسهم كيفية تنظيم عمل وحياة ومعيشة الناس في ظل الشيوعية . الا ان التصورات العلمية عن الشيوعية وعن المثل الشيوعية تساعد

القوى الثورية المعاصرة على النضال في سبيل التقدم الاجتماعي ، وعلى أن ترى الآفاق والهدف التي يوجهه الجزء الطبيعي من البشرية جهوده نحوها .

## ١ - السمات الأساسية لمجتمع المستقبل

نبدأ وصف مجتمع المستقبل من قاعدته المادية التكنولوجية .

### القاعدة المادية التكنولوجية للشيوعية

ان الانتاج الاشتراكي هو انتاج عالي التطور . بيد ان مستوى تطوره ليس كافيا بعد من اجل التلبية التامة لحاجات الشغيلة المادية والروحية المتنامية باستمرار . وبدون ذلك لا يمكن ان تقوم للشيوعية قائمة ، اذ ان التوزيع حسب الحاجة يشكل احد اهم مبادئها . فالشيوعية هي مجتمع الوفرة ، ونحو الوفرة يقود طريق واحد فقط : التطوير الهائل للقوى المنتجة وانشاء القاعدة المادية التكنولوجية للشيوعية . وعندما يتم انشاء القاعدة المادية التكنولوجية للشيوعية وبلغ الوفرة ، وعندما يستوعب كل عضو من اعضاء المجتمع معرفة العمل بكل ما اوتى من قدرة ، عندما سيجدوا ممكنا الانتقال الى المبدأ الشيوعي للتوزيع حسب الحاجة ايضا .

ومن المهم التنويه لدى ذلك بان الوفرة ليست هدفا بعد ذاته ، بل مجرد وسيلة من اجل بلوغ الهدف الرئيسي ، الاساسي ، للتقدم التاريخي - خلق الظروف (الاقتصادية ، الاجتماعية ، الروحية) لغرض

تطویر الانسان من كافة النواحي . فالثروة الاساسية للمجتمع الجديد ليست الشروء الشيئية ولا المادية بل الانسان بالذات بعظامه تنوع مقدراته ومتطلباته . وقد كتب ماركس يقول انه في ظل الشيوعية يبدأ تطور القوى البشرية وتنشأ الظروف الاكثر جدارة **بالطبيعة البشرية والمماثلة لها** .

فما الذى تمثله ، اذن ، القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية ؟

لدى الحديث عن خصائص القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية تجدر الاشارة في المقام الاول الى ان انشاءها لا يقتصر على مجرد النمو الكمى للقدرات الانتاجية وعلى مجرد تكاثرها . فهو يفترض بالدرجة الاولى حصول تغيرات نوعية عميقه في نفس طابع عملية الانتاج . والخصائص النوعية للقاعدة المادية التكنيكية للشيوعية هي : الكهرباء التامة ، وعلى اساسها اتقان التكنيك والتكنولوجيا وتنظيم الانتاج الاجتماعي في جميع فروع الاقتصاد الوطنى ؛ المkenنة الشاملة للعمليات الانتاجية ، واتمتتها بصورة متزايدة الكمال ؛ الاستخدام الواسع للكيميا في الاقتصاد الوطنى ؛ التطوير الفعال لفروع الانتاج الجديدة العالية المردود اقتصاديا ، واستحداث انواع جديدة من الطاقة والمواد ؛ استخدام الموارد الطبيعية والبشرية والمادية من جميع النواحي وبصورة رشيدة ؛ التوحيد العضوي بين العلم والانتاج ، والوتائر العالية للتقدم العلمي التكنيكى ؛ المستوى الثقافي التكنيكى الرفيع لدى الشغيلة ؛ تفوق ملحوظ على اكشن البلدان الرأسمالية تطورا في انتاجية العمل .

وفي ظل الشيوعية يتم بلوغ أعلى درجة للتنظيم المخطط في الاقتصاد ، ويتأمن الاستخدام العقلاني والرشيد للثروات المادية والموارد الطبيعية والبشرية . وبتسليحها الناس بتكنيك متقن وجبار ترفع الشيوعية سيطرة الانسان على الطبيعة الى علو شاهق ، وتوفر له امكانية التحكم بقواها المتهورة في نطاق متعاظم على الدوام واستخدامها في صالحه . ان هدف الانتاج الشيوعى هو تأمين تقدم غير منقطع وتوفير القيم المادية والثقافية لكل عضو من اعضاء المجتمع وفقا لحاجاته واهتماماته وذوقه المتنامية باطراد .

وسيكون الانتاج في ظل الشيوعية ممكنا ومؤتمتا بصورة تامة . وسوف تجرى جميع عمليات التكنولوجيا والنقل داخل المؤسسات الانتاجية الاتوماتيكية بدون اشتراك مباشر من جانب الانسان . وسوف يقتصر عمل الانسان على ادارة الآلات الاتوماتيكية والاجهزة ، والقيام بضبطها ، ووضع برنامج ونظام العملية التكنولوجية . والمصانع الاتوماتيكية - باكورة صناعة الشيوعية هذه - موجودة ايضا في ظل الاشتراكية ، بيد ان عددها ما يزال ضئيلا جدا ، وهى لا تحدد طابع الانتاج ككل . اما في المجتمع الشيوعى فسوف تنتشر الاتوماتيكا اوسع انتشار . وسوف تقوم الآلات «الذكية» بتوجيه المشاغل والمصانع ، والمحطات الكهربائية الضخمة ومنظومات كاملة للطاقة ، وحقول استخراج النفط ، والمناجم والمقالع ، وتحليقات الطائرات ، وحركة السفن والقطارات ، ومن ثم ، في المستقبل ، كل الاقتصاد الوطنى .

وكما هي الحال في ظل الاشتراكية سوف تتشكل الكهرباء العمود الفقري للقاعدة المادية التكنيكية للشيوعية ايضا . فعلى اساس الكهرباء التامة فقط يمكن تطوير الاتوماتيك والالكترونيك والسيبرنيتيك والراديو تكنيك والكيمياء ، اي تلك الوسائل العلمية التكنيكية التي تعدد كلها الطابع الممكّن والمؤتمت للانتاج في ظل الشيوعية . وسوف تستخدم في ظل الشيوعية ، على ما يبدو ، وبصورة واسعة الانواع الاخرى للطاقة ايضا : الذرية والنوية ، وطاقة الشمس وبواطن الارض الحارة وعمليات المدف مياه المحيطات ، والتى بوشر بامتلاك ناصيتها عملياً منذ مدة قريبة .

وعلى اساس الكهرباء التامة سوف يتم بلوغ نهوض لا نظير له في الصناعة الثقيلة ، والميتالورجيا ، ومعالجة المعادن ، وصناعة الوقود ، والانتاج الكيميائى وغيرها والتى ستبقى ، في ظل الشيوعية ، اسس الاقتصاد الوطنى . وسوف يتبع التطور العاصف للصناعة الثقيلة ، بدوره ، رفع جميع فروع الاقتصاد الوطنى الى درجة اعلى ، عيننا بذلك فروع : الصناعة ، التي تنتج بضائع الاستهلاك الشعبي (اللبسة ، احذية ، منتجات غذائية ، ادوات منزليه ، الخ) ، والزراعة ، والبناء ، والنقل ، والاتصال ، وفروع الخدمة المعيشية للسكان كذلك (التجارة ، التغذية العامة ، الرعاية الصحية ، الخدمات المنزليه وال العامة ، الخ) . وسوف تجرى كلها تلبية حاجات الناس الى الاغراض الثقافية ، بما فيها الموجودة حاليا وتلك التي سيخلقها الناس في المستقبل .

وسوف يكون للعلم اهمية ضخمة ، لا بل حاسمة ، في القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية . فسوف يتحول العلم كلها إلى قوة منتجة للمجتمع . وسوف يقوم بتحديد تكنيك وتكنولوجيا مجتمع المستقبل والمستوى المهني والثقافي التكنيكى لدى العاملين .

والانتاج الشيوعى ، بكل ما فيه من سرعات لا سابق لها . ومقادير ضغط هائلة ودرجات حرارة فائقة الارتفاع ، مستحيل بدون مواد اصطناعية ووقود وخامات جديدة لا وجود لها في الطبيعة . ولهذا السبب بالذات شرع العلم منذ الان ، وبارتباط وثيق مع الانتاج ، في خوض مباراة حقيقية مع الطبيعة نفسها «في سبيل النوعية» ، علما بان الفوز اصبح يحالف العلم باطراد متزايد . والمقصود بذلك : اللدائن ، والمطاط الاصطناعى ، والالياف وغيرها من منتجات كيمياء البوليمرات المعاصرة والتي لا غنى عنها لاي فرع من فروع الاقتصاد الوطنى .

ويشكل الانتاج الزراعى الضخم العالى المردود والعالى التطور عنصرا هاما من عناصر القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية . فعدد الناس يزداد ويرتفع مستوى الاجور وتنمو المداخل الفعلية للشغيلة فتزداد تبعا لذلك بسرعة حاجات المجتمع الى منتجات غذائية رفيعة النوعية وغيرها من سلع الاستهلاك الشعبى وسوف تزداد هذه الحاجات من ثم بصورة اسرع باطراد . ومن هنا تنشأ ضرورة تعجيل تطور الزراعة على اساس احدث منجزات العلم والتكنيك .

تلکم هي الخصائص الاساسية للقاعدة المادية التكنيكية للشيوعية .

وسوف يتم بلوغ النهوض السريع بالانتاج بصورة رئيسية عن طريق رفع انتاجية العمل ، والى تعتبر مقياسا جليا للتقدم الاقتصادي واهم مصدر لبلوغ الوفرة . ويتأمن رفع انتاجية العمل بالتطوير اللاسابق له للعلم والتكنيك والاستخدام الاكثر عقلانية لموارد اليد العاملة والزيادة الملحوظة للفاء العاملين .

وقد نوه لينين بان «الشيوعية هي انتاجية عمل تفوق انتاجية العمل الرأسمالية ويقدمها عمال متطوعون ، واعون ، متعدون ، يستغلون التكنيك الحديث» \* .

وفي سياق وصف القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية تجدر الاشارة ، اولا ، الى ان الخصائص الواردة اعلاه لا تعطى سوى لوحة تقريرية عنها فقط : التنبؤ ، بدرجة كافية من الدقة ، بالاكتشافات العلمية والتكنيكية والتكنولوجية التي سوف تستند عليها ، امر صعب للغاية . ثانيا ، هذه الخصائص ملزمة الى هذا الحد او ذاك للقاعدة المادية التكنيكية ليس فقط للاشتراكية المتطرفة بل ولبلدان الرأسمالية المتطرفة ، والع الحال انه ليس بالامكان ، من حيث المادة او النوع ، واذا لم ننظر الى ماركة الصنع ، ان نميز ، مثلا ، بين آلة صنعت او تستخدم في المجتمع الاشتراكي او المجتمع الشيوعي القادر وبين آلة «رأسمالية» . بيد انه من الضروري عند ذلك ان لا يغيب عن البال كون الآلة في المجتمع الاشتراكي او الشيوعي تعود الى الشغيلة وتستخدم لصالحهم هم ، افي حين انها تعود في ظل

---

\* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٩ ، ص ٢٢ .

الرأسمالية للملك الخاص ، للبرجوازى ، وتخدم بصورة رئيسية اهداف اثرائه .

وسوف يجري على اساس القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية بلوغ وفرة في الغيرات المادية والروحية من أجل كافة افراد المجتمع ، الامر الذى يتبع التقريب بصورة مباشرة من تحقيق المبدأ الشيوعى للتوزيع حسب الحاجة .

### من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته

ان مبدأ «من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته» هو المبدأ الاساسى للشيوعية . وتحقيق هذا المبدأ يجرى التحضير له في ظروف الاشتراكية وتحولها التدريجي إلى الشيوعية .

لقد ايقظ النظام الاشتراكي الى الابداع التاريخى الواقعى ملايين عديدة وعديدة من الناس الذين يدهشون العالم باعظم المنجزات فى اكثربقول العيادة الاقتصادية والسياسية والروحية اختلافا . والاشتراكية ، بخلقها الظروف من اجل تطوير مؤهلات الشغيلة من كافة النواحي ، تطلب من الانسان في الوقت نفسه ان يضع هذه المؤهلات في خدمة المجتمع ، وبمقدار تقييد الانسان بهذه المطالب ، وانطلاقا من نسبة المساهمة العملية التي يقدمها ، تجرى تلبية حاجاته . وفي هذا يكمن جوهر المبدأ الاشتراكي «من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله» .

ومطلب «من كل حسب قدرته» يحافظ عليه في ظل الشيوعية ايضا . الا انه يتعرض للتغيرات جدية ويغدو اكثرغنى وتنوعا .

وليس بمقدور الاشتراكية بعد ان تضمن شروطها متساوية للجميع في تكوين وتطوير واستخدام المؤهلات ؟ ومع وجود مساواة سياسية لا توجد هنا بعد مساواة اقتصادية واجتماعية . ومن الطبيعي ان يملك الشخص الحسن الحال ماديا امكانيات اكبر من اجل تطوره ، وخاصة تطوره الثقافي . والشخص الذي يعيش في المدينة ، حيث تتمركز القيم الثقافية الاساسية ، يملك ايضا افضليات من اجل تطوره الروحي بالمقارنة مع ساكن الريف . ولدى النساء بالمقارنة مع الرجال امكانيات اقل بكثير من اجل تكوين وتطوير المؤهلات ، وذلك لكونهن ينفقن اوقاتا كثيرة في العناية بالبيت وتربية الاطفال .

والمجتمع الشيوعي وحده يخلق ليس فقط ظروفًا متساوية للجميع من اجل تكوين المؤهلات بل وكذلك ظروفا من اجل تطبيقها على افضل وجهه في ميدان الانتاج وخارجها على السواء .

وفي ظل الشيوعية ايضا يبقى العمل الشيء الرئيسي الاساسي في مطلب «من كل حسب قدرته» ، الا ان ذلك سيكون عملا ليس حسب الواجب ، وليس فقط وسيلة للعيش ، بل عملا بالقدر التام من استعمال المؤهلات البشرية ، عملا كعادة ، كمطلوب حيوي . وسوف يعمل الانسان في ظل الشيوعية بصورة ملهمة وابداعية في ذلك المكان الذي يستطيع فيه ان يظهر مؤهلاته على اكمل وجه ، بحيث يستطيع تقديم اكبر فائدة للمجتمع .

ومطلب «من كل حسب قدرته» في ظل الشيوعية ليس فقط عملا طوعيا مجانيا بكل ما لدى الانسان من

مؤهلات من اجل المجتمع ، بل وانشط المشاركة في الحياة الاجتماعية ، في ادارة شؤون المجتمع . وعلى الرغم من ان الاشتراكية ايقظت جمهورا غفيرا جدا من الشغيلة للمشاركة النشيطة في الشؤون الاجتماعية ، فما نزال بعيدين هنا عن اشتراك كل فرد اشتراكا نشيطا في ادارة المجتمع . فالبعض ينقصهم الوقت ، والبعض الآخر تعوزهم الخبرات الضرورية ، وآخرون على قدر غير كاف من الوعي . اما في ظل الشيوعية فكل شخص سوف يشترك في ادارة البلاد . ولا يمكن ان يكون الامر على غير ذلك ، والحال ان الدولة ، بانجاز الانتقال الى الشيوعية ، تتلاشى وتتحل محلها الادارة الاجتماعية الذاتية حيث سيشترك جميع اعضاء المجتمع في ادارة شؤونه .

واخيرا ، فان «من كل حسب قدرته» في ظل الشيوعية يعني ايضا تقييد كافة اعضاء المجتمع تقيدا نموذجيا ، يتتحول الى عادة ، بعرف الحياة الاجتماعية الشيوعية . اما في ظل الاشتراكية فما يزال يوجد اناس ينتهكون القانون والنظام العام والقواعد والمبادئ الجمالية . وعليه ، فان محتوى مطلب «من كل حسب قدرته» في ظل الشيوعية هو العمل العالى الانتاجية بوصفه الحاجة الاولى للحياة ، والتعلم الدائم ، ورفع المستوى التخصصى والتعليمى العام والثقافى ، ومشاركة كل شخص في ادارة المجتمع ، والتقييد الطوعى بقواعد الخلق الشيوعى . والشىء الرئيسي في هذا المطلب هو العمل .

يزعم خصوم الشيوعية العلمية ، في سعيهم الى التشهير بمبدأ «من كل حسب قدرته ولكل حسب

حاجته» ، بانه يتنافى مع التطوير الشامل والمنسجم للإنسان ، ومع التلبية التامة لحاجاته المادية والروحية . وهم يصرؤن على تكرار اقوال مزعومة حول الاشتراكية التقشفية التي تجري فيها تسوية الشخصية البشرية ويغدو الانتاج والتكنيك والآلات ، وليس الانسان ، الشيء الرئيسي . وهم لا يكتفون بذلك بل يزعمون ان رفاهية الشعب المتنامية تؤدى الى ازدهار الروح الفردية ، وانها تتنافى مع مبدأ الشيوعية . اما في الواقع فان نمو رفاهية الناس لا يتناقض باقل درجة مع مهام بناء المجتمع الشيوعى ، وبصورة اولى مع مصالح الفرد . فالمجتمع الشيوعى سيكون غنيا بما فيه الكفاية ليس فقط من اجل تأمين جميع حاجات المواطنين الى الغذاء واللباس والمسكن وغيرها من سلع الاستهلاك الضرورية بسخاء ، بل ومن اجل منحه كل ما يحتاج اليه الشخص المتتطور والمثقف من اجل العيش حياة عامرة بالحوادث . وبهذا بالذات سي يتم القضاء الى الابد على بقايا اللامساواة الاقتصادية ، اللامساواة في التوزيع ، اي ان كافة شغيلة المجتمع الشيوعى سيحصلون على امكانية متساوية في ظروف الوفرة لتلبية طلباتهم المادية والروحية تلبية تامة . وسوف يتخلص الناس الى الابد من التفكير في الدخل والحساب ، ومن الجشع والطمع الى المال . ويغدو المال غير مفيد . ويحصل الانسان ، اخيرا ، على امكانية تكريس نفسه للمصالح الرفيعة التي ستكون منها المصالح الاجتماعية في المقام الاول . والشيوعية العلمية لا يجمعها جامع بروح التقشف وبجعل متطلبات الناس ومصالحهم الحيوية على مستوى

واحد . فهى تقييم ليس مساواة الحاجات بل تكافؤ  
الفرص من اجل تلبيتها .

وهذا يعني ان جميع اعضاء المجتمع سوف تكون  
بامكانهم ، طبقا لاذواقهم وخصائصهم الفيسيولوجية  
والنفسية ، التلبية التامة لحاجاتهم المادية التي لا يمكن  
ان تكون مماثلة اذ ان اذواق الناس وصفاتهم مختلفة .

وهذا يعني ان جميع اعضاء المجتمع سوف تتتوفر  
لهم امكانية متساوية من اجل التعليم وامتلاك العلم  
والثقافة ، اي من اجل تلبية حاجاتهم الروحية ايضا .  
وبما ان الناس يملكون مؤهلات ومصالح ومطامح  
غير مماثلة ، فان حاجاتهم الروحية ، شأن حاجاتهم  
المادية ، لن تكون مماثلة كذلك . واذا اضفنا الى ذلك  
انهم سيكونون انسانا من مختلف المهن والاعمار  
وانهم سوف يعيشون في ظروف مناخية مختلفة ،  
عندما يصبح واضحا تماما ان حاجاتهم لا يمكن ان  
تكون ، باى حال من الاحوال ، مماثلة .

وعليه ، فان المساواة الشيوعية ، التوزيع حسب  
الحاجة ، تتجلی لا بوصفها مساواة بين اناس عديمي  
الشخصية متشابهين ك قطرات الماء ، بل بوصفها  
مساواة بين اناس حقيقيين ، ذوى نشاط عملى ،  
مختلفين . وكل واحد منهم شخصية بارزة المعالم بكل  
ما لديها من مؤهلات ومستوى معارف وحاجات ومصالح  
واذواق وهوايات .

وسوف يعمل كافة الناس بصورة ملهمة وابداعية ،  
ويعيشون حياة غنية ، عامرة بالاحداث وسعيدة . ولن  
يتم بلوغ هذه المساواة دفعه واحدة ، بل تدريجيا ،  
خطوة خطوة ، بقدر انشاء القاعدة المادية التكتيكية

للشيوعية وتكوين العلاقات الاجتماعية الشيوعية  
وتربية الانسان الجديد .

سوف تطرأ ، بالطبع ، تغيرات جدية على حاجات الناس ابان عملية بناء الشيوعية . فسوف تغدو اكثرا اتساعا وتنوعا . وستتغير الحاجات الروحية وتزداد نموا بوجه خاص . بيد ان حاجات الناس ستكون ، في غضون ذلك كله ، خالية من الاسراف والنزوات والاهواء . سوف تكون حاجات سليمة ورشيدة لدى انسان متتطور من كافة النواحي . ان الشيوعية سوف تولد عددا كبيرا من الحاجات الجديدة ، ولكنها بالذات ستخلق الوسائل اللائقة من اجل تلبيتها .

### الشيوعية والعمل

ان الشيوعية العلمية ، باعتبارها تتنافى مع العملية الفظة لمعادلة المستويات ، سياسة التقشف ، ترفض في الوقت نفسه التطرف الآخر : تصور المجتمع القادم وكأنه مجتمع التكاسل والخمول . ان مبدأ التوزيع حسب الحاجة لا يعني ابدا ان الانسان سوف يحصل على كل ما يريد دون ان يبذل اية جهد .

فمن اجل تأمين المساواة الشيوعية والانتقال الى التوزيع حسب الحاجة ، وبالاضافة الى وفرة القيم والخيرات المادية ، يتطلب الامر وجود ممهد آخر لا يقل اهمية : ترسیخ اقدام العمل الشيوعى .

فما الذى يمثله العمل الشيوعى ؟

العمل الشيوعى هو عمل للعموم ، وطوعى ،

ومتحرر من الاستغلال ، وقائم على الملكية الاجتماعية واحداث قاعدة تكنيكية ؛ عمل على الانتاجية ومنظما علميا ؛ عمل ابداعي يجمع في نفسه عضويانا بين الجهود الجسدية والعقلية ؛ عمل يمارسه الانسان بكل ما اوتى من مؤهلات ؛ عمل يُعتبر حاجة حياتية اولى .

لقد غدت القاعدة المقدسة : من لا يعمل لا يأكل ، غدت في المجتمع الاشتراكي منذ زمن بعيد قانون حياة الاكثريه المواطنين . والكثير منهم اصبحوا لا يتصورون حياتهم بدون قضيتهم المحببة ، بدون العمل الذي يعتبر بالنسبة اليهم مصدر اشراح وغبطة وحاجة حياتية . ورغم ذلك فان العمل في ظل الاشتراكية لا يعتبر بعد حاجة لدى جميع اعضاء المجتمع . هذا ، فضلا عن انه لم يض محل بعد في ظل الاشتراكية الطفيليون ، او لئك الافراد الذين يتهربون من العمل المفيد اجتماعيا ويسعون للانتفاع على حساب المجتمع . ويوجد هنا ايضا اناس لا يقومون بواجباتهم باخلاص ونزاهة . اما في ظل الشيوعية فسيقضى الى الابد على الموقف المهيمن من العمل .

وفي ظل الشيوعية سوف يعمل كل شخص بشغف في ذلك المكان الذي يستطيع ان يظهر فيه مؤهلاته على نحو اكمل ، وبالتالي حيث بامكانه ان يقدم للمجتمع اكبر فائدة . والمجتمع الشيوعي ، القائم على الانتاج الاكثر اتقانا واتمته وعلى المستوى الرفيع لوعى الشغيلة ، يخلق ليس فقط ظروفا مماثلة للجميع من اجل تطوير المؤهلات بل واكثر الظروف مؤاتاة من اجل تطبيق مؤهلات كل شغيل على اكمل وارشد وجهه .

فهنا سوف يشتغل الجميع وبصورة دائمة وفقاً لقدرتهم . ولا يمكن ان يكون الموقف من العمل في ظل الشيوعية على غير ذلك ، والحال ان العمل ، وهو الذى يبقى اهم مقدرة لدى الانسان ، يتتحول الى أولى حاجاته ، الى عادة يومية .

ومن الضروري لهذه الغاية تغيير طابع العمل نفسه ، وتصفيية العمل الجسدي الشاق والاعمال الرتيبة البالغة الارهاق ، وتطوير الناحية الروحية الابداعية في العمل وجاذبيته الجمالية ، وتحويل العمل الى مصدر للغبطة والانشراح . عندها فقط يغدو العمل ارقى تعبير عن الشخصية البشرية ويصبح يتباين على اكمل وجه مع الجوهر الخلاق لدى الانسان .

ان اساس حل هذه المهام هو انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية ، والمبنية الشاملة ، واتمته العمليات الانتاجية بصورة متزايدة الكمال .

ان التقدم العلمي التكنيكى العاصف ، الذى تنشأ على اساسه القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية ، يزيد من المتطلبات ازاء ثقافة الانتاج وازاء الاعداد التخصصى والتعليمى العام لدى الشغيلة . ومع تطور واستكمال التكنيك ينمو مستوى اهم الثقافى التكنيكى باستمرار ، وتمحى الحدود بين اصحاب العمل الفكرى والعمل الجسدى . وتزداد اهمية الناحية العقلية والروحية للعمل ، ويصبح الابداع و«الاهتمام الحى» بالقضية ، شيئاً فشيئاً اهم خاصة لديه .

ومع التقدم التكنيكى يفقد العمل طابعه الاحادى الجانب ، الاتجاه الجسدى او الفكرى الغالب ، وينشأ

عمل جديد نوعياً تندمج فيه بصورة عضوية الجهد الجسدية والفكرية .

ولكن ، هلاً يؤدى انتاج الشيوعية المؤتمتة الى جعل الناس يقعدون بدون عمل . كلا ، ليست ثمة اية اسس جدية ما من اجل هذا النوع من التخوف . فالاجهزة الاتوماتيكية ستؤدى الى اضمحلال العمل المضنى ، ولكنها لن تلغى ضرورة بذل جهود معينة في العمل جسدية كانت ام فكرية ، وهي لن تحول العمل الى لهو . لقد كان العمل وما يزال وسيبقى الى الابد عملية تفاعل بين الانسان والطبيعة ، عملية الاستيلاء من الطبيعة على وسائل العيش والتطور الضروري للانسان . عدما بانه ، مع تطور العلم والتكنيك سوف تتسع دائرة تأثيره الفاعل على الطبيعة . وسوف يضطر الانسان باطراد متزايد الى العمل في ظروف صعبة وغير اعتيادية بالنسبة اليه : في بواطن الارض الحارة ، وفي اعماق المحيط ، وفي رحاب الفضاء الكوني اللامتناهية ، ومن الطبيعى في هذه الظروف ان يكون الانسان ذا صلابة جسدية شديدة ، وصحة ممتازة ، ومقدرة تذليل الصعاب ، واحياناً اكثراً الصعاب مفاجأة ، وشد التوتر العصبى . فحيث يوجد العمل توجد وستوجد دائماً صعوبات والنشاط الفعال لعقل الانسان وعضلاته .

## التجانس الاجتماعي للمجتمع

ستحدث بانتصار الشيوعية تغيرات عميقة في العلاقات الاجتماعية ايضاً . ففي ظروف الاشتراكية يبقى الانقسام في المجتمع قائماً . ونظراً لوجود تقسيم

العمل بين المدينة والقرية ، وبين اناس العمل الفكري والعمل الجسدي ، تبقى الفوارق هنا قائمة بين الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين وفئة المثقفين . وتensus الشيوعية حدا لانقسام المجتمع الى طبقات وفئات اجتماعية . وبتحول العمل الزراعى الى نوع من العمل الصناعى وايصال الظروف الاجتماعية الاقتصادية والثقافية المعيشية لحياة القرية الى مستوى ظروف الحياة في المدينة ، سوف تتلاشى الفوارق بين المدينة والقرية ، وبهذا بالذات يزول الى الابد انقسام المجتمع الى طبقة عاملة وطبقة فلاحية . وسوف تزول في وقت لاحق ايضا الفوارق بين العمل الفكري والعمل الجسدي وذلك بواسطة انهاض المستوى العلمي التكنىكى للطبقة العاملة والطبقة الفلاحية الى مستوى القائمين بالعمل الهندسى التكنىكى . وبنتيجة ذلك لن يبقى من وجود لفئة المثقفين كفئة اجتماعية خاصة . فسوف يتتحول العمال وال فلاحون والمثقفون الى عامل المجتمع الجديد الذى سيقوم فيه كل فرد من افراده بالعمل الفكري والجسدى معا ، علما بان الجهود الفكرية والجسديه سوف تندمج عضويًا في النشاط الانتاجي .

وعلى اساس نجاحات البناء الشيوعى واضمحلال الحدود الطبقية وتطور العلاقات الاجتماعية الشيوعية يحصل تقارب لاحق بين الامم الاشتراكية ويتسع تحالطها وتبادل الخبرة الانتاجية ومنجزات الثقافة . وتنتهى عملية تقارب الامم ، في نهاية المطاف ، باندماجها . بيد ان اندماج الامم وازالة الفوارق فيما بينها هما عملية تستغرق من الوقت اكثر بكثير مما

يستغرقـه مـحو الفوارق بين الطبقات . فـمـع انتصار الشـيـوعـية تـزـول الفـوارـق الطـبـقـية ، اـمـا الفـوارـق الـقـومـية ، وـخـاصـة في الـلـغـة فـسـتـبـقـى مـدـة كـبـيرـة نـسـبـيـا .

## الادارة الاجتماعية الذاتية

لقد ايـقـظـت الاـشـتـراـكـية جـمـهـورـا ضـخـما من الشـغـيلـة للـمـشـارـكـة النـشـيـطـة في الشـؤـون الـاجـتمـاعـية . ان مـلاـيـين من اـعـضـاء المـجـتمـع الاـشـتـراـكـية يـشارـكـون في اـدـارـة الـانتـاج وـالـحـيـاة السـيـاسـية وـالـثـقـافـية . وـيـنـمو باـسـتمـارـار دور المـنـظـمات الـاجـتمـاعـية في الـبـنـاء الـاـقـتصـادـي وـالـثـقـافـي وـفـي حلـ المسـائـل السـيـاسـية ، وـتـزـدـهـر الـدـيمـقـراـطـيـة الاـشـتـراـكـية . وـحتـى في ظـلـ الاـشـتـراـكـية يـسـتـطـيـع كـلـ شـخـصـ انـ يـقـولـ باـعـتـزاـزـ : الدـوـلـةـ هـىـ نـحـنـ . وـهـذـاـ اـمـرـ مـفـهـومـ اـذـ انـ دـكـتـاـتـورـيـةـ الـبـرـوـلـيـتـارـيـاـ ، كـمـاـ سـبـقـ انـ رـأـيـناـ ، تـتـحـولـ في ظـلـ الاـشـتـراـكـيـةـ اـلـىـ دـوـلـةـ الشـعـبـ بـأـسـرـهـ .

وـعـلـىـ الرـغـمـ منـ ذـلـكـ لـاـ يـشـارـكـ كـلـ فـرـدـ منـ اـفـرـادـ المـجـتمـعـ ، فـي ظـلـ الاـشـتـراـكـيةـ ، فـيـ الـحـيـاةـ الـاجـتمـاعـيةـ . لـذـاـ ، فـمـنـ المـهـمـ لـلـغـاـيـةـ انـ يـجـتـازـ مـدـرـسـةـ اـدـارـةـ الدـوـلـةـ مـلاـيـينـ جـدـيـدةـ وـجـدـيـدةـ منـ شـغـيلـةـ الـمـديـنـةـ وـالـقـرـيـةـ . انـ الـامـورـ تـسـيـرـ بـاتـجـاهـ مـشـارـكـةـ جـمـيعـ الـمـوـاطـنـينـ بـنـشـاطـ فـيـ اـدـارـةـ الـبـلـادـ .

وـتـلـاشـيـ الدـوـلـةـ لـاـ يـؤـدـىـ ، بـالـطـبـعـ ، اـلـىـ اـحـدـاثـ الـفـوـضـىـ فـيـ المـجـتمـعـ طـالـمـاـ اـنـ وـظـائـفـ الـادـارـةـ الـاجـتمـاعـيةـ ، الـمـمـاثـلـةـ لـوـظـائـفـ اـدـارـةـ حـيـةـ الـمـجـتمـعـ

الاقتصادية والثقافية والتي تضطلع بها حالياً الدولة ، ستبقى موجودة في ظروف الشيوعية ايضاً بعد ما تتعرض للتغيرات النوعية . هذا ، بالإضافة إلى أن القيام بهذه الوظائف يصبح أسهل لأن اعتماد كل شخص على العمل حسب قدرته والتقييد بقواعد التعايش الشيوعي يقضيان على امكانية نشوء أي نوع من انواع التطرف والتجاوز . وبنتيجة ذلك سيصبح المجتمع الشيوعي عبارة عن مجتمع كادحين رفيع التنظيم حيث سيعرف كل شغيل حسناً مكانه ووظيفته في النظام الاجتماعي وينفذ الامر المعهد إليه في الموعد المحدد وبأشد الأخلاص والنزاهة .

وفي الوقت نفسه سيكون طابع وسائل القيام بوظائف ادارة المجتمع في ظل الشيوعية غير ما هي عليه في ظل الاشتراكية . فبمقدار تلاشي الفروق الطبقية ابان التقدم نحو الشيوعية تأخذ هيئات الادارة الحكومية شيئاً فشيئاً بفقدان طابعها السياسي ، الطبقي . ومع تلاشيطبقات في ظل الشيوعية تتحول هذه الهيئات ، وقد اتحدت مع المجتمع في نهاية المطاف واندمجت مع المنظمات الاجتماعية ، تتحول إلى هيئات الادارة الاجتماعية الذاتية . وهذا يعني ان كافة اعضاء المجتمع بالذات سوف يضططعون بادارة الحياة الاقتصادية والثقافية . ومما له دلالته انه ستقوم بذلك لا منظمات حكومية ولا سياسية بل اجتماعية . وتزول كل ضرورة الى الاكراه ، وبالتالي ، الى الجهاز الخاص بالاكراه ، والى القواعد الحقوقية التي يثبتتها التشريع بصورة خاصة وتحميها الهيئات القضائية والتأدبية . وعليه ، فبامضحلالطبقات تضمحل الدولة

بالضرورة في ظل الشيوعية وتتلاشى . وكتب انجلس بهذا الصدد يقول انه يحل ذلك الوقت عندما يوجه المجتمع الدولة الى مكانها الحقيقي - الى متحف الادوات العتيقة جنبا الى جنب مع المغزل والفأس البرونزية .

## ٢ - الفرد في ظل الشيوعية

تشترط الشيوعية ايضا وجود انسان جديد يجمع في ذاته الغنى الروحي والنقاوة الاخلاقية والكمال الجسدي . فالانسان في ظل الشيوعية سوف يحظى بتطور منسجم من كافة النواحي ؛ وتنكشف وتزدهر تماما مقدراته ومؤهلاته . والاشتراكية ليست بقادرة بعد على تأمين ظروف متساوية للجميع في التطور والتربية وتطبيق المقدرات . لذا نأخذ النساء على سبيل المثال . انهن كادحات رائعتات . ولكن ليس سرا على احد ان العديد منهن يتتحملن عبئا ثقيرا جدا : فبالاضافة الى العمل في الانتاج يقع على عاتقهن العبء الرئيسي من هموم البيت والعائلة . وليس من قبيل الصدف ان تكون امكانيات التعليم ورفع الكفاءة والراحة المفيدة ثقافيا محدودة لدى العديد من النساء . وفي ظل الشيوعية يأخذ المجتمع على عاتقه العبء الاساسي من هموم المعيشة ، عندها تكشف المرأة ، وقد تحررت من عدد كبير من الاهتمامات الصغيرة ولكنها مرهقة ، عن مقدراتها ومؤهلاتها باكمل وجه .

والمجتمع الشيوعي ، القائم على الانتاج الريفي - التنظيم المؤتمت ، والمستوى العالى لوعى الشغيلة ،

يخلق ليس فقط ظروفاً متساوية لتطوير المقدرات لدى الجميع ، بل واكثراً الظروف مؤاتاة من أجل اكمل وارشد تطبيق لمقدرات كل شغيل .

وفي ظروف الانتاج الشيوعى سوف يكون لدى الشغيلة متسعاً كبيراً بما فيه الكفاية من اوقات الفراغ من أجل رفع اعدادهم التعليمى العام والانتاجى ، واخذ قسط وافر من الراحة ، ومزاولة الابداع الفنى ، وتربية الاطفال ، والتمارين الرياضية ، الخ .

ان تطوير واتقان التكنيك ومكنته واتجاه الانتاج ستدى بالاقتران مع ازدياد اوقات الفراغ الى جعل الشغيلة ، الذين يقومون بوظيفة انتاجية محددة ، يتحولون الى شخصيات متطرفة من جميع الجوانب ، وقادة لعقد العمليات الانتاجية ، ومبدعين مباشرين للقيم الروحية .

ومن الطبيعي ان تقسيماً معيناً للعمل سوف يبقى في ظل الشيوعية ايضاً . ولا يجوز تصور الامر وكأن شغيل المجتمع الشيوعى هو عبارة عن شخص شامل يستطيع القيام باى نوع من انواع النشاط الانتاجي والروحى . فالانتاج الشيوعى يتطلب روحاً تنظيمية عالية ودقة وانضباطاً . الا ان تخصص الناس الضيق والحادي الجانب ، الذي يربطهم بنوع واحد فقط من انواع النشاط ، سوف يضمحل . وسوف يحصل الناس على امكانية تغيير نشاطهم وتنويعه . ونظراً لوجود اوقات فراغ فان تغيير النشاط سوف يحصل خارج الانتاج ايضاً : ان الشيوعية ستفتح الابواب على مصراعيها امام جميع الناس دون استثناء نحو رحاب العلم والفن والرياضة .

ونتيجة لنجاحات البناء الاشتراكي والعمل التربوي الضخم ترسخت في حياة وعمل الناس في ظل الاشتراكية مبادئُ الاخلاق الشيوعية . الا ان بقايا الماضي : الطفيلية ومعاقرة الغمر وغيرهما من المشاين ما تزال قائمة في ظل الاشتراكية . وبالانتقال الى الشيوعية س يتم القضاء عليها بقوة التأثير الاجتماعي وتغدو المبادئُ السامية للاخلاق الشيوعية امراً اعتياديين وضابطاً وحيداً لسلوك كل عضو من اعضاء المجتمع الجديد . ان الوعي الشيوعي الرفيع وحب العمل والانضباط والاخلاص لمصالح المجتمع هي صفات ملزمة لانسان الشيوعية . والروح التنظيمية والدقة البالغة اللتان يتطلبهما منه الانتاج الشيوعي سوف يجري تأمينهما لا بواسطة الاكراه ، بل على اساس الارراك العميق للواجب الاجتماعي .

## الشيوعية – ذروة الحرية البشرية

ان الشيوعية تعنى اتساعاً هائلاً للحرية لم يسبق له مثيل . وهي تعنى في المقام الاول تحرير الانسان ككائن ، كمنتج للقيم المادية والروحية . فالاشراكية ، بقضائها على الملكية الخاصة ، ارسخت العمل الخالي من الاستغلال . بيد انه ما يزال باقياً في ظل الاشتراكية عمل جسدي شاق وتخصص ضيق للعامل يعيق تطوره العر الشامل . اما الشيوعية فتحول العمل الى حاجة حياتية اولى ، الى عادة نبيلة . والعمل ، الرفيع الاتمته والمكنته والقائم على احدث منجزات العلم ، يغدو عملاً ابداعياً وجذاباً وغير مرهق جسدياً . وفي العمل

الشيوعى الحر سيؤكد الانسان ذاته بوصفه شخصية حرية حقا ومتطورا من جميع النواحي .

وتضمن الشيوعية للفرد تحررا اقتصاديا كاملا وحرية للشخص ليس فقط بوصفه خالقا للخيرات المادية والروحية بل وكمستهلك لهذه الخيرات ايضا . لقد حقق المجتمع الاشتراكي الكثير من اجل رفع مستوى معيشة الشعب ، بيد انه ليس بمقدوره بعد ان يلبى حاجات الناس كلها . وسوف تحرر الشيوعية الانسان الى الابد من الصعوبات المادية وتومن تلبية كاملة لحاجاته المادية والروحية . ونتيجة لذلك سيحصل الانسان على امكانيات واسعة من اجل العمل في اكثر مجالات النشاط تنوعا .

وتعنى الشيوعية بلوغ اعلى درجة للحرية الاجتماعية ، حرية الشخص كمواطن ، وكقائد اجتماعي . ومع اضمحلال الدولة تزول العناصر الاخيرة لاكراء الانسان بواسطة القانون وللرقابة الحكومية على نشاطه . وتشترط الادارة الاجتماعية الذاتية الشيوعية ، التي ستحل محل الدولة ، مشاركة نشطة وحرة من جانب كل فرد في ادارة شؤون المجتمع ، وفي تأمين ازدهاره الاقتصادي والروحي .

وسوف يكتسب الانسان في ظل الشيوعية حرية روحية حقة ، ويتحرر نهائيا من مختلف انواع الاوهام والمتأهات من امثال الاوهام الدينية ، اما قوة المعرفة العظمى التي يكتسبها فسوف ترفع كرامته الانسانية الى ارتفاع لا نظير له بوصفه كائنا واعيا وقاها لقوى الطبيعة الجباره وسيدا لها ، بوصفه سيدا مطلقا لمصيره ولمصائر البشرية الحرة . وسوف يكتسب

الانسان اعظم حرية اخلاقية . فبعد تحرره من بقايا المجتمع القديم ، الرأسمالي ، سوف يتغير بحكم العادة بالقواعد الرفيعة للتعايش البشري ، ويتعلم التحكم بافكاره ومشاعره وافعاله بصورة حرة طبق قناعة داخلية ، والتوفيق بينها وبين مصالح الناس الآخرين ، ومصالح المجتمع .

وهكذا ، فالشيوعية هي قمة الحرية البشرية . وهى تفسح في المجال امام الشخصية الحرة حقاً والمتطرفة بانسجام ، وهى تلبى المتطلبات والعاجات المتنوعة لدى الانسان ككادح ومبدع ، وكمستهلك ، وكقائد اجتماعى ، وكائن مفكر وحساس ، وهى تؤمن افضل تطبيق واستكمال للمؤهلات البشرية .

وكما نرى فان قيام الشيوعية سيكون بمثابة اعظم انعطاف في تاريخ البشرية العريق في القدم ، وسيعني حصول تغيرات عميقة في كافة ميادين النشاط البشري : في الانتاج وطابع وظروف العمل ، وفي العلاقات الاجتماعية والثقافة ونمط حياة الناس ، وفي افكارهم وآرائهم . وسوف تضمن الشيوعية لكل انسان ظروف الحياة التي تتجاوب كلها مع اعز امانيه ، وتستجيب للمثل الانسانية السامية .

وقد جاء في برنامج الحزب الشيوعي السوفييتي ان «الشيوعية هي نظام اجتماعي لاطبقي تقوم فيه الملكية الواحدة للشعب بأسره لوسائل الانتاج ، والمساواة الاجتماعية التامة بين جميع اعضاء المجتمع حيث ، الى جانب تطور الناس من جميع النواحي ، ستتنمو ايضاً القوى المنتجة على اساس العلم والتكنيك المتتطورين على الدوام ، وتتدفق جميع مصادر الثروة الاجتماعية

سيلا كاملاً ويتحقق المبدأ العظيم : «من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته». ان الشيوعية إنما هي مجتمع عالي التنظيم لكادحين احرار وواعين تترسخ فيه الادارة الذاتية الاجتماعية ، ويغدو فيه العمل لغير المجتمع حاجة حياتية اولى بالنسبة للجميع واما يدركون ضرورته ، وتطبق فيه كفارات كل فرد بافيد وجه في صالح الشعب» \* .

وتؤدي الشيوعية الرسالة التاريخية العظيمة : اعتاق الناس من الالمساواة الاجتماعية ، من جميع اشكال الاضطهاد ، ومن ويلات الحروب ، وتقيم على الارض السلم ، والعمل ، والحرية ، والمساواة والاخاء ، والسعادة لجميع الشعوب .

## الشيوعية تنشأ على اساس الاشتراكية

بعد ان نظرنا في الاشتراكية والشيوعية كتطورين للمجتمع الجديد يمكننا ان نشير الآن الى ان ميزة ترسیخ اقام الشيوعية تكمن ، خلافا للاشتراكية التي تنشأ على اساس الرأسمالية وتحمّل آثارها وشوائبها ، في ان الشيوعية تنشأ على اساسها الخاص - على اساس الاشتراكية المتوضدة والمتطورة . ونتيجة لذلك فان سبل ووسائل قيام الاشتراكية والشيوعية تتمايز فيما بينها مبدئيا . فالاشتراكية تقام في اعقاب الثورة الاشتراكية والتحطيم الجذرى لدعائيم

---

\* « برنامج الحزب الشيوعى في الاتحاد السوفيتى » .

موسكو ، ١٩٧١ ، ص ٦٢ .

الرأسمالية الاقتصادية والسياسية والروحية . اما بالنسبة لقيام الشيوعية فلا حاجة للثورة . فالشيوعية تتطور مباشرة من الاشتراكية عن طريق تطور واستكمال اقتصادها وعلاقاتها الاجتماعية وثقافتها الروحية .

والقاعدة المادية التكنيكية للشيوعية تنمو على اساس الانتاج الاشتراكي ، عن طريق تطويره المخطط واتقاده . والملكية الشيوعية الواحدة ستكون نتيجة لتطور شكل الملكية الاشتراكية واندماجهما التدريجي : ملكية الدولة والملكية التعاونية . وستنموا الادارة الشيوعية الذاتية من دولة عموم الشعب الاشتراكي .

وبما انه توجد بين الاشتراكية والشيوعية فوارق نوعية جدية فان سمات معينة للمجتمع الاشتراكي سوف تزول بالطبع ابان ترسیخ اقام الشيوعية محلية المكان لسمات جديدة ، شيوعية . الا ان نفس عملية حلول المجتمع الشيوعى محل المجتمع الاشتراكي تجري فقط عن طريق تعزيز مبادئ الاشتراكية واستخدامها الشامل والفعال ، عن طريق استخدام كافة الامكانيات الكامنة في هذه المبادئ . من ذلك مثلا ان المبدأ الشيوعى للتوزيع حسب الحاجة يمكن الانتقال اليه فقط عن طريق تطوير المبدأ الاشتراكي للتوزيع حسب العمل الى اقصى حد واستخدامه استخداما شاملا ، وفقط عندما يستنفذ هذا المبدأ كل امكانياته ويغدو ليس غير ضروري فحسب ، بل وغير ممكن ايضا .

وفي المجتمع الاشتراكي نفسه تتطور باطراد الاشكال الشيوعية للعمل وتنظيم الانتاج والاسكال

الاجتماعية لتلبية حاجات الشغيلة المادية والروحية ،  
الخ . ومع سير التقدم نحو الشيوعية تأخذ سمات  
الجديد هذه بالنمو والاتساع مزيلة من طريقها كل ما  
يعيق التطور التقدمي للمجتمع .

ان الشيوعية تستجيب لالح واعز مصالح وامانى  
الشعوب ، وتمثل النظام الاجتماعى الانسانى حقا واكثر  
انسانية . ولهذا بالذات فهى تأسر عقول وقلوب ملايين  
جديدة وجديدة من الناس ، وتحظى بمناصرين  
ومناضلين جدد وجدد على الدوام فى مختلف بقاع الكرة  
الارضية .

ففى هذا تكمن قوة الشيوعية ، وفي هذا يكمن اهم  
عامل لانتصار الشيوعية فى العالم بأسره .

---

## الفصل السادس

# اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية يبني الشيوعية

تم بجهود الشعب السوفييتي في الاتحاد السوفييتي بناء الاشتراكية المتطورة التي تتصف باعلى درجات نضوج لجميع مجالات حياة المجتمع (الاقتصادية ، السياسية ، الاجتماعية ، الروحية) ، وبأوثق التفاعل والتناسق فيما بينها ، وبامكانيات المجتمع المتعاظمة ، وقدرته على حل مختلف المهامات في وحدة متكاملة ، وعلى تعزيز نمو الرفاه الشعبي . وقد قال الرفيق بريجينيف ، ضمن خطاب القاه امام ناخبي دائرة باومنسكي الانتخابية في مدينة موسكو بتاريخ ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٧٤ : «فبفضل عمل الملايين البطولى المؤوب ، بني في بلادنا مجتمع اشتراكي ناضج متطور . ورغم ذلك فلا يزال يترب علينا الآن ان نخصص اموالا طائلة لتطوير قدرة البلاد الاقتصادية

المتسارع ، وضمان جبروتها الدفاعي . ولكن مواردنا اصبحت اكبر بكثير . وهذا يمكّننا من تحقيق ما كنا نسعى اليه دوما وهو جعل زيادة رفاهية المواطنين السوفيفيت نواة لسياسة الحزب في مجال التطبيق» \* . وبعد انجاز بناء الاشتراكية يقوم الناس **السوفيفيتون** **بالبناء الناجح للشيوعية** . ان بناء المجتمع الشيوعي يتطلب حل ثلاث مهام اساسية : انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية ؛ تكوين العلاقات الاجتماعية الشيوعية ؛ تربية الانسان الجديد - مواطن المجتمع الشيوعي وبانيه العالى الادراك . وهذه المهام الثلاث متراپطة فيما بينها ترابطا وثيقا . وهى تعبر عن نواح ثلاثة مختلفة لعملية واحدة ، عملية تحويل المجتمع الاشتراكي الى المجتمع الشيوعى .

## ١ - انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية

**التكتييف هو السبيل الاساسى لانشاء القاعدة  
المادية التكنيكية للشيوعية**

ابان بناء الاشتراكية كان الانتاج العام يتتطور تطورا توسيعيا بصورة رئيسية ، اي بالدرجة الاولى على حساب نمو القدرات الانتاجية وزيادة عدد العاملين .

---

\* بريجنيف . «كل شئ لخير الشعب وباسم الانسان السوفيفيتي» . موسکو ، بوليتيزدات ، ١٩٧٤ ، ص ٥ .

اما بالنسبة لاقامة الانتاج الشيوعى ، انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية ، فيتسم التطوير المكثف باهمية حاسمة وهو يرتبط باستخدام احدث المنجزات العلمية التكنيكية وباتقان نظام ادارة التطور الاقتصادي ، على السواء .

فماذا يعني ، اذن ، تكثيف الانتاج الصناعى على اساس استخدام منجزات الثورة العلمية التكنيكية المعاصرة ؟ انه يعني :

- التطبيق الشامل للآلات والاجهزة والمعدات الحديثة ، واحدث المواد ، والخامات والوقود ، والعمليات التكنولوجية العالية الفعالية (الفيزيائية - الكيميائية ، الكهربائية - الفيزيائية ، الالكترونية ، وغيرها) ، والتحديث الواسع للمعدات . ويکفى القول ، مثلا ، انه خلال اعوام ١٩٧١ - ١٩٧٤ تم في البلاد السوفيتية صنع ١٥٨٣٦ نوعا جديدا من الآلات والمعدات والاجهزة . وفي عام ١٩٧٤ وحده جرى تصميم وصنع حوالي ٤ آلاف نموذج للآلات والمعدات والاجهزة الجديدة .

- اتقان بنية الانتاج الصناعى ، والتطوير الاولى والسبق للفروع ذات المستقبل والتى تحدد الاتجاه الرئيسي للتقدم العلمى التكنيكى المعاصر - انتاج الطاقة الكهربائية ، بناء المكائن ، الصناعة الكيميائية ، صناعة الاجهزة ، الميتالورجيا وخاصة انتاج المعادن العالية النوعية ؛ تحسين النسب داخل الفروع ، زيادة حصة اکثر انواع الانتاج ريعية من الناحية الاقتصادية التي تؤمن حاجات المجتمع باقل ما يكون من النفقات .

- رفع مستوى تخصص وتعاونية المؤسسات الإنتاجية ، وتطوير التعاونية بين الفروع ؛ التطبيق الواسع لتوحيد المجموعات والقطع وجعلها ذات مواصفات قياسية واحدة ؛ تطوير اشكال تجميع الانتاج الملائمة اقتصاديا . وانها لكبيرة بوجه خاص اهمية التخصص الذى يتتيح تأمين سياسة علمية وتكنولوجية واحدة في كل فرع ، وغرس احدث منجزات العلم والتكنولوجيا في الانتاج ، وانسب استخدام للموارد المادية والبشرية والمالية ، والتنظيم الفعال للاعلام العلمى واعمال البحث والتصميم ، واعداد ملاكات عالية الكفاءة واضفاء مواصفات قياسية موحدة على الانتاج . وبایجاز نقول ان التخصص يوفر امكانيات كبيرة امام رفع انتاجية العمل وتحسين نوعية المنتوجات واتقان خدمة السكان وتطوير الثقافة والعلم والتعليم .

- تحسين استخدام المعدات والخامات والمواد والوقود ؛ تقليل نسبه انفاق مدنفات المعادن الحديدية ؛ الاستعاذه عن المعادن غير الحديدية على نطاق واسع بمواد ارخص ؛ تقليل معدلات صرف الوقود ؛ زيادة المنتجات الجاهزة من الخامات ؛ الاستعمال الواسع للمواد الاصطناعية .

- رفع نوعية المنتجات وتخفيض كلفتها بصورة حادة ؛ زيادة انتاجية واقتصادية وضمانة ومدة عمل الآلات والاجهزه والمعدات ، زيادة مدة خدمة المحركات ، تخفيض وزن الآلات بالنسبة لوحدة القدرة ؛ رفع نوعية المواد والخامات ؛ توسيع تشكيلة بضائع الاستهلاك العام وتحسين نوعيتها .

- التطوير الواسع للباحثات العلمية والاستخدام

السريع لنتائجها في الانتاج وتطبيق الاختراعات والمقدرات التجديدية . والعلم ، في هذه الحال ، مدعو لأن يستبق في تطوره الانتاج والتكنيك ، لأنه بمقدار ما يعمل العلم على تغذية التطبيق والانتاج بافكار وحلول تصميمية وتقنولوجية جديدة بصورة أكثر خصبا بنفس المقدار يزداد تطور التكنيك سرعة وتزداد وتأثير التقدم التكنيكى ونمو الانتاج العام علوا .

- تعجيل نمو انتاجية العمل بواسطة زيادة تجهيزه بالمعدات الكهربائية وتطبيق المكننة والأتمتة الشاملتين للانتاج بصورة مستمرة والاستخدام الواسع لاساليب ووسائل التنظيم العلمي للعمل .  
- اتقان توزيع القوى المنتجة بهدف تأمين اكمل استخدام ممكن للموارد الطبيعية والبشرية والمالية ؛ التقليص الاقصى لعمليات النقل البعيدة وغير الرشيدة عن طريق تقريب الانتاج من قاعدة الخامات واليد العاملة والمستهلكين .

- اتقان نظام اعداد الاختصاصيين : العمال ، المهندسين ، التكنيكين ، المستخدمين ، وجعله متفقا مع متطلبات العلم والتكنيك الحديث .

وهكذا يتضح ان تكثيف الانتاج يدخل تغييرات جذرية الى طابع وبنية الانتاج ، ويغير بصورة جذرية اجزاءه المادية والبشرية على السواء . ويأخذ الانتاج بالتوحد والتمرکز ، ويغدو انتاجا بالجملة ، انتاجا متسلسلا . وتصبح تنتج انواع جديدة من المنتوجات التي تجسد احد المنجزات العلمية التكنيكية وتلبى الحاجات العامة والشخصية المتغيرة على الدوام . ويغدو الانتاج اكثر اتساقا ، وتزداد سرعة العمليات

الانتاجية وتتقلص مدة الدورة الانتاجية ، واحجام المنتوجات غير الناجزة ، والقدرات الانتاجية بالنسبة لوحدة المنتوج ، وكمية العمل والطاقة والمواد التي يتطلبها صنع وحدة المنتجات ، وتحسن طرق نقل القطع والمجموعات والوحدات ضمن نطاق المؤسسات الانتاجية ، ويستكملا نظام الاشراف على نوعية المنتجات الجاهزة وحسابها وتسويقه .

ويكتسب تكثيف الانتاج اهمية حاسمة في تنمية الانتاج الزراعي ايضا . وهذا يتطلب جملة كاملة من الاجراءات : نقل الزراعة الى اسس صناعية ؛ رفع مستوى الزراعة وتربيبة الماشية على اساس الرى واستخدام المواد الكيميائية والمكنته الشاملة ؛ ادخال احدث منجزات العلم الزراعي والممارسة التقديمة باستمرار الى الانتاج ، وتخصص الانتاج ؛ التنظيم العلمي للعمل ، وحسن استخدام مختلف اشكال التشجيع المعنوى والمادى للعاملين ؛ تطبيق الميزان الاقتصادي بصورة واسعة بغية بلوغ انهاض لاحق للإنتاج الزراعي وانماء انتاجية العمل وتخفيض الكلفة .

ان الحرص على الوقت ، والحصول على اكبر النتائج مع اقل النفقات في اقصر مهلة هما هدف تكثيف الانتاج الزراعي . وتكثيف الانتاج الزراعي يعني ايضا زيادة نسبة الزلاليات في الحنطة ، ونسبة السكر في الشمندر ، ونسبة الزيت في دوار الشمس . ويتسنم العلم باهمية كبيرة خاصة في تكثيف الزراعة ، نعني توسيع الابحاث النظرية والتجريبية في ميدان الاقتصاد ، والبيولوجيا ، والهندسة الزراعية وعلم تربية المواجن ، ومكنته الانتاج . وتزداد كذلك

مسؤولية العلماء عن التعليل العلمي لتصنيفاتهم ، وعن فعالية ادخال المنجزات العلمية الى التطبيق العملي للانتاج الكولخوزى والسوفخوزى .

وفي سير عملية التكتيف يتغير الناس ايضاً ، وهم القوة المنتجة الرئيسية ، ويتعقد تقسيم العمل ، وتنشأ مهن جديدة وجديدة وتضمحل القديمة ويعاد تنظيم القائمة منها . وتنمو كفاءة الشغيلة ، وتزداد متطلبات اعدادهم التخصصى والتعليمى العام ، ويرتفع مستواهم الثقافى التكنىكى . وتطرأ تغيرات عميقه على الجماعات الانتاجية وتركيبها المهني ، ونظام العلاقات المتبادلة بين الناس ، وتبادل نشاطهم وثمار عملهم .

ويعتبر تنفيذ الخطط الخمسية لتطوير الاقتصاد الوطنى في الاتحاد السوفياتي وخاصة الخطة الخمسية العاشرة (لاعوام ١٩٧٦ - ١٩٨٠) مراحل هامة في بناء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية . وتكون المهام الاجتماعية الاقتصادية الأساسية ، التي طرحتها برنامجه الحزب والمؤتمرات الأخيرة والتي يجري حلها في الخطط الخمسية ، في زيادة رفاهية الناس السوفيتين باستمرار وتحسين ظروف عملهم ومعيشتهم وفي التقدم الملحوظ لرعاية الصحة والتعليم والثقافة ، اي في كل ما يساعد على تكوين الانسان الجديد وتطوير الفرد من جميع الجوانب واستكمال نمط الحياة الاشتراكى .

ومن المرتئى خلال اعوام الخطة الخمسية العاشرة زيادة الدخل القومى ٢٤٪ - ٢٨٪ والانتاج الصناعى ٣٥٪ - ٣٩٪ وانتاج المنتجات الزراعية ١٤٪ - ١٧٪ . وعلى اساس منجزات الاقتصاد تزداد رفاهية الشعب

ويرتفع مستوى الثقافة ويتحسن نظام التعليم والرعاية الصحية والضمان الاجتماعي والخدمة المنزلية \* . وتنمو بصورة متواصلة القدرة الاقتصادية للاتحاد السوفييتي . فقد جرى في عام ١٩٧٤ انتاج ١٣٦ مليون طن من الفولاذ و٤٥٩ مليون طن من النفط و٩٧٦ مليار كيلوواط ساعة من الطاقة الكهربائية .

ويجري الاتقان المتواصل لبنية الانتاج الصناعي ، وتطور بوتائر متجاوزة الفروع التي تؤمن التقدم التكنولوجي في الاقتصاد الوطني - بناء المكائن ، انتاج الطاقة ، الميتالورجيا ، الكيمياء . ولتناول الان بالتفصيل الثورة العلمية التكنولوجية التي تعتبر وسيلة هامة في تكثيف الانتاج وعملا جبارا للتقدم الاجتماعي .

## الثورة العلمية التكنولوجية ونتائجها الاجتماعية

يعتبر جيلنا شاهدا على انتشار الثورة العلمية التكنولوجية المرتبطة بالنجاحات الهائلة للاتوماتيك والراديوالكترونيك والتليميكانيكا وباستخدام الطاقة الذرية وارتفاع الفضاء ومنجزات السiberنيتك والكيمياء والفيزياء والبيولوجيا وغيرها من العلوم . ان أهمية الثورة العلمية التكنولوجية هي من العظمة بحيث ان اي حدث هام من احداث التاريخ البشري المعاصر لا يمكن فهمه بدون التحليل الشامل لهذه

---

\* « مواد المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي » ، ص ٤٠ .

الثورة بالذات ، وبالمقام الاول لنتائجها الاجتماعية .  
لقد غدا ميدان التقدم العلمي التكنيكى في عصرنا  
احد اهم مضامين الصراع والتنافس بين النظامين  
الاجتماعيين المتعارضين : الاشتراكية والرأسمالية .  
ويقول لينين : «... ان الغلبة لمن يملك ارقى  
الاعتمدة والتنظيم ، والانضباط وخيرة الآلات» \* .  
وكان لينين يدعو الى «امتلاك العلم والتكنيك وكافة  
المعارف» التي لا يمكن ، في اعتقاده ، بناء الاشتراكية  
بدونها .

وسيرا على وصايا لينين يولي الحزب الشيوعى  
السوفيتى عنایة دائمة بتطوير العلم والتكنيك .  
ان الثورة العلمية التكنيكية تنتشر في النظامين  
الاجتماعيين المختلفين : الاشتراكى والرأسمالى .  
ولكن ، بما ان قوانين تطور المجتمع وكذلك هدف  
الانتاج العام في هذين النظامين مختلفة مبدئيا ، فان  
دواتع التقدم العلمي التكنيكى مختلفة ايضا ، كما هي  
مختلفة نتائجه الاجتماعية الاقتصادية وآفاقه .

فالدافع الرئيسي للتقدم العلمي التكنيكى في ظل  
الرأسمالية هو الربح والصراع التنافسى القاسى . ان  
الركض وراء الربح والسعى الى سحق المنافسين في  
السوق هما بالضبط اللذان يجبران الرأسماليين على  
تطوير العلم واتقان التكنيك والتكنولوجيا على  
اساسه . ويستغل رأسماليو اكثر البلدان تطورا  
(الولايات المتحدة الاميركية ، انكلترا ، جمهورية  
المانيا الاتحادية ، اليابان وغيرها) ، يستغلون بمهارة

---

\* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ١١٦ .

أحدث منجزات العلم والتكنيك من اجل انماء الانتاج وزيادة انتاجية العمل ونوعية المنتجات ، الخ . ويكون من الخطأ الجدى ، في هذا الصدد ، عدم تقدير منجزات العلم والتكنيك في هذه البلدان حق قدرها ، وبصورة اولى الاستهانة بتجربة استخدامها هذه المنجزات في الانتاج طالما ان هذه التجربة يمكن و يجب استخدامها في ظروف الاشتراكية مع اخذ الخواص النوعية لل الاقتصاد الاشتراكي بالحسبان ، بالطبع .

ولا يجوز في الوقت نفسه عدم رؤية التناقضات العميقه للتقدم العلمي التكنيكى في ظل الرأسمالية . فالعلم والتكنيك هما هنا اداة للاستغلال . لذا ، فليس من قبيل الصدق ان الاميراليه غالبا ما تحكم على العلم والتكنيك بتطور وحيد الجانب ، والحال ان الاحتكاريين يعتنون على الاخص بتطوير تلك الفروع العلمية التي تدر عليهم اكثرا الارباح . الا انهم يبدون اهتماما خاصا بتطوير تلك الفروع التي تعمل في الانتاج العربي ، فالbizنس العربي هو اكثرا الفروع فائدة وضمانة . ان العسكرية هي سمة مميزة خطيرة للغاية للعلم والتكنيك في المجتمع الرأسمالي المعاصر .

وبفعل تقدم العلم والتكنيك يبدي الانتاج الرأسمالي ميلا نحو الاتساع ، في حين ان القدرة الشرائية لدى السكان محدودة ، اما التصريف في الاسواق الخارجيه فيعيقه الصراع التنافسي . وتعمل الآلات والاجهزه الجديدة على ازاحة الكادحين المتعددين من دائرة الانتاج الرأسمالي ، الامر الذى يؤدى الى ازدياد البطالة ويقلص القدرة الشرائية ، وبذلك بالذات يكبح التقدم العلمي التكنيكى . وتسبب الفوضى والمنافسة الاسرار

التجارية في العلم مما يعرقل التعاون العلمي التكنينكي ويخلق توازية في العمل . وتضع الاحتكارات آلافا عديدة من الاختراعات والاكتشافات الهامة على الرف بانتظار ارتفاع «قيمتها التجارية» .

وانه لمغاير تماما هدف وآفاق ونتائج الثورة العلمية التكنينكية في ظروف الاشتراكية . فالاشتراكية تقيم التنظيم المخطط للإنتاج من اجل تأمين رفاهية جميع اعضاء المجتمع وتطويرهم من كافة الجوانب . لذا تفسح الاشتراكية والشيوعية في المجال امام تطور الثورة العلمية التكنينكية ، وتسخدمان منجزات العلم والتكنيك لا من اجل الحق الضرر بالناس ، كما يحصل ذلك غالبا في ظل الرأسمالية ، بل لما فيه خير الانسان الكادح .

ويشكل العلم في المجتمع الاشتراكي احدى اهم وسائل تطوير الانتاج ورفع رفاهية الشغيلة المادية ومستواهم الثقافي . وهو عامل هام لبناء الشيوعية . ويعود للعلوم الطبيعية دور حاسم في تطوير واتقان التكنيك واستكمال الخبرات الانتاجية لدى الشغيلة ، وفي رفع مستواهم الثقافي . واهمية العلوم الاجتماعية كبيرة ايضا . فهى ، بتسلیحها الناس بمعرفة قوانین حیاة ونشاط وتطور المجتمع ، تشكل الاساس العلمي لقيادة العمليات الاقتصادية والاجتماعية ، وتلعب دورا ضخما في التربية الشيوعية وفي امتلاک الشغيلة ناصية العقيدة المادية الدياليكتيكية . والعلم في ظروف الاشتراكية اداة جباره للسلم والابداع والتقديم الاجتماعي الذى لم يسبق له مثيل . وتكون اهم ميزات العلم في شعبيته الكبيرة التي تبرز

ليس فقط في انه يخدم الشعب بل وفي ان الشعب قد حظى بامكانية الولوج الى رحاب العلم . وعشرات الآلاف من العلماء السوفيتين قد انحدروا من الشعب الذى يهبونه كل قواهم ومعارفهم . وبمعية العلماء يدفع العلم السوفيتى الى الامام ايضا ملائين من مجددى الانتاج والمخترعين والمبتكرين من عداد العمال والكولخوزيين .

ويتيح النظام الاشتراكي اجراء ابحاث علمية طبقا لخطة الدولة العامة وتنسيق عمل المؤسسات العلمية الكثيرة العدد ، الامر الذى يوفر امكانية تركيز انتباه وقوى العلماء على حل اهم المسائل . والعقيدة الدياليكتيكية المادية ، السائدة في ظل الاشتراكية ، تحرر العلم من التأثير الوخيم العاقبة الذى تمارسه المثالية والدين ، وتسلح العلماء بالمنهجية العلمية الوحيدة لاستقصاء العمليات الطبيعية والاجتماعية .

## تعول العلم الى قوة منتجة

في سير بناء الشيوعية يروح العلم يندمج او ثق فاوثق بالانتاج الذى يستخدم بدوره منجزات العلم باتساع متزايد . ان العلم يتتحول اكثرا فاكثر الى قوة منتجة مباشرة للمجتمع البشري . بيد ان تحول العلم الى قوة منتجة للمجتمع لا يعني ابدا انه اصبح عنصرا مستقلأ جديدا من عناصر القوى المنتجة الى جانب وسائل الانتاج والناس العاملين في الانتاج . فالعلم يكتسب دور القوة المنتجة ليس بنفسه بل فقط من خلال التجسيد التكنولوجي والبشري .

ففى مـ ، اذن ، يتجلى عمليا دور العلم كقوة منتجة ؟

اولا . تتجسد منجزات العلم في التكنيك والتكنولوجيا التقديميين . ففي الوقت العاضر اخذت تنشأ في نطاق العلم فروع كاملة للانتاج (الطاقة النووية ، كيمياء البوليمرات ، الانتاج الميكروبيولوجي ، راديوالكترونيك ، وغيرها) ، ويستحيل وجود هذه الفروع بدون العلم . وأخذ الانتاج يصبح باطراد متزايد موضعًا لاستخدام تكنولوجي للعلم وتجسيدا لقوة المعرفة ومخبرها هائل الاتساع تنضج فيه احدى المنجزات العلمية ، وتجرب و تستخدم .

ثانيا . تتجسد منجزات العلم في الانسان - المنتج ، في معارفه ومهاراته وخبرته المهنية . وقد اخذ الانتاج الممكnen الشامل ، وبصورة اولى الانتاج المؤتمت ، يملأ العمل بمحظوي عقل اكثراً فاكثراً ، وييتطلب من العامل مستوى ثقافياً تكنولوجياً ومهنياً عالياً . ويساعد العلم الانسان العامل في الانتاج ، بتسلیحه اياه بالمعارف العصرية ، في زيادة كفاءته ورفع انتاجية العمل ومشاركته النشطة في التجديد والابتكار .

ثالثا . يدخل النشاط العلمي باطراد متزايد دائرة الانتاج المادي المباشر ويغدو عملاً منتجاً . وتصبح الابحاث العلمية تجري بمناطق متزايدة الاتساع في الانتاج مباشرة : في معاهد البحث العلمي الكثيرة العدد ومعاهد التصميم والمخابر والاقسام التابعة للمصانع والمعامل والكولخوزات والسوფخوزات . وبكلمة اخرى نقول ان دائرة العلم تغدو احد المشاغل الرئيسية للانتاج المعاصر .

ان موضوع تحول العلم الى قوة منتجة مباشرة ينسحب بالدرجة الاولى على العلوم الطبيعية

والטכנيكية : الميكانيكا ، الفيزياء ، الكيمياء ،  
البيولوجيا وغيرها . هذا ، بالإضافة إلى أن العلوم  
الاجتماعية أيضا ، وخاصة الاقتصادية منها ، اخذت  
تنفذ في الانتاج بنشاط متزايد . وتساعد هذه العلوم ،  
باستخدامها الاساليب الرياضية والآلات الالكترونية  
الحاسبة ، على اتقان ادارة الانتاج ، وتمهد الطريق امام  
افضل استخدام للموارد المادية والبشرية والمالية ،  
الامر الذي يتسم باهمية خاصة في ظل النطاقات الضخمة  
للانتاج المعاصر . ناهيك عن الدور الكبير جدا الذي  
تلعبه العلوم الاجتماعية في تكوين الخلق الروحي  
للمنتجين وعقيدتهم .

والعلم مدعو " ليس فقط إلى رؤية اليوم الحاضر بل  
والغد ايضا ، وخلق «احتياط» للمستقبل ، وحل اهم  
القضايا النظرية التي تمهد الطريق امام التقدم  
الاجتماعي وتفتح سبلًا جديدة في العلم والTeknik .  
ان العلم ، بوصفه مضمارا هاما للحياة الاجتماعية ،  
ينمو ويتطور بصورة عاصفة . ويزيد عدد الباحثين  
العلميين والمؤسسات العلمية : بلغ عدد الباحثين في  
الاتحاد السوفييتي ١١٦٩,٧ الف شخص في آخر عام  
١٩٧٤ مقابل ١١,٦ الف شخص عام ١٩١٣ . كما ان  
النفقات على العلم تزداد بوتائر تسبق وتتأثر نمو  
الدخل القومي وانتاج المنتجات الصناعية .

ان امكانيات العلم السوفييتي ابعد من ان تكون قد  
استنفدت بعد . ولهذا السبب بالذات يولي الحزب  
والحكومة اهتماما كبيرا لاتقان نظام التخطيط وادارة  
وتحفيز الابحاث العلمية ، ورفع فعالية العلم  
الاقتصادية والاجتماعية ، وتعزيز وتطوير روابط العلم

بالانتاج . ولهذا الغرض يجرى انشاء مؤسسات علمية جامعة من مهامها اجراء كل مجموع اعمال البحث والتصميم والانتاج بما فيها الانتاج المتسلسل للمنتجات الجديدة . وتجري اقامة معاهد للبحث العلمي في المؤسسات الانساجية الضخمة ، وتقوية مبدأ التخطيط باعتباره مقدمة هامة لرفع فعالية الابحاث العلمية واستخدامها في التطبيق بصورة اسرع .

لقد طرح المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفيفيti امام الحزب والشعب السوفيفيti بأسره مهمة تاريخية هامة : «الجمع عضويا بين منجزات الثورة العلمية التكنيكية وبين افضليات النظام الاشتراكي لللاقتصاد ، والتطوير الاوسع لاشكالنا في التوحيد بين العلم والانتاج والملازمة للاشتراكية» \* . و أكد المؤتمر الخامس والعشرون للحزب الشيوعى السوفيفيti على ما لهذه المهمة من الأهمية الحيوية .

## الاصلاح الاقتصادي

يعتبر الاصلاح الاقتصادي احد اهم الاجراءات الموجهة نحو تكثيف الانتاج الاشتراكي في الاتحاد السوفيفيti والذى اتخذت قرارا بشأنه دورة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيفيti في شهر ايلول (سبتمبر) من عام ١٩٦٥ ، وصادق عليه المؤتمر الثالث والعشرون للحزب . ويكمn جوهر الاصلاح في

---

\* «مواد المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعى السوفيفيti» ، ص ٥٧ .

تقوية دور الاساليب الاقتصادية للادارة واتقان التخطيط الحكومي وتوسيع الاستقلالية الاقتصادية والمبادرة لدى المؤسسات الانتاجية وتطبيق الميزان الاقتصادي بجميع الوسائل وتحسينه . ولنتناول هذه المسائل بالتفصيل .

نقول بادئ ذى بدء ان الاصلاح يغير بصورة محسوسة نظام تخطيط عمل المؤسسات الانتاجية . ففى حين انه كان يجرى من المركز ، قبل الاصلاح ، وضع عشرات من مختلف المؤشرات للمؤسسات الانتاجية ، وبهذا بالذات يجرى من الاعلى ترتيب نشاطها الاقتصادي بالتفصيل ، فقد اقر الاصلاح بضعة مؤشرات فقط تحدد بطريقة مركزية ، وهى : حجم تسويق المنتجات ؛ اللائحة الأساسية للمنتجات ، حصيلة الربع الريعي ؛ الصندوق العام للاجور ؛ المدفووعات للميزانية والاعتمادات من الميزانية ؛ حجم التوظيفات الممركزة وتدشين القدرات الانتاجية والصناديق الأساسية ؛ المهام الأساسية لتطبيق التكنيك الجديد ؛ مؤشرات التزويد المادى التكنيكى .

وفي حين ان المؤشر الأساسى السابق في تقييم عمل المؤسسة الانتاجية كان مؤشر المنتوج الاجمالى ، فقد اصبح الآن حجم تسويقه ، اي بييعه . علما بأنه قد تم اتباع نظام يؤخذ فيه بالحسبان لا اي نتاج مسوق كان بل ذلك النتاج فقط الذى يتواكب مع متطلبات المستهلك والذى تنص عليه الاتفاقيات او المعاهدات المطابقة بين المستهلك والمنتج . وهذا الامر الجديد يرفع الى حد كبير من دور المستهلك في الانتاج وسوف يساعد بلا شك على رفع نوعية المنتجات . فالمنتوج ،

الذى يقبل عليه المستهلك ويدفع ثمنه وفقا للالتزامات المتبادلة بين المنتج والمستهلك ، هو بالذات ذلك المنتوج الذى يدرج فى لائحة تنفيذ الخطة . وبمحض تصريف هذا المنتوج بالذات يحدد قبل كل شئ صندوق الاجور والمكافآت ورفاه اسرة العمل بصورة عامة . وليس من الصعب على المرء ان يرى ان لاسرة العمل فى هذه الظروف مصلحة ليس فقط فى كمية المنتجات بل وفي رفع نوعيتها ، وفي تسليمها في المهلة المحددة ، وفي اتساع وتنوع تشكيلتها . ومن الضروري من اجل ذلك دراسة الطلب على المنتجات ، وتحطيط رغبات المستهلكين للمستقبل واخذها بعين الاعتبار ، الامر الذى يساعد على نشر المبادرة الخلاقة لاسر عمل المؤسسات الانتاجية باتجاه البحث عن طرق لرفع نوعية المنتجات .

والاصلاح يعزز الميزان الاقتصادي - المبدأ الاساسي لتدبير الشؤون الاقتصادية الاشتراكية ، ويرفع دور الربح في النشاط الاقتصادي . ويقوم الميزان الاقتصادي على المقارنة بالشكل النقدي بين نتائج النشاط الاقتصادي والنفقات . وعند ذلك يجري التعويض عن النفقات من المداخيل الخاصة للمؤسسات الانتاجية . ولدى وجود تنظيم جيد يؤمن الميزان الاقتصادي ريعية (ربع ، مدخل) المؤسسة الانتاجية ، اى تفوق المداخيل على النفقات . ويقر الاصلاح مصلحة العاملين المادية ومسؤوليتهم الصارمة في توفير الموارد المادية والبشرية والمالية .

ويشكل الربح او الريعية احد اهم مؤشرات عمل المؤسسة الانتاجية . ففى قيمة الربح ينعكس مباشرة

نجاح او اخفاق اسرة العمل ، والانتاج والتصریف ، وكمية ونوعية المنتجات ، الخ . ولا يقتصر الاصلاح على طرح مهمة جعل المؤسسات الانتاجية الاشتراكية مربعة بل ويعدد طريقة استخدام الربع . فعلى حساب الربع يجري انشاء : صندوق تطوير الانتاج ، وبنتيجة ذلك تحصل المؤسسة الانتاجية على امكانية اتقان التکنیک والتکنولوجیا بنفسها ؛ وصندوق التشجیع المادی للعاملین بشكل جوائز وعلاوات على الاجور ، الخ تضعها اسرة العمل بنفسها ؛ وصندوق التطور الاجتماعي الثقافي والبناء السکنى (علاوة على المبالغ التي تخصصها الدولة لهذا الغرض بطريقه مركزه) .

يتضح مما سبق ان الاصلاح الاقتصادي يوسع الى حد كبير الاستقلال الاقتصادي للمؤسسات الانتاجية . بيد ان ذلك لا يعني ابدا ان هذه المؤسسات تصبح خارج ادارة الدولة . بل على العكس ، فعن طريق ممارسة التأثير على المصالح الاقتصادية للمؤسسات بواسطة الميزان الاقتصادي والربح وقيمة الاجور والقروض وغيرها من المقولات المرتبطة بعلاقات القيمة ، تحصل الدولة على امكانية ادارة المؤسسات بصورة اکثر فعالية مما لو كان ذلك بالاسلوب الاداری البحث . والى جانب الاساليب الادارية في توجییه الاقتصاد الوطني تكتسب اهمیة متزايدة باطراد الاساليب الاقتصادية القائمة على الحساب الدقيق ، على اخذ الامکانیات الواقعیة والاحتیاطیات والمصالح المادية للشغیلة بعین الاعتبار .

وبما ان مسائل استخدام قانون القيمة وما يرتبط به من علاقات بضاعیة نقدیة ، اى استخدام مقولات

كالبضاعة والسعر والربح والقرض وغيرها ، تتحل مكانا هاما في الاصلاحات الاقتصادية الجارية في البلدان الاشتراكية ، فان خصوم الاشتراكية يحذرون البرهنة على ان الاقتصاد الاشتراكي آخذ في الانحطاط ، كما يزعمون ، وانه يتدرج شيئا فشيئا باتجاه المواقع الرأسمالية .

ونقول بالمناسبة ان الاصلاح انما هو اصلاح اشتراكي متعاقب لانه يتحقق على اساس الملكية الاجتماعية الاشتراكية ، التي هي اس اسس الاشتراكية ، وفي ظل الدور الضابط ، الرئيسي الذي يضطلع به قانون التطوير المخطط والمتناسب للاقتصاد وانعدام وجود الاستثمار .

اما في ما يتعلق بقانون القيمة والعلاقات البضاعية النقدية وما يرتبط به من مقولات (الميزان الاقتصادي ، الربح ، الخ) ، وعلى الرغم من انها تشبه من حيث الشكل المقولات المماثلة في الرأسمالية ، فهي تكتسب في المجتمع الاشتراكي مضمونا جديدا نوعيا . ففى حين انها تشكل في ظل الرأسمالية اداة للاستثمار ووسيلة للحصول على الربح الرأسمالي ، فغايتها في ظروف الاشتراكية تكمن في مساعدة تطوير الانتاج ورفع الرفاه الشعبي على هذا الاساس .

لنأخذ الربح على سبيل المثال ..

الربح في ظروف الاشتراكية ، شأنه في ظل الرأسمالية ، هو عبارة عن الفرق بين النفقات على هذه البضاعة او تلك وبين الدخل الحاصل من بيعها .

والركض وراء الربح هو القوة المحركة للانتاج وغايته في ظل الرأسمالية ، والشكل الشامل للاستغلال ،

والاستثمار بالنتائج الفائض . اما في ظل الاشتراكية فالربح ، على الرغم من انه يعتبر احد اشكال النتاج الفائض ، فهو ملك للشغيلة فقط وليس لاي احد آخر غيرهم . ويؤتى قسم من الربح الى تلبية حاجات المجتمع بأسره ، والقسم الآخر الى تلبية حاجات المؤسسات الانتاجية واسرة العمل وعاملين منفردين . ومن هنا ينبع الدور الهام للربح باعتباره ليس فقط مؤشرا للفعالية بل وحافزا في تطوير المؤسسة الانتاجية وفي رفع فعالية عملها .

ويرتدى الاصلاح ليس فقط طابعا اقتصاديا بل واجتماعيا وسياسيا ايضا . وهو موجه نحو رفع فعالية الانتاج الصناعي . وبما ان الصناعة هي اس اسس الاقتصاد الوطنى والمجتمع عامه فسوف تكون للإصلاح نتائج اجتماعية سياسية هائلة .

وسوف يتتيح تطور الصناعة تأمين النهوض اللاحق للزراعة بدرجة اكبر مما هي عليه الان ، وتزويدها بالمعدات الحديثة وبالمواد الكيميائية وغيرها من وسائل زيادة مردود الانتاج الزراعي . ويساعد التقدم التكنىكى في الصناعة ، وفي الزراعة على هذا الاساس ، في رفع المستوى الثقافى التكنىكى للطبقة العاملة والفلاحين . وزيادة انتاجية العمل في الصناعة ستتيح رفع مستوى الرفاه الشعبي وتحقيق نجاحات جديدة في تطوير العلم والثقافة ، الخ .

ويتسنم نمو الصناعة الاشتراكية باهمية عالمية ضخمة ، لأن ذلك يتتيح بلوغ نتائج اعلى في المنافسة الاقتصادية بين الاشتراكية والرأسمالية ، الامر الذى سيمارس تأثيرا كبيرا على تقوية العملية الثورية

العالمية . ويتوطد دفاع البلاد وترتفع مكانة الاتحاد السوفيفي والاشتراكية في الحلبة الدولية وتأثيرها على سير التطور العالمي ..

وتعمل حاليا وفق نظام الاصلاح الاقتصادي الصناعية باكملها وعدد كبير من مؤسسات البناء والخدمات المعيشية . ويشرف على الانتهاء انتقال كل الاقتصاد السوفيفي الى النظام الجديد لتدبير الشؤون الاقتصادية . ويجرى اتقان الاصلاح نفسه .

## ٢ - من العلاقات الاجتماعية الاشتراكية الى العلاقات الاجتماعية الشيوعية

### نحو المساواة الاقتصادية

ان اكبر مهمة اجتماعية من مهامات البناء الشيوعى هي بلوغ **المساواة الاجتماعية الكاملة** التي تفترض حتما المساواة الاقتصادية ، اي خلق فرص متكافئة لجميع اعضاء المجتمع في تلبية متطلباتهم المادية والثقافية . وهذه المساواة سيتم تحقيقها فقط لدى بلوغ الوفرة وتحويل العمل الى حاجة حياتية اولى وبالانتقال الى المبدأ الشيوعى للتوزيع : «من كل حسب قدراته ولكل حسب حاجته» .

اما في ظروف بناء الشيوعية فيعمل المبدأ الاشتراكي للتوزيع : «من كل حسب قدراته ولكل حسب عمله» . وهذا يعني ان مقياس تلبية حاجات كل فرد من افراد المجتمع يتوقف هنا على مساهمته العملية ، على كمية ونوعية العمل الذى يبذله .

والمساواة الاقتصادية يتم بلوغها لا عن طريق

تساوى مستويات التوزيع بل بواسطة استكمال المبدأ الاشتراكي للتوزيع حسب العمل ورفع المصلحة المادية الخاصة للشغل في نتائج عمله . وعلى اساس التقدم التكنيكي وتطور العلم والثقافة يرتفع الاعداد التعليمى العام والمهنى لدى العاملين وتزداد نسبة العمل الكفوء ، وبالتالي العمل ذى الاجر الاعلى ، عن طريق انخفاض نسبة العمل غير الكفوء ، وبالتالي الاقل اجرا . وبهذا بالذات يتحقق تساوى المداخيل الفعلية للشغيلة والبلوغ التدريجى للمساواة الاقتصادية .

ويتم بلوغ رفع المداخيل الفعلية للسكان في الاتحاد السوفيتى عن طريق زيادة اجر العمال والمستخدمين ، وزيادة المداخيل النقدية والمادية للكولخوزيين ، او تخفيض الاسعار في التجارة الحكومية والتعاونية ، وتوسيع الاستهلاك من الصناديق الاجتماعية .

وقد تم عمل الكثير بوجه خاص من اجل زيادة اجر الشغيلة خلال الاعوام الاخيرة . ففى غضون الاعوام الاربعة الاولى من الخطة الخمسية التاسعة (١٩٧١ - ١٩٧٤) انفقت الدولة على دفع الاجور مبالغ تزيد بمرة ونصف المرة عما انفقته خلال الخطة الخمسية السابقة . وقد ازدادت الاجور في غضون هذه الفترة لدى ٤٧ مليون شخص .

وعلى اساس نمو الانتاج المادى ارتفعت المداخيل الفعلية في الاتحاد السوفيتى بالنسبة للفرد من السكان ٥٪٢٠ واتعب عمل الكولخوزيين ٢٥٪ خلال اعوام ١٩٧١ - ١٩٧٤ .

وتجرى تلبية حاجات الناس ، في ارتباط لا ينفصل  
بمبدأ التوزيع حسب العمل وبمقدار متزايد باطراد ،  
على حساب الصناديق الاجتماعية . وهذه الصناديق  
تعين من اجل تلبية حاجات الشغيلة بدون مقابل .  
وعلى حساب الصناديق الاجتماعية ، التي تعتبر شكلاً  
جديداً لتلبية متطلبات الشغيلة خلقته الاشتراكية ،  
تنفق الاموال على دور الحضانة ورياض الاطفال ،  
والمدارس الداخلية ، والمصحات ، ودور الراحلة  
والاستجمام ، وعلى التعليم ، والخدمة الطبية والثقافية ،  
وعلى دفع معاشات التقاعد ، ومنح الطلاب ، وعلى دفع  
رسوم السكن والخدمات العامة ، الخ . ومما له دلالته  
ان حجم الصناديق الاجتماعية ينمو باستمرار الى  
جانب نمو الاجرة الفردية . ففى حين دفع من الصناديق  
الاجتماعية للسكان ٦٣,٩ مليار روبل عام ١٩٧٠ ،  
فقد وصل هذا المبلغ عام ١٩٧٥ الى ٩٠ ملياراً .  
وتوجه الزيادة في مبالغ الصناديق الاجتماعية بالدرجة  
الاولى نحو تحسين الضمان التقاعدي ، والتربيبة  
الاجتماعية للأطفال ، وتحسين الرعاية الصحية والخدمة  
الثقافية المعيشية للسكان .

ويتجابب سد الحاجات من خلال الصناديق  
الاجتماعية مع الطبيعة الجماعية للاشتراكية ، ويتيح  
التنظيم الرشيد للتعليم والخدمة الطبية والضمان  
الاجتماعي وغيرها ، ويساعد على تحرير المرأة من  
الهموم البيتية المرهقة ، ويربى في نفوس الناس  
ميزات اخلاقية رفيعة .

ويزداد انتاج واستهلاك السلع الصناعية ، وتنسج  
تشكيلتها وترتفع نوعيتها . ونما الى حد كبير انتاج

واستهلاك المواد الغذائية ، وخاصة منتجات اللحم ، والبيض والجبنـة وغيرها .

ويجرى بنجاح ايضا تحقيق البرنامج العظيم للبناء السكنى . فخلال اعوام ١٩٧١ - ١٩٧٤ تم بناء ٨٩٩٦ الف شقة بمساحة اجمالية تبلغ حوالي ٤٣٤,٩ مليون متر مربع ، وانتقل ملايين من الناس السوفيت الى شقق جديدة .

وعليه ، فان استكمال المبدأ الاشتراكي للتوزيع حسب العمل بالاقتران مع النمو الصاعد للصناديق الاجتماعية والتقرير التدريجي بين مستوى مداخيل مختلف اصناف الشغيلة - ذلك هو الطريق الملحوظ لتحويل مبدأ التوزيع الاشتراكي الى مبدأ التوزيع الشيوعى وبلوغ المساواة الاقتصادية ، وبهذا بالذات خلق ظروف اقتصادية مماثلة من اجل تطور جميع اعضاء المجتمع . وتتوقف سرعة حلول هذه المساواة على سرعة تطور القوى المنتجة وازدياد انتاجية العمل وعلى مدى اتساع نشر النشاط العملى للشعب السوفييتي .

قد يبدو للوهلة الاولى ان ارتفاع الرفاه الشعبي هو مهمة اقتصادية محضة . بيد ان الامر ليس كذلك بالمرة ، اذ ان حل هذه المهمة يتمحض عن اعظم النتائج الاجتماعية .

ان بلوغ مستوى عال من الرفاه لكل عضو من اعضاء المجتمع والمساواة الاقتصادية يعني خلق فرص وشروط متكافئة من اجل تطوير المؤهلات من شتى النواحي وتطبيقاتها على افضل وجه لما فيه خير المجتمع والفرد ذاته . فالشخص الحسن الحال من الناحية

المادية يملك من الامكانيات الاكثر تعدادا لتطوره ، وخاصة تطوره الثقافي ، مما يملك الشخص الاقل يسرا . ولديه مزيد من اوقات الفراغ من اجل الاشتراك بصورة نشيطة في ادارة شؤون المجتمع والقيام بنشاط ابداعي في ميدان العلم والتكنيك والادب والفن ، والتكامل جسديا واخلاقيا .

وقد كتب انجلس يقول ان التوزيع حسب الحاجة والمستوى العالى للرفاهية «يمكنا ان **كاففة اعضاء المجتمع من التطور الشامل ما امكن** » ، ومن المحافظة على مؤهلاتهم واظهارها» \* . وسوف يتحرر الانسان تدريجيا من الورطات المالية اليومية ، التي غالبا ما تكون حتى وقتنا الحاضر مرهقة وتتطلب كثيرا من الوقت والجهود ، ومن اعتبارات الاجرة وفكرة الفائدة المادية الشخصية ، الامر الذى يتبع له تكريس نفسه كليا لخدمة مصالح المجتمع والبشرية الكادحة بأسرها . ويرفع نمو الرفاه الشعبي ، بالإضافة الى ذلك ، من المكانة الدولية للاشتراكية ، ويساعد على اجتذاب جماهير كادحة جديدة وجديدة في العالم غير الاشتراكى الى جانبها .

### تلashi الفروقات الجوهرية القائمة بين المدينة والقرية

تقضى الاشتراكية ، كما سبق القول ، على التضاد بين المدينة والقرية . الا انه تبقى فيما بينهما

---

\* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٠ ، ص ٢٠٦ .

فروقات ملموسة تجرى تصفيتها ابان البناء الشيوعى .  
ففى مَ تتجلى الفروقات بين المدينة والقرية ؟  
تتميز المدينة عن القرية فى انها ، شأن الصناعة  
عامة ، مرتبطة بملكية الدولة ، في حين انه توجد  
في القرية ، الى جانب ملكية الدولة (السوفخوزات  
وبعض المؤسسات الاخرى) ، الملكية التعاونية  
الكولخوزية ايضا . و تتميز المدينة عن القرية كذلك  
من نواح عديدة اخرى ، منها مثلا ان المدينة تتجاوز  
القرية من حيث مستوى تطور القوى المنتجة ، ونسبة  
التجهيز التكنيكى ، وخاصية العمل وتقسيمه ، ومن حيث  
مستوى الرفاه المادى والثقافة ، وتنظيم المعيشة ،  
ونسبة توفر وسائل النقل والاتصالات ، الخ .

وتبعا لذلك فان تدليل الفروقات الجوهرية القائمة  
بين المدينة والقرية يفترض التقريب بين الملكية  
التعاونية الكولخوزية او ملكية الدولة ودمجها تدريجيا  
في ملكية واحدة لعموم الشعب ، وتغيير طابع العمل  
الزراعى وتحويله الى نوع من العمل الصناعى ، واعادة  
تنظيم الثقافة والمعيشة في الريف .

للننظر الآن في مسألة الملكية . ان ما يزيد في اهمية  
النظر في هذه المسألة هو ان تقريب ، ومن ثم دمج ،  
شكل الملكية يعتبران اساسا اقتصاديا لتصفيية  
الفروقات الجوهرية القائمة بين العمال وال فلاحين ، اي  
تصفيية الفروقات الطبقية ، الامر الذى يشكل مهمة  
اجتماعية ذات شأن للبناء الشيوعى .

ان امكانية تقريب ومن ثم دمج ملكية الدولة  
والملكية التعاونية الكولخوزية في ملكية واحدة لعموم  
الشعب تكمن فيها بالذات ، في طبيعتهما الاجتماعية

الاشتراكية . وبما ان ملكية الدولة اعلى من الملكية التعاونية الكولخوزية من حيث درجة التعميم ، وبما انها تخلق امكانيات اكثراً مواتاة من اجل التخطيط على نطاق الدولة ، فان المهمة تنحصر في ايصال مستوى تعميم الملكية التعاونية الكولخوزية بصورة تدريجية الى مستوى تعميم ملكية الدولة . وبهذه الطريقة فقط يمكن تقريب شكل الملكية ، وتحويلها الى ملكية واحدة لعموم الشعب .

وتجرى في الاتحاد السوفيفيتي عملية تقريب شكل الملكية الاشتراكية ، وهذا ينعكس بالدرجة الاولى في النمو المستمر **لصناديق الكولخوزات غير القابلة للتجزئة** . فبالمقارنة مع عام ١٩٤٠ ازدادت صناديق الكولخوزات غير القابلة للتجزئة في عام ١٩٧٤ مقدار ١٥٢٪ . وتشكل الصناديق غير القابلة للتجزئة اساس موارد الانتاج الكولخوزى : الآلات والمعدات ، المبانى الإنتاجية ، ماشية الجر وماشية اللحوم والحليب ، الخ . وهذه الصناديق اقرب الى ملكية الدولة من حيث جوهرها ، وخاصة ان قسمها الاساسى - الجرارات والآلات الزراعية - يخلقها عمل العمال وليس الكولخوزيين . وبمقدار نمو الصناديق غير القابلة للتجزئة تشغل الجرارات والآلات الزراعية فيها مكاناً متعاظماً على الدوام .

ويعتبر نمو الصناديق غير القابلة للتجزئة نتيجة لنمو مداخل الكولخوزات النقدية التي تقطع منها هذه الصناديق ، وكذلك لتشديد تقديم المساعدة الى الكولخوزات من جانب الدولة الاشتراكية .

وتزايد الروابط بين الكولخوزات ، وتطور اشكال

التعاون فيما بينها . ويتمثل بعض اشكال هذا التعاون في العمل المشترك على بناء واستثمار المحطات الكهربائية ، وقنوات الري ، والطرق ، ومؤسسات معالجة وتخزين ونقل المنتجات الزراعية ، وانتاج مواد البناء . ويشهد نمو الروابط بين الكولخوزات كذلك على تطور الملكية التعاونية الكولخوزية وارتفاع درجة تعليمها واقترابها بذلك من ملكية الشعب بأسره .

كما تدل على تقارب شكل الملكية ايضا روابط **الكولخوزات والدولة** التي تتطور على الدوام . واشكال هذه الروابط غاية في التنوع : البناء التعاوني المشترك للمؤسسات الانتاجية ، والطرق ، ومنشآت الري ، وانشاء احزمة من الغابات ، الخ . ان توسيع الروابط بين الكولخوزات نفسها وكذلك الروابط بين الكولخوزات والدولة هو عملية موضوعية تملئها متطلبات تطور الانتاج الزراعي ومواجهتها مهمات معقدة وكبيرة يستحيل حلها بجهود كولخوزات منفردة . كما يطبق ايضا شكل مستقبلي لتطوير الانتاج الزراعي **كالاتحادات الزراعية الصناعية** التي يتمركز فيها ليس فقط انتاج المنتجات الزراعية بل ومعالجتها ايضا .

ويحدث ابان بناء الشيوعية كذلك التطوير المتواصل لملكية الدولة ، الامر الذي يتجل في نمو الصناديق الانتاجية الاساسية للاقتصاد الوطنى ، وفي التمركز اللاحق للانتاج ، وفي تخصصه ، وفي تطوير تقسيم العمل ، الخ .

ولا يجوز الاعتقاد بان دمج شكل الملكية هو عملية بسيطة ، سريعة ، تتطلب تدخلا اداريا ليس

الا : اصدار قرار بتحويل الكولخوزات الى سوفخوزات فيتحول الكولخوزى ، بضربة ساحر ، الى عامل . اما في الواقع ، فمن اجل تحويل الملكية الكولخوزية الى ملكية لعموم الشعب لا بد من استكمال وتطوير القاعدة المادية التكنيكية للكولخوزات ورفع انتاجية العمل وتحسين تنظيمه واستخدام العلم بصورة واسعة في الزراعة ، الخ . ومن اجل ذلك يلزم الوقت ومبالغ كبيرة وعمل جهيد من جانب الناس .

اضف الى ذلك ان كولخوزى الامس ، وقد تحول الى عامل سوفخوز ، لا يغدو عاملاً حقيقياً رأساً ودفعه واحدة . ويبقى كولخوزياً مدة طويلة من حيث طبيعته النفسية ، وروحه التنظيمية ، وتقافته ، ومعيشته ، الخ ، التي تكونت لديه ابان عمله المديد وحياته في ظروف الكولخوز والملكية الجماعية والاستثمارية الشخصية الملحوقة بمنزله . ومن اجل تغيير نفسية الفلاح ونمط حياته ومعيشته يلزم ، ايضاً وايضاً ، الوقت والجهود الجدية وال التربية .

وتنعكس تصفية الفروقات الجوهرية القائمة بين المدينة والقرية ، بين الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين ، في تغيير طابع العمل الزراعي ايضاً ، اي في تغيير دور الفلاحين في التنظيم الاجتماعي للعمل . ويعتبر اساساً لهذه العملية تطوير القوى المنتجة بناء على منجزات العلم والتكنيك ورفع انتاجية العمل .

ان التحقيق التدريجي للكهرباء الكاملة ولاشاعة الكيمياء على اتم وجه ، والتطبيق الواسع لمكennنة الانتاج الشاملة واتمتنته ، وغرس احدث منجزات العلم

والتقنيك تؤدى الى تحويل العمل الزراعى الى نوع من العمل الصناعى . زد على ذلك ان نمو التجهيز التقنيكى يستثير بالضرورة رفع المستوى الثقافى التقنيكى والاعداد الاختصاصى للفلاح ، الامر الذى يمكنه فى آخر المطاف من ان يقف جنبا الى جنب مع عامل المدينة فى صف واحد لشغيلة الانتاج الشيوخى .

ويأخذ الاختصاصيون الرفيعو الكفاءة يلعبون دورا متزايد الاهمية في تنظيم تطوير الانتاج الزراعى . ففى اواخر عام ١٩٧٢ بلغ تعداد الاختصاصيين العاملين على تعليم عال وثانوى تخصصى الذين يعملون في الزراعة ١١٠٢ الف شخص .

وتتصفي الفروقات الجوهرية القائمة بين الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين تجرى ايضا وفق علائم اخرى كاساليب الحصول على تلك الحصة من الثروة الاجتماعية التي يستحقانها ومقادير هذه الحصة .

ويجري في الكولخوزات استكمال اشكال التوزيع ، وتم اقرار الاجرة النقدية المضمونة للكولخوزيين المماثلة للاجرة المتبعة في مؤسسات الدولة الانتاجية . والى جانب دفع اجرة يوم العمل والمدفووعات النقدية تحظى بالانتشار المتزايد في الكولخوزات الاشكال الاجتماعية لتلبية الحاجات : تربية الاطفال في دور الحضانة ورياض الاطفال ، تعلم الاطفال في المدارس ، الخدمة الطبية والثقافية ، علما بان قسما هاما من هذه النفقات تأخذه الدولة على عاتقها . وتم في الكولخوزات تطبيق المعاش التقاعدى .

واخيرا ، لنتحدث عن تصفيه الفروقات الثقافية المعيشية بين المدينة والقرية .

لقد غيرت الاشتراكية ثقافة الريف ونمط حياته ، وفتحت امام الفلاح الطريق نحو التعليم ونحو منجزات الثقافة الروحية . ونما بصورة ملحوظة المستوى التعليمي العام والتكنيكى لدى السكان الزراعيين . وازداد بشكل ملحوظ انفاق اموال الكولخوزيين على شراء الكتب والمجلات والصحف ومختلف انواع اللوازم الثقافية .

ومن عام ١٩٣٥ لغاية عام ١٩٧٩ تضاعف عدد الاشخاص العاصلين على تعليم عال وثانوى في اوساط الكولخوزيين لكل الف شخص من سكان الريف اكثر من عشرين مرة . ويوجد في الريف حوالى ٩٣ الف مكتبة عامة تحتوى من الكتب والمجلات على ٦٣١,٨ مليون نسخة ، اي مما يزيد ١٠٠ مرة على عددها في روسيا القصصية . وينبغى ان نضيف الى ذلك العدد ايضا ١١٤ الف ناد ودار ثقافة تملك ١٣٢ الف وحدة عرض سينمائى ثابتة ومتقللة . ويشترك في فن الهواة بالريف ٤,٥ ملايين شخص ، وفي الجمعيات الرياضية الريفية ١٢ مليون رياضي .

واخذت الكهرباء والراديو والتلفزيون تدخل حياة السكان الزراعيين بصورة ثابتة فتساعدهم على امتلاك منجزات ثقافة المدينة . وغدا الاختلاط بين سكان المدينة والقرية امرا ميسورا بسبب تطور وسائل النقل والاتصالات الحديثة . واخذت تتطور الرعائية الثقافية للقرية من جانب المدينة ، وتنسع باطراد دائرة رجال العلم والادب والرياضة الذين يقدمون المساعدة لزملائهم في الريف في امتلاك المنجزات العلمية التكنيكية العصرية والتقدم الثقافي .

وعليه ، فبمقدار ازدياد النجاحات في البناء الشيوعي تأخذ الفروقات الثقافية المعيشية بين المدينة والقرية بالتللاشى .

## تصفيية الفروقات الجوهرية القائمة بين كادحى العمل الفكري والعمل الجسدى

تقضى الاشتراكية على التضاد بين كادحى العمل الفكرى والعمل الجسدى . بيد انه تبقى بينهم فروقات ملموسة من حيث درجة الاعداد الثقافي التكنىكى . وهذه الفروقات ليست وليدة الصدفة ، بل يشترطها مستوى تطور القوى المنتجة والتجهيز التكنىكى للاقتصاد الوطنى الذى هو حاليا فى وضع يحتاج سواء الى العمل الجسدى ، الذى يقوم به الجمهور الاساسى من العمال وال فلاحين ، او الى العمل الفكرى الذى يضطلع به المثقفون . ويرتبط ذلك بالمستوى غير المتشابه لم肯نة مختلف انواع الاعمال ، ناهيك عن اتمتها التي توجد حاليا في المرحلة الاولية لتطورها . وطبعا ان لا يتطلب العمل الجسدى في الغالب مستوى عاليا من التعليم كالذى يتطلبه العمل الفكرى .

ومن المفهوم ان نفس طابع العمل الفكرى يخلق للمثقف ظروفا اكثرا مؤاتاة من اجل التطور والتكون وابراز مؤهلاته بصورة اتم مما هو الامر بالنسبة لطابع العمل الجسدى الذى يقوم به العمال وال فلاحون . ولهذا السبب تبرز تصفيية الفروقات الجوهرية القائمة بين كادحى العمل الفكرى والعمل الجسدى كشرط الزامى لبلوغ المساواة الاجتماعية ، وبهذا بالذات خلق

الظروف المماثلة من أجل تطور كل عضو من أعضاء المجتمع من جميع النواحي .

ومن الطرق الأساسية في حل هذه المهمة النمو المستمر لصفوف فئة المثقفين، القائمين بالعمل الفكري، عن طريق انتساب ابناء العمال وال فلاحين اليها .

والى جانب القضاء على الطبقات المستثمرة والرأسماليين والملاكين العقاريين ، تصنف الاشتراكية ايضا احتكارهم لممارسة العمل العقلاني فتزيل بذلك التضاد بين العمل الفكري والعمل الجسدي : لقد فتحت امام الجماهير الشعبية الواسعة الابواب نحو التعليم والعلم والثقافة ، ونما الجيش العرم لمثقفين الذين تحدروا من الشعب ويخدمون الشعب في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية . ففى نهاية عام ١٩٧٤ كان يعمل في الاقتصاد الوطنى للاتحاد السوفيتى ٨ ملايين ٨٠٠ الف شخص حاصل على تعليم عال و ١٢ مليونا و ٦٠٠ الف شخص حاصل على تعليم ثانوى تخصصى مقابل ١٣٦ الف شخص و ٥٤ الف شخص (على التوالى) عام ١٩١٣ .

وفي ظروف الثورة العلمية التكنيكية والنهوض العارم بمستوى تعليم وثقافة الشغيلة يزداد دور فئة المثقفين في المجتمع الاشتراكي . ويحاول خصوم الشيوعية العلمية برهنة «استثنائية» فئة المثقفين وضرورة اعلانها على العمال وال فلاحين . فلفئة المثقفين ، في رأيهما ، يعود الدور الاولى في حل اهم المسائل الاجتماعية . وهم يحاولون مواجهة المثقفين والطبقة العاملة والتشكيك في الدور القيادى للطبقة العاملة في المجتمع الاشتراكي .

اما في الواقع ففي الدولة الاشتراكية وحدها ، حيث تشكل الطبقة العاملة القوة القائدة لها ، تخلق اكثراً الظروف مؤاتاة من اجل تكوين فصيل كبير لفئة المثقفين ، ومن اجل اظهار مؤهلاتهم وقواهم على اتم وجه . ويخلق البناء الشيوعى ظروفاً مؤاتية جديدة من اجل تطبيق معارفهم ومؤهلاتهم في انشاء تكنيك جديد ، وفي ادارة الانتاج و التعليم و التربية الاجيال الفتية لبناء الشيوعية ، وفي تطوير الثقافة والعلم والادب والفن .  
والطريق الرئيسي الآخر لتلاشى الفروقات الجوهرية القائمة بين كادحي العمل الفكرى والعمل الجسدى هو رفع المستوى الثقافى التكنيكى للعمال وال فلاحين .

وهذا يعني في المقام الاول النهوض العارم بمستوى التعليم العام للكادحين بسواعدهم ، اذ انه على هذا الاساس وحده يمكن رفع اعدادهم المهني وجعله متباوباً مع متطلبات الانتاج العصرى والتقدم العلمى التكنيكى الذى يزيد ، بصورة لا سابق لها ، من اهمية الناحية العقلية الابداعية للعمل . والمتطلبات الملحة للتكنيك المعاصر هي : معرفة اصول الانتاج ، وكذلك مجموع العلوم التطبيقية والنظرية ، والتحلى بحدة الذهن ، وسرعة الخاطر ، ورد الفعل السريع ، وامتلاك ناصية عدد كبير من الاساليب والخبرات الانتاجية . ان رفع المستوى الثقافى التكنيكى للعمال والمستخدمين انما يعني كذلك غرس الاهتمام بالقيم الجمالية في نفوسهم ، وتعليمهم كيفية الاستفادة الرشيدة من اوقات الفراغ والترفيه عن النفس والاستراحة بصورة ممتعة .  
ان اساس تلاشى الفروقات الجوهرية القائمة بين اناس العمل الفكرى والعمل الجسدى هو التقدم العلمي

التكنىكى المتواصل الذى يغير طابع العمل ويجعله عملا عقليا ، خلاقا . علما بان الذى يتغير ليس العمل الجسى فقط بل والعمل الفكرى ايضا ، اذ ان الآلات «المفكرة» تأخذ على عاتقها شيئا فشيئا العمليات الرتيبة المرهقة (عمليات الحساب ، وجمع المعلومات ، الخ) .

بيد ان ذلك لا يعني اطلاقا ان التقدم العلمي التكنىكى يؤدى بصورة تلقائية الى رفع المستوى الثقافى التكنىكى لدى العمال وال فلاحين . فمن الضرورى من اجل ذلك توسيع شبكة مدارس التعليم العام والمدارس الثانوية التخصصية ودور التعليم العالى بصورة مستمرة ، واستكمال نظام التعليم المهنى التكنىكى والتحصيل الانتاجى ، ورفع مستوى الاعداد اليدويولوجى والعقائدى للشغيلة بحيث تتناسب مهاراتهم في النشاط الانتاجى مع نمو مستوى التعليم العام والاعداد في ميدان العلوم الاجتماعية والطبيعية والحصول على المعارف الهندسية التكنىكية والهندسية الزراعية والطبية وغيرها من معارف مجالات الاختصاص . ويعود دور ضخم في رفع المستوى الثقافى التكنىكى لدى العمال وال فلاحين الى المثقفين المدعوين لنقل معارفهم وخبرتهم الى العمال وال فلاحين و تحضيرهم للعمل الصعب والمعقد في انتاج المستقبل الممكن والمؤتمن .

ان المستوى الثقافى التكنىكى للعمال وال فلاحين ينمو باستمرار . ففى الفترة الممتدة من عام ١٩٥٩ لغاية عام ١٩٧٥ ازداد فى الاتحاد السوفيتى عدد الاشخاص الحاصلين على تعليم عال وثانوى (كامل وغير كامل) من ٣٩٦ الى ٦٩٧ شخصا لدى العمال ومن ٢٢٦ الى ٤٦٦

شخصا لدى الفلاحين من اصل كل ١٠٠٠ شخص بين افراد السكان العاملين في الاقتصاد الوطنى . ان كل ذلك يدل على ان العمل الجسدى قد اخذ يتسبّع ، على اساس التقدم التكنيكى في الصناعة والزراعة ، وبصورة متزايدة ابدا ، بعناصر العمل الفكرى والابداع .

ان وجه الطبقة العاملة السوفيتية قد اخذ يحدد اكثراً فاكثراً اولئك العمال الذين يديرون اعقد التكنيك والتكنولوجيا ، ويدرسون في المدارس التكنيكية المتوسطة ودور التعليم العالى ، ويفقهون اسرار الابداع العلمي التكنيكى ، ويشاركون بنشاط في حياة اسرة العمل والمجتمع . والعديد من العمال يقومون في الحقيقة بعمل هندسى . هؤلاء هم العمال-المثقفون ، وقد اخذ عددهم يتزايد باستمرار . ويوجد مثل هذا النوع من العاملين في اوساط الفلاحين ايضا .

لقد حرص الحزب الشيوعى والحكومة السوفيتية على توفير وقت الفراغ الضرورى للناس السوفيتين من اجل زيادة معارفهم وثقافتهم . وتتّخذ في البلاد اجراءات من اجل تقليل يوم العمل .

## تطویر الامم والتقریب فيما بينها

ان بناء المجتمع الشيوعى يعني مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات القومية في الاتحاد السوفيتى تتسم بتطویر الامم والتقریب المتواصل فيما بينها ، وبلغت حدتها المتناسقة .

ويساعد انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية على التطوير المتواصل الشامل لاقتصاديات الجمهوريات

المتحدة ، والاستكمال الدائم لتقسيم العمل بينها ، وتطوير الروابط الاقتصادية القائمة واقامة روابط جديدة . والاقتصاد الشيوعى الذى يجرى تكوينه حاليا يتطلب اوثق الترابط بين الجمهوريات السوفيتية . وبمقدار التقدم نحو الشيوعية تزداد مساهمة كل واحدة منها في القضية العامة لتطورقوى المنتجة في البلاد ، وفي تحقيق التقدم العلمى التكنيكى ، وفي زيادة الرفاهية الشعبية ، ويجرى التقرير الاقتصادي المستمر بين الامم الاشتراكية . ويساعد على التقرير بين الشعوب السوفيتية بناء المزيد من المراكز الصناعية الجديدة ، واكتشاف ثروات طبيعية واستثمارها ، واستصلاح الاراضى البكر والمناطق النائية ، وتطوير كافة انواع النقل والاتصال . وكل ذلك يؤدى الى توسيع اختلاط الامم في جميع مجالات الحياة الاجتماعية وتبادل التجربة الانتاجية ومنجزات الثقافة المادية والروحية .

وتعدو كل جمهورية سوفيتية اكتر فاكثر متعددة القوميات من حيث قوام سكانها ، الامر الذى يدل كذلك بصورة مقنعة على التقارب المستمر بين شعوب الاتحاد السوفيتى . وفي كل جمهورية يعيش ويعمل جنبا الى جنب كائسقاء حميمين ابناء قوميات مختلفة .

تتطور السمات العامة لثقافة واخلاق ومعيشة الامم الاشتراكية مما يؤمن التعزيز اللاحق للثقة المتبادلة والصداقة فيما بينها . وتزداد وحدتها الروحية متانة . وترزدھر الثقافة الاشتراكية لشعوب الاتحاد السوفيتى ، وتغنى الثقافات القومية بعضها البعض وتنتقارب . وتتطور الثقافة الاممية المشتركة بالنسبة لجميع

الامم والى تستوعب افضل واروع منجزات ثقافة البشرية . وتعتني الخزانة الثقافية لكل امة بابداعات تكتسب طابعا امميا عاما ، وهذا يعني بداية تكوين الثقافة الواحدة المقبلة للمجتمع الشيوعى .

وفي مجرى التقرير بين الامم يتم القضاء على بقايا نزعى التعصب القومى والاستثناء والعادات والأخلاق التى ولى زمانها ، والتى تعرقل بصورة جدية تكوين الانسان الجديد . ويتم على الاخت وبنصورة نهائية القضاء على عدم مساواة النساء وبقايا العلاقات القديمة الاقطاعية الباباوية \* في مجال العائلة والمعيشة ، والتى ما تزال توجد حتى الان في بعض الجمهوريات القومية .

ان التقارب بين الامم في سير البناء الشيوعى هو عملية موضوعية ، حتمية . ولكن ذلك لا يعني بتاتا ان هذه العملية تجرى من تلقاء نفسها ، بصورة عفوية ، وبدون عراقب . فنمو اقتصاد وثقافة الامم الاشتراكية وتقاربها المتواصل يعتبران نتيجة للتوجيه الوااعى والعلمى لتطوير العلاقات القومية الذى يضطلع به الحزب الشيوعى والدولة الاشتراكية . فالحزب والدولة ، بتوجيههما وتنظيمهما الروابط الاقتصادية والاجتماعية السياسية والثقافية بين مختلف الامم وبجمعهما بين مرکزة حياة جميع الجمهوريات في اطار اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية وبين تطوير نظام الدولة القومى وبين منح الجمهوريات حقوقا

---

\* البابى : لقب كان يطلق على الملك الفنى في آسيا الوسطى قبل ثورة ١٩١٧ . المترجم .

واسعة ونشر المبادرة المحلية ، انما يساعدان بذلك على ازدهار الامم والتقريب فيما بينها من كافة النواحي على أساس مبادئ الاممية الاشتراكية . وفي غضون ذلك لا تقتصر الاممية على مجرد الاعتراف باستقلال الامم ومساواتها في الحقوق ، بل تفترض ايضا ضرورة اتحادها ، ومساعدتها المتبادلة ، وتوحيد جهودها . وهى لا يمكن ان تقتصر على مجرد المساعدة الثقافية التكنولوجية والمادية الاحادية الجانب ، بل تفترض بالضبط المساعدة المتبادلة والمسؤولية المشتركة عن قضية الشيوعية .

### **تطوير الديمقراطية الاشتراكية هو السبيل نحو الادارة الاجتماعية الذاتية**

تطور الديمقراطية الاشتراكية ابان بناء الشيوعية في اتجاهات : أ) تعاظم دور مجالس سوفيفيت نواب الشغيلة ؛ ب) ازدياد دور واهمية المنظمات الاجتماعية ؛ ج) تعاظم دور اسر العمل في حياة وتطور المجتمع الاشتراكي . ويجرى كل ذلك ، في نهاية المطاف ، بهدف خلق الظروف من اجل اجتناب اكبر عدد ممكن من الشغيلة الى المشاركة المباشرة في ادارة شؤون المجتمع . وقد كتب لينين يقول انه يجب على الحزب «ان يربى كافة السكان الكادحين بلا استثناء بالمشاركة الذاتية في ادارة الدولة لا نظريا بـ «عمليا» \* .

---

\* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٦ ، ص ٧٢ .

ويتجلى تطور الديمقراطية على نحو ساطع بوجه خاص في تعاظم دور مجالس سوفيفيت نواب الشغيلة في حياة وتطور المجتمع .

ومما له دلالته أن مجالس السوفيفيت كانت وما تزال ، من حيث طبيعتها ، ليس فقط هيئات حكومية بل ومؤسسات اجتماعية ، علما بان الجانب الاجتماعي لل المجالس يغدو ، مع سير تطور الاشتراكية ، الجانب الغالب أكثر فأكثر . ومجالس السوفيفيت بالذات تعتبر بالدرجة الأولى تلك الهيئات التي يجتاز فيها ملايين الناس مدرسة ادارة الدولة .

ان مجالس السوفيفيت هي اكثرب المنظمات ديمقراطية وتمثيلا . وتوجد في الاتحاد السوفييتي عشراتآلاف مجالس السوفيفيت من مختلف المستويات التي تضم اكثرب من مليوني نائب . وبالمقابلة ان النواب ليسوا بقسمهم الاكبر قادة حكوميين او حزبيين محترفين ، بل عمال وفلاحون ورجال علم وثقافة . ففى القوام الحالى لمجلس السوفيفيت الاعلى للاتحاد السوفييتي ، على سبيل المثال ، ومن اصل ١٥١٧ نائبا يوجد ٤٩٨ عاملأ و ٢٧١ كولخوزيا ، وتمثل فيه عشرات الامم والاقوام القاطنة البلاد . وبين نواب مجالس السوفيفيت المحلية ، الذين انتخبوا في حزيران (يونيو) عام ١٩٧٣ ، ٣٩,٣٪ من العمال و ٢٨٪ من الكولخوزيين ، و ٤٧,٤٪ من النساء ، و ٥٦,١٪ من اللاحزبيين . فاين وفي اي مجتمع آخر يتمثل الشغيلة في هيئات السلطنة بمثل هذا الاتساع والشمولية ؟ وفي غضون سنوات ما بعد الحرب وحدها اجتاز مدرسة الادارة في مجالس السوفيفيت حوالي ٢٤ مليون شغيل .

ويشارك في عمل مجالس السوفيفيت ، بالإضافة الى النواب ، عدد كبير من النشطاء . وهم يشتغلون في عمل اللجان الدائمة ، ويعتبرون عاملين من خارج المالك لدى اقسام اللجان التنفيذية لمجالس السوفيفيت ، ومفتشين شعبيين متطوعين ، ومرشدين من خارج المالك ، الخ . وبالاجمال يشترك في عمل مجالس السوفيفيت على اسس طوعية ٣١ مليون مواطن .

ويسعى الحزب الشيوعى السوفيفيت باستمرار الى رفع دور مجالس السوفيفيت في حياة وتطور المجتمع . ومن اجل هذه الاغراض يجرى توسيع حقوق مجالس السوفيفيت المحلية ، وبضمن ذلك في ميدان هام كتنسيق عمل المؤسسات الانتاجية والمنظمات الاقتصادية القائمة على اراضيها ، وذلك في حدود صلاحياتها . كما تتوطد القاعدة المادية المالية لمجالس السوفيفيت ، ويتعزز جهازها ب-purple كفوءة .

ويتقوى الاشراف من جانب مجلس السوفيفيت الاعلى للاتحاد السوفيفيت ومجالس السوفيفيت العليا للجمهوريات المتحدة على وضع الامور في القطاعات الاساسية للبناء الاقتصادي والثقافي ، وعلى عمل الوزارات والدوائر . والاتجاه الهام الآخر لتطور الديمقراطية الاشتراكية هو زيادة دور واهمية المنظمات الاجتماعية وممارستها المتزايدة الاتساع في القيام بوظائف حكومية محددة . واوسع منظمة اجتماعية في الاتحاد السوفيفيت هي النقابات التي تضم في صفوفها اكثر من ١٠٧ مليون شخص . وتعتبر النقابات مدرسة تربية للشغلية ، مدرسة ادارة وتدبير الشؤون الاقتصادية . وهي تجتذب الشغيلة الى ادارة الانتاج والشؤون الاجتماعية

وتهتم بنمو الرفاهية الشعبية وزيادة انتاجية العمل ، وتحسن تنظيم المبادرة الاشتراكية ، وتربي في نفوس الناس الموقف الشيوعي من العمل . واحدى المهام الرئيسية لدى النقابات هي الاهتمام بالمصالح الشرعية للعمال وكافة الشغيلة ، والعناية بتحسين ظروف عملهم ومعيشتهم ، وتشديد الرقابة على مراعاة قانون العمل وقواعد ومعدلات صيانة العمل واحتياطات الامن ، والاهتمام بالتنظيم الافضل لراحة الشغيلة بصورة مفيدة وصحية . وتحت تصرف النقابات عدد كبير من دور الثقافة ، والمصحات ، والمنتجعات ، ودور الراحة ، وأماكن راحة الاطفال ، والمنشآت الرياضية ، الخ .

وتعمل تحت قيادة النقابات شبكة كاملة من المنظمات الاجتماعية واتحادات الشغيلة التي تساعد الدولة في الاضطلاع بادارة الاقتصاد والحياة الاجتماعية والثقافية . واحدى هذه المنظمات ، واحد اهم اشكال مشاركة الجماهير في ادارة الانتاج هو الاجتماعات الانتاجية الدائمة الانعقاد في مؤسسات الصناعة والنقل والبناء . ويجرى عمل الاجتماعات الانتاجية بالاشتراك الواسع من جانب العمال والمستخدمين ، والمهندسين والتكنكيين ، وممثل الادارة والمنظمات الحزبية والكومسومولية والجمعيات العلمية التكنيكية . ويشترك في عملها اكثر من ٦ ملايين شخص بينهم ٦٤٪ من العمال .

وتوجد تحت تصرف النقابات منظمات كمكاتب التصميم الاجتماعية ، والفرق الاجتماعية للتحليل الاقتصادي ، والمكاتب الاجتماعية للتعيين التكنيكى ، و المجالس المجددين وغيرها ، التي تلعب دورا غير قليل

في تنظيم وادارة الانتاج . وفي ظروف الاصلاح الاقتصادي وتوسيع حقوق المؤسسات الانتاجية واستقلالها الاقتصادي والتطبيق المتأخر للتحفيز الاقتصادي ترتفع مسؤولية النقابات عن تنفيذ خطط الدولة والاتقان التكنيكى للانتاج واعمال الاختراع والتجديد الجماهيرية ، ويتعاظم دورها في تطوير المبادرة الابداعية لدى الشغيلة واجتذاب الكادحين الى ادارة الانتاج ، وفي نشر المباراة الاشتراكية . ان المسائل التي يتركز عليها انتباه النقابات هي : التربية السياسية للشغيلة ، تحسين تنظيم العمل ودفع اتعابه ، رفع كفاءة العمال ، العناية بصيانة عملهم وبمعيشتهم .

وينتقل الى المنظمات الاجتماعية بصورة تدريجية الاضطلاع المباشر ايضا بالوظائف الاجتماعية الثقافية لهيئات الدولة . وتلعب منظمة الكومسومول دورا كبيرا في تربية الشبيبة وتهذيبها ، وهى منظمة ذاتية المبادرة وتضم في صفوفها ٣٥ مليون شاب وشابة .

وحظيت الجامعات الشعبية بانتشار واسع ، وهى تلعب دورا هاما في التربية الثقافية للشغيلة وفي رفع نشاطهم الانتاجي والاجتماعي .

وتساند هيئات الدولة على الدوام مبادرة الجماهير في انشاء مختلف انواع الاتحادات والمنظمات الاجتماعية التي تساعد على الاضطلاع الناجع بالوظائف الحكومية او تأخذ على عاتقها (كليا او جزئيا) القيام بهذه الوظائف . وتضفى الدولة على نشاط هذه المنظمات صيغة قانونية وتقديم لها مساعدة مادية تكنيكية وتنظيمية . وانشئت جمعية المخترعين والمجددين ، واتحاد الصحفيين ، واتحاد ملحنى روسيا الاتحادية ، والجمعية التربوية

لروسيا الاتحادية ، وجمعيات الروابط الثقافية مع عشرات البلدان الأجنبية التي تساعد على توطيد السلام وتعزيز العلاقات الاقتصادية والثقافية مع الشعوب الأخرى ، الخ .

وثمة اتجاه آخر ايضاً لنتطور الديمocratique الاشتراكية - رفع دور اسر العمل في حياة وتطور المجتمع الاشتراكي . واسرة العمل هي الخلية الاساسية للمجتمع الاشتراكي ، وميدان هام للنضال من اجل رفع النشاط العملي والاجتماعي للشغيلة . وفي اسرة العمل بالذات تتكون الميزات الاشتراكية الجديدة لدى الناس السوفيتين ، وتشكل علاقات الصداقـة والتعاون الرفاقـى . ان مسؤولية كل فرد امام اسرة العمل ومسؤولية اسرة العمل عن كل عامل هي السمة الملزمة لنـمـط حـيـاتـنا . وبهدف اجتذاب الشغيلة الى الاشتراك المباشر في ادارة الانتاج والعمليات الاجتماعية والروحية يجري في الاتحاد السوفييـتي باستمرار استكمال نظام ادارة اسر العمل . وقد اوجـد الاصلاح الاقتصادي امكانـيات مؤـاتـية جديدة من اجل ذلك ، وهو لم يـوسـع فقط الحقوق القانونية لاسـرةـ العمل بل ومنـحـهاـ ايـضاـ مـبـالـغـ (صـنـادـيقـ مـطـابـقـةـ) تستـطـيعـ انـ تـنـفـقـهاـ كـماـ تـشـاءـ . وهـذـهـ المـبـالـغـ ، العـاـصـلـةـ منـ الـارـبـاحـ الزـائـدـةـ عـلـىـ الخـطـةـ ، وبـالـتـالـىـ ، منـ النـتـائـجـ الحـسـنـةـ فـيـ الـعـمـلـ ، تـوـجـهـ حـالـيـاـ لـيـسـ فـقـطـ نحوـ تـطـوـيرـ الـأـنـتـاجـ بلـ وـنـحـوـ تـحـسـينـ ظـرـوفـ عـمـلـ وـمـعـيشـةـ وـرـاحـةـ شـغـيـلـةـ الـمـؤـسـسـةـ الـمـعـنـيـةـ ، وـرـفـعـ مـسـتـوىـ تحـصـيلـهـمـ الـعـامـ وـاعـدـادـهـمـ التـخـصـصـىـ ، وـالـبـنـاءـ السـكـنـىـ ، الخ . وـازـدـادـ اـهـتمـامـ الشـغـيـلـةـ بـالـتـطـوـيرـ الـفـعـالـ لـلـأـنـتـاجـ وـالـحـيـاةـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـالـرـوحـيـةـ لـاـسـرـ عـمـلـ الـمـؤـسـسـاتـ

الانتاجية ، وبزيادة انتاجية العمل ، وفي الاستخدام الرشيد لوقت العمل ووقت الفراغ .  
تجري في العالم الاشتراكي بصورة نشيطة مناقشة قضية ما يسمى بالديمقراطية الانتاجية وجوهرها ومكانتها في النظام العام للديمقراطية الاشتراكية . وتقوم في بعض البلدان محاولات نظرية وعملية لتحويل الديمقراطية الاشتراكية الى ديمقراطية انتاجية . ونعني بذلك هنا ما يسمى بالاشتراكية «المسيّرة ذاتيا» حيث يتحول مركز الثقل الى اسر العمل . ويجري طبقاً لذلك تصحيح التصورات عن الملكية الاشتراكية : تغدو المؤسسة الانتاجية ، التي تعمل على اسس الادارة الذاتية في ظروف «الانتشار الكامل للعلاقات البضاعية النقدية» ، تغدو ذاتاً اقتصادية للمجتمع .

وليس من المشكوك في ان المؤسسة الانتاجية واسرة العمل فيها تعتبر ان الخلية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع ، اما اجتذاب الشغيلة الى ادارة شؤون اسرة العمل ، كما ذكرنا لتوه ، فيعتبر اتجاهها هاماً من اتجاهات تطور الديمقراطية الاشتراكية . بيد ان اضفاء صفة الاطلاق على الديمقراطية الانتاجية يؤدى الى انقطاع اسر العمل عن التنظيم الاجتماعي السياسي ، عن الدولة ، والى تحويل المجتمع الاشتراكي الى مجرد مجموعة بسيطة من اسر العمل «المسيّرة ذاتيا». ان محمل قضية تطور الديمقراطية الاشتراكية ، والتي تتضمن الاوجه السياسية والاقتصادية والايديولوجية ، تحول في الواقع الى قضية تخص مجال الاقتصاد ، ناهيك عن ان هذا المجال لا يشمل في هذه الحال الا اسر العمل المنفردة . اما اسر العمل نفسها فترتبط فيما بينها بدرجة رئيسية آليتا

علاقة السوق (البيع والشراء) ، وهى ترتبط بالدولة عبر نظام الاقتطاعات من الربع .  
ان حصر الديمقراطية باطار اسر العمل الانتاجية يعني عملياً ابعاد المنتجين عن المشاركة في ادارة كل المجتمع وكل الدولة .

وتنفى الاشتراكية «المسيرة ذاتياً» ، في الواقع ، القيادة الممركزة المبرمجة للمجتمع التي تعتبر اعظم مكسب للاشتراكية ، وتحصر الديمقراطية ضمن اطار انتاجي ضيق . وتغدو الفعالية الاقتصادية والطموح الى الربع الدافع الوحيد في نشاط اسرة العمل وعامل مبادرة ، الامر الذى يؤدى الى افراج الدوافع الاخرى ، الفكرية للنشاط البشري من محتواها ومغزاها .

لذا ، فمن المهم ، لدى تطوير الديمقراطية بشتى الوسائل في اطار اسرة العمل ، ان يؤخذ بالحسبان دائماً ، ان كل اسرة عمل بمفردها ليست سوى حلقة من حلقات نظام الاشتراكية الاقتصادي والاجتماعي ، وان كل حياتها وكل نشاطها مدعوان لخدمة بلوغ الاهداف المائلة امام المجتمع ككل .

وكان لينين يناضل باصرار ضد جميع وشتى مظاهر الفوضى والنقابية الفوضوية التي كان ممثلوها يعتبرون المجتمع الاشتراكي خليطاً من الكومونات الانتاجية المستقلة . وتحت الشعار الكاذب ، شعار الدفاع عن الاستقلالية والحرية ، كانوا يقفون ضد الادارة الممركزة وتدبير الشؤون الاقتصادية بصورة مبرمجية . وكان لينين يشير الى ان العمال ، الشغيلة مدعون الى ادارة المجتمع بجميع حلقاته وليس الى الانكماش ضمن الحدود الضيقة لمصنع «هم» ومعمل «هم» .

ويرتبط تطور الديمقراطية الاشتراكية ارتباطا لا ينفصّم يتعزيز الشرعية والنظام القانوني والانضباط والتنظيمية .

ان قوانين الدولة الاشتراكية قوانين انسانية . فهى تضمن حقوق وحريات المواطنين وتفرض عليهم في الوقت نفسه واجبات محددة ، وتنظم نشاط الناس ومختلف المنظمات لصالح المجتمع ككل وكل عضو من اعضائه على السواء . وهذا امر مفهوم . فالديمقراطية بدون شرعية ونظام قانوني وانضباط تتتحول الى فوضى واخلال بالنظام ، اما النظام القانوني والانضباط والاكراء بدون ديمقراطية فتتحول الى طغيان .

ويعمل الحزب والدولة باستمرار على استكمال التشريع الاشتراكي ، ويعززان النظام القانوني والانضباط . وفي السنوات الاخيرة وحدها وباشتراك العجمahir الواسعة تم اقرار القوانين التشريعية الجديدة التالية : «اسس التشريع بشأن العائلة والزواج» ، «اسس التشريع الخاص بالارض» ، «النظام الداخلي النموذجي للكولخوزات» ، «اسس تشريع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية والجمهوريات المتحدة حول العمل» ، «اسس تشريع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية والجمهوريات المتحدة حول التعليم العام» ، وعدد من القوانين حول حماية الطبيعة . وفي ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢ اقر مجلس السوفيت الاعلى للاتحاد السوفييتي قانونا «حول النظام الاساسي لنواب مجالس سوفييت نواب الشغيلة في الاتحاد السوفييتي» .

ان قوانين الاشتراكية ومبادئها الاخلاقية تتباين مع مصالح المجتمع بأسره ومع مصالح كل فرد من افراده على حد سواء .

لذا ، يخوض الحزب والدولة نضالا حازما ضد منتهكى القوانين ومخالفى مبادئ الاخلاق الشيوعية ، ويعززان باستمرار النظام القانونى والانضباط . وقد اشير فى المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى الى : «اننا ، اذ نعني بتطوير الفرد من جميع النواحي وبرترقية حقوق المواطنين ، نعيى في الوقت نفسه ما يجب من اهتمام لقضايا تدعيم الانضباط العام وللتقييد جميع المواطنين بواجباتهم حيال المجتمع ، لأن الديمقراطية لا تتحقق بدون انضباط وبدون نظام عام متين» \* .

ان نشر الديمقراطية الاشتراكية يخلق الظروف من اجل تحويل ادارة الدولة بصورة تدريجية الى ادارة اجتماعية شيوعية . الا ان ذلك لا يعني بحال من الاحوال اى انتهاك ما لدور الدولة الاشتراكية . بل على العكس فان اهميتها في البناء الشيوعى تتعاظم .

ان الشيوعية نتيجة للابداع الوعى الذى يقوم به الشعب ، لعمله البطولى ، لنضاله المتفانى . بيد انه من الضرورى توحيد جهود الشعب الخلاقة وتنظيمها وتوجيهها نحو بلوغ الهدف الواحد . والدولة الاشتراكية ، التى يقودها الحزب الشيوعى ، تعتبر بالذات القوة التى تنظم بناء المجتمع الجديد . ومن هنا تنبع

---

\* «مواد المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى» ، ص ٨٥ .

ضرورة وجود الدولة الاشتراكية في مجلمل مرحلة بناء الشيوعية ، ضرورة تطويرها الدائم واستكمالها .

### ٣ - تكوين الانسان الجديد

الانسان الجديد ، الذى سوف يعيش فى المجتمع الشيوعى ، هو انسان متتطور من جميع الجوانب وبصورة متناسقة . انه قبل كل شئ قادر رفيع الثقافة للانتاج الشيوعى ، يملك اسس العلوم ، وخلق القيم المادية . انه قائد اجتماعى نشيط قادر على ادارة شؤون المجتمع ، ويملك العقيدة العلمية ويعرف اسس الفنون وقدر على خلق ليس القيم المادية فحسب ، بل والروحية ايضا ، انسان ذو مبادئ اخلاقية رفيعة وكمال جسماني . والصفات الرفيعة للانسان الجديد لا تنشأ من تلقاء نفسها ، بل يجرى تكوينها وتربيتها .

### ضرورة التربية الشيوعية

يزعم خصوم الشيوعية ، في محاولتهم التشهير بمثلها العليا ، ان الشيوعية عاجزة عن خلق انسان متحرر من بقايا المجتمع القديم . ويقولون ان الشيوعية تستطيع خلق تكنيك جبار ، تستطيع خلق وفرة من الخيرات المادية ، ولكنها عاجزة عن تغيير طبيعة الانسان التي افسدتها الاجيال وتخلصه من النزعة الفردية وحب النفع والخرافات والغوف .

اما في ما يتعلق بالواقع الاشتراكي فامرهم لا يهم ايديولوجى الرأسمالية . بيد ان هذا الواقع ينطبق

بصوت متعال ابدا وبمزيد من الوضوح بان هذا الانسان الجديد ينمو ، وبان انسان الاشتراكية ، مع تطور بناء الاقتصاد الاشتراكي واستكمال العلاقات الاجتماعية ، يرفع مستوى الثقافى ويتحقق طبيعته الاخلاقية وهيئته الجسمانية فيتحرر خطوة خطوة من الارث السلبي للمجتمع الطبقى .

ان الوعى الشيوعى يتكون بالنظام كله ، بمجمل الحياة الاجتماعية للاشتراكية ، في سير مشاركة الشغيلة النشيطة في بناء الشيوعية ، في العمل المشترك المنظم بصورة مخططة ، في اثناء تطوير العلاقات الاجتماعية الجديدة في الانتاج والمعيشة .

ان تطوير الوعى الشيوعى ، باعتباره جزءا مكونا من البناء الشيوعى ، يمارس مع ذلك تأثيرا عكسيا على حل المهام الاقتصادية والاجتماعية السياسية . وهذا امر مفهوم : فالمجتمع الشيوعى لا يبني بصورة عفوية ، بل بنتيجة نشاط الشغيلة الواقعى الهاداف ؛ وبالطبع فبمقدار ما يزدادوعى الناس بمقدار ما يجرى بصورة انجح تحقيق قضية البناء الشيوعى وتكون وتأثير حركتنا الى الامام ارفع .

ويشكل تطوير الاقتصاد وترسيخ اقدام العمل الشيوعى والعلاقات الاجتماعية للشيوعية وثقافتها الاساس الموضوعى لتكوين الانسان الجديد وتربيته بروح الادراك الشيوعى . بيد ان هذه الشروط بحد ذاتها وبصورة تلقائية لا تضمن بعد انتصار المبادئ والافكار الشيوعية في وعي كل شخص . لذا فان التربية الشيوعية للشغيلة والعمل الایديولوجي يشكلان شرطا لازما لانجاز بناء الشيوعية .

ان التربية الشيوعية هي تربية كافة الشغيلة بروح العقائدية الرفيعة والاخلاص الوافي للشيوعية ، وال موقف الشيوعى من العمل ومن الملكية الاجتماعية ، والقضاء التام على بقايا الافكار والاخلاق البرجوازية ، وتطویر الشخصية من جميع النواحي وبصورة متناسقة ، وخلق الثقافة الروحية الغنية حقا .

## وسائل التربية الشيوعية

في غضون سنوات السلطة السوفيتية تكون في الاتحاد السوفييتي نظام فعال للتربية يشمل العائلة والمدرسة ، ودور التعليم الثانوى التخصصى والعالى ، ونظام التعليم الحزبى ، والصحافة ، والتلفزيون ، والاذاعة ، الخ .

لتأخذ العائلة على سبيل المثال . تقوم العائلة بوظيفة اجتماعية هامة : انها لا تعمل فقط على اعادة انتاج الجنس البشري نفسه بل وتربى الجيل الناشئ ايضا . فهنا بالذات وبالدرجة الاولى يتربى الطفل ويكتون عالمه الروحي وعلاقته بمحيطة وسلوكه وافعاله وتصرفاته . وهنا يدرك المواطن الصغير لأول مرة المبادىء الاولية للمعيشة البشرية ، ويبدأ بفهم الخير والشر ، ويتعلم عمل الخير ونبذ الشر .

وتشكل المدرسة حلقة هامة في التربية الشيوعية فهى تسلاح الانسان باصول العلوم وتمكنه من التوغل في اسرار الطبيعة والمجتمع وتكون لديه العقيدة والهيئة الاخلاقية ، وتقدم له تحصيلاً بولитеكنيكياً متعدد

الجوانب ، فتعد الفتاة ، بهذا بالذات ، من اجل العمل المفيد اجتماعيا ، وتوفر لها امكانية متابعة التحصيل . وبمعية العائلة ، الاهل ، تكشف المدرسة وتطور مؤهلات وميول الناشئين ، وتطور مشاعرهم وتفكيرهم ، وتساعدهم على اختيار طريقهم في الحياة . كما انها كبيرة اهمية المدرسة العليا السوفيتية في التربية الشيوعية . فقد اكتنلت المدرسة العليا تجربة ضخمة في تكوين الاختصاصيين المسلمين ليس فقط بمعارفه مهنتهم بل وبعقيدة علمية ماركسية لينينية ايضا . انهم اناس ذوو تأدب جيد بالإضافة الى انهم يعتبرون هم انفسهم من بين جيدين قادرين على القيام بعمل ناجح في تهذيب الانسان الجديد .

ويشكل نظام التعليم الحزبي جامعة ماركسية لينينية حقيقة للملاليين . ففي نظام التعليم الحزبي يدرس الشيوعيون واللاحزبيون مؤلفات ماركس وانجلس ولينين ، و برنامج الحزب الشيوعي السوفيتي ، وقرارات مؤتمرات الحزب ، واهم الوثائق الحزبية ؛ علما بان امتلاك النظرية يقترن هنا بدراسة مسائل الاقتصاد وتطور الانتاج ويرتبط ارتباطا وثيقا مع المهام التطبيقية الملحوظة الماثلة امام المصانع والمعامل والكولخوزات والسوخوزات . وبنتيجة ذلك يقترب التعليم السياسي من الحياة ويغدو اكثر استهدافا ويزداد اهميته التربوية .

وافضل مرب للانسان هو اسرة العمل ، سواء اكانت مصنعا او معملا ، كولخوزا او سوخوزا او فريق عمل او مشغلا او مؤسسة الخ . ان كل انسان قادر على العمل ملزم بان يستغل ، ولذا فهو ينتمي حتما الى اسرة عمل

محددة . والانسان مرتبط من خلال اسرة العمل بالدرجة الاولى ماديا وروحيا بالمجتمع .

وفي اسرة العمل يتخلط الانسان مع الناس الاخرين ، وبنتيجة ذلك يتتطور كاختصاصي ، كشغيل . وهنالا يغتنى عالمه الروحى وتتربي سماته الاخلاقية : الروح الجماعية ، شعور الرفاقية ، الانضباط الوعى ، الشعور الرفيع بالمسؤولية عن القضية المكلفت بها .

## تكوين العقيدة العلمية

العقيدة العلمية ، الماركسية-اللينينية ، هي نظام متناسق ومتكملا من الافكار حول العالم : الطبيعة والمجتمع وقوانين تطورهما وسبل ادراكهما وتحقيقهما . حتى في ظل الاشتراكية تغدو العقيدة العلمية عقيدة مهيمنة ويعتبر ملكا لعدد كبير من الناس الذين يشكلون القسم الطبيعي من المجتمع واكثره وعيها . اما في ظروف البناء الشيوعى فيجرى حل مهمة امتلاك العقيدة العلمية من جانب جميع كادحي المجتمع دون استثناء .

ولا يمكن ان يكون الامر على عكس ذلك . اذ ان حل اعقد مهمات البناء الشيوعى لا يقدر عليه الا انس رفيع الواعي يعرفون قوانين تطور المجتمع ويحسنون تحليل وادراك القضايا الداخلية والعالمية ويفقهون جيدا المهمات الماثلة امام البلاد ويشاركون مشاركة مباشرة ونشيطة الى اقصى حد في حلها . وامتلاك العقيدة العلمية يتطلبها بالحاج التقدم العلمي التكنىكي

المعاصر ايضا والتطور العاصف للعلوم الطبيعية التي تحتاج منجزاتها ليس فقط الى تمعن عقائدي عميق بل والى اعداد عقائدي واسع للباحث في العلوم الطبيعية . واخيرا ، تشكل العقيدة العلمية امضى سلاح ايديولوجي في النضال ضد العقيدة المثالية والدينية ، في النضال ضد اعداء الشيوعية .

ت تكون العقيدة العلمية على اساس الماركسية-اللينينية كنظام متناسق للافكار الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية السياسية . وبناء على ذلك فان امتلاك العقيدة العلمية يعني بالدرجة الاولى استيعاب الاحكام الاساسية للماركسية-اللينينية وليس استيعابها فقط بل ومعرفة استخدامها بصورة خلقة في قضايا عملية مباشرة .

وتتسم الفلسفة الماركسية اللينينية - المادية-الدياليكتيكية والتاريخية باهمية حاسمة في تكوين العقيدة العلمية . ففلسفة الماركسية بالذات تسلح الانسان بالطريقة العلمية ، باسلوب اتخاذ موقف من مختلف مظاهر الطبيعة والحياة الاجتماعية . وبهذا بالذات تمكن الانسان من اعطاء تقدير صحيح ومبني للاحداث المتغيرة حوله وفهم مكانه في الحياة وفي حل المهمات الماثلة امام المجتمع واتخاذ موقف مطابق ازاء كل ذلك . وفي سير تكوين موقف الانسان من العالم تعلم الفلسفة الانسان طريقة التصرف ايضا ، وتربي في نفسه الثقة بامكانية ادراك العالم وتغييره .

الماركسية-اللينينية اساس متين وحيد من اجل وضع الاستراتيجية والتكتيك الصحيحين . انها تمنحنا ادراك الآفاق التاريخية وتساعدنا في تحديد اتجاهات التطور

الاجتماعي الاقتصادي والسياسي لفتره مقبلة مد IDEA وفي  
الاهتداء الصحيح في الاحداث الدولية \* .

وامتلاك العقيدة العلمية يعني امتلاك النظرية  
**الاقتصادية الماركسية اللينينية** ايضا . فهذه النظرية ،  
يكشفها قوانين تطور الميدان الحاسم للنشاط البشري -  
ميدان الانتاج المادى - ، تتيح للانسان تنظيم الحياة  
الاقتصادية ، وعلى هذا الاساس اعادة بناء مجمل تنوع  
العلاقات الاجتماعية بما يتفق مع مصالحه . وتقدم  
نظرية الشيوعية العلمية للانسان مساعدة لا تقدر بثمن  
في شؤونه العملية ، وهي لا تكشف فقط صورة مجتمع  
المستقبل الوضاء بل وتدل على السبيل الملحوظة  
لإنشائه .

وتشكل اهم منجزات العلوم الطبيعية عنصرا لازما  
من عناصر العقيدة العلمية . وهذه المنجزات تؤلف  
الاساس العلمي الطبيعي للعقيدة وتكشف قوانين تطور  
الطبيعة وتتيح للانسان تطوير العمليات الطبيعية  
لصالحه ووضع الثروات الهائلة في خدمته . وعليه فان  
تكوين العقيدة العلمية يعني امتلاك اسس النظرية  
الماركسية اللينينية واصول العلوم الطبيعية على  
السواء . وفي الوحدة والترابط الوثيق فقط تعطى  
الماركسية-اللينينية والعلوم الطبيعية نظاما علميا من  
الناظرات بشأن الواقع .

---

\* « مواد المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي  
السوفييتي » ، ص ٧٢ .

## النضال ضد الايديولوجيا البرجوازية

ان تربية العقيدة العلمية ، شأن التربية الشيوعية بوجه عام ، تقتضى بالضرورة خوض النضال ضد **الايديولوجيا البرجوازية** . فبعد ان منيت الامبريالية بالهزيمة في المعارك السياسية ، بما في ذلك المعارك المسلحة ايضا ، اخذت تعول في الاساس الان على النضال في الميدان الايديولوجي و تقوم بهجوم مسحور على الواقع الايديولوجي للاشتراكية . وتكون مهمات الهجوم الايديولوجي للبرجوازية الامبريالية في الدفاع عن النظام الرأسمالي ، واعادة طلاء واجهة صرحها المهترئ ، وابقاء الجماهير الكادحة اسييرة الافكار البرجوازية والتشهير بالنظام الاشتراكي في نفس الوقت ، ودحض الماركسية-لينينية ، واثارة عدم الثقة نحو افكار الشيوعية ونحو سياسة بلدان الاشتراكية .

ويبدل منظرو الامبريالية اقصى الجهد من اجل تجديد سلاحهم الايديولوجي المهترئ ، والعمل بطريقة ما على تمويه وستر انعدام وجود افكار لدى البرجوازية الامبريالية تستطيع جذب الجماهير الشعبية وبهذا اضعاف تأثير الافكار الشيوعية عليها . ولم يعد يوجد في يامنا هذه عدد كبير من الناس الذين يؤمنون بخرافات «الرأسمالية الشعبية» و«دولة الخير العظيم» التي تطلق على الرأسمالية المعاصرة . لذا اخذت تظهر الى الوجود مفاهيم جديدة تعتبر اهمها النظرية البرجوازية عن «المجتمع الصناعي الواحد» . فالرأسمالية ، من وجهة نظر هذه النظرية ، ... قد اختفت حاليا وحل محلها «المجتمع الصناعي» الذي تنعدم فيه التناقضات التطبيقية

والذى يحدد قوانينه ، كما يزعمون ، تقدم التكنيك فقط وليس على الاطلاق طابع العلاقات الاجتماعية واشكال الملكية . هذا ، في حين ان تقدم التكنيك واستخدامه ودرجة منفعته للناس انما يحددها ، كما رأينا ، طابع النظام الاجتماعي ، لذا فان هذا التقدم يعتبر في ظروف الرأسمالية مصدر ارباح فائقة جديدة لحفنة من اصحاب الاحتكارات ومصدر كوارث بالنسبة للملايين من الشغيلة .

ويرى ساسة ومنظرو الامبرياليه مهمتهم الرئيسية في نقل الصراع الايديولوجي مباشرة الى اراضي بلدان الاشتراكية ، والتأثير على وعي الناس وادخال افكار ومبادئ غريبة عن النظام الاشتراكي ونمط الحياة الاشتراكي الى عقولهم ، مستخدمين من اجل ذلك اكثر فئات المجتمع تخلفا .

لذا فان التربية الشيوعية للشغيلة تقتضي بالضرورة خوض نضال لا هوادة فيه ضد ايديولوجيا الامبريالية الرجعية . وكل تقليل من اهمية النضال ضد الايديولوجيا البرجوازية يعني اضعاف موقع الايديولوجيا الاشتراكية ويلحق الضرر بقضية البناء الشيوعى ، بقضية تكوين الانسان الجديد .

## التربية في العمل

ان امتلاك العقيدة العلمية الشيوعية لا يعني فقط معرفة قوانين تطور الواقع بل وحسن استخدام هذه القوانين في التغيير العملي للطبيعة والمجتمع وفي تأمين التقدم الاجتماعي المستمر وانتصار قضية الشيوعية .

ان تغيير الواقع وانتصار الشيوعية امران ممكناً فقط  
ابان النشاط العملي للانسان ، وفقط اثناء ترسیخ اقدام  
العمل الشيوعى ، لذا فان التربية في العمل ، تربية  
الموقف الشيوعى من العمل ، تعتبر اهم جزء في تكوين  
الانسان الجديد . زد على ذلك ان التربية في العمل تشكل  
اساس ولب التربية الشيوعية لانه في العمل نفسه  
تتربي وتتطور جميع الصفات الثقافية الاخلاقية  
والجمالية لدى الانسان . فخارج العمل الخلاق يستحيل  
سواء تقدم الانتاج والتكنيك والثقافة ام تطور الانسان  
نفسه .

والشيء الرئيسي في التربية في العمل هو تربية  
الاحترام لكل نوع من انواع العمل المفيد اجتماعياً سواء  
أكان عملاً جسدياً أم عقلياً ، وازالة الموقف المتعجرف  
المزدرى للمعلم الجسدي ، وكذلك الموقف الضيق الافق  
من العمل الفكرى الذى يعتبره كنایة عن عمل سهل لا  
طائل تحته . ان نهج الجمع بين العمل الفكرى والعمل  
الجسدى في القضاء على الفروقات الجوهرية القائمة  
بين الناس هو النهج العام في تغيير طابع العمل وفي  
 التربية الموقف الشيوعى من العمل وفي تكوين الانسان  
الجديد .

ويتحدثون الآن كثيراً عن العصر الذري ، ويشددون  
في ذلك خاصة على الانتاج المقبل حيث سيكون نصيب  
الانسان فيه ، كما يدعون ، مجرد الضغط على الازرار .  
بيد انه من المعروف جيداً انه ليس باستطاعة اية  
آلية اتوماتيكية ان تحل محل الوظائف التي ينعكس فيها  
دفء النفس البشرية وطيبة القلب والحفاوة والاهتمام

والذوق الفنى الرفيع . واخيرا ، فالمسئلة لا تكمن فى الوظائف بالذات بل فى الموقف من العمل ، من الوظيفة ، فى المهارة المهنية . ولهذا السبب بالضبط من الضرورى ايلاء الاهتمام فى التربية ، وخاصة تربية الجيل الناشئ ، لا الى : من تكون ، بقدر ما الى : **كيف تكون** . ويصعب وجود مهنة لا تحوى فى ذاتها امكانيات من اجل الابداع والتفكير والاتقان . لذا فمن المهم ان لا يقتصر الامر على مجرد تعليم الانسان هذه المهنة او تلك - فهذه مسئلة غير معقدة - بل العمل على ان يمتلك الانسان هذه المهنة حتى الكمال ، وان يبدع في المجال الذى اختاره ، وان يشتغل بتعملق .

### **التربية الاخلاقية**

تعتبر  **التربية الاخلاقية الشيوعية** جزءا مكونا هاما من التربية الشيوعية . وهذا لا يعني فقط استيعاب جوهر الخلق الشيوعى ومتطلباته ومبادئه الاساسية ، بل (وهذا الامر !) عملية تكوين سلوك الانسان المطابق لهذه المبادىء ، وعاداته وطباعه وسماته الاخلاقية . ان توطيد مبادىء الخلق الشيوعى والتقييد الطوعى بقواعد التعايش الشيوعى يشكلان احدى اكبر مهام تكوين الانسان الجديد .

وتحدد الاخلاق الشيوعية **القواعد الاخلاقية** لبني الشيوعية المصاغة في برنامـج الحزب الشيوعى السوفيتى . وهذه القواعد الاخلاقية هي مجموعة المبادىء الاساسية التي يجب ان يسترشد بها الانسان الذي يبني المجتمع الجديد ، الشيوعى .

وتحضن الاخلاق الشيوعية لمصالح نضال البروليتاري  
الطبقى ؛ ويشكل محتواها وهدفها النضال من اجل توطيد  
واكمال بناء الشيوعية . ومن وجهة نظر الاخلاق  
الشيوعية يعتبر اخلاقيا ذلك السلوك الذى يساعد تقدم  
المجتمع نحو الشيوعية ؛ والعكس بالعكس ، فالسلوك  
الذى يعرقل هذا التقدم يعتبر سلوكا لا اخلاقيا . وعليه ،  
فإن النضال من اجل المجتمع الجديد يشكل ليس فقط  
الهدف الاساسى للاخلاق الشيوعية بل ومقاييسا للتقدير  
الاخلاقي ، فوق كونه مقاييسا علميا ، موضوعيا لانه  
يعرب عن الاتجاه الموضوعى لتطور البشرية . وتبرز  
علمية الاخلاق الشيوعية كذلك فى انها تعتمد الماركسية-  
اللينينية ، العقيدة العلمية الوحيدة ، اساسا نظريا لها .  
وتكشف القواعد الاخلاقية محتوى الخلق الشيوعى  
وتعمم منجزات التقدم الاخلاقي للبشرية وخاصة افضل  
ميزات سلوك الناس في سير بناء الاشتراكية  
والشيوعية ، وهى تتضمن المبادئ الاخلاقية الاساسية  
التالية :

- الاخلاص لقضية الشيوعية ، وحب الوطن الاشتراكي  
وبلدان الاشتراكية ؛
- العمل المخلص والشريف لما فيه خير المجتمع  
من لا يعمل لا يأكل ؛
- حرص كل فرد على صيانة الملكية الاجتماعية  
ومضاعفتها ؛
- الادراك الرفيع للواجب الاجتماعي وعدم التسامح  
مع انتهاك المصالح الاجتماعية ؛
- الروح الجماعية والمساعدة الرفاقية المتبادلة ؛  
الفرد من اجل الجميع والجميع من اجل الفرد ؛

- العلاقات الإنسانية والاحترام المتبادل بين الناس :
- الانسان للانسان صديق ورفيق وشقيق ؛
- النزاهة والاستقامة ، والنقاوة الأخلاقية ، وعدم العجرفة والتواضع في الحياة الخاصة والاجتماعية ؛
- الاحترام المتبادل في الاسرة ، والعناية بتربية الاطفال ؛
- عدم التساهل ازاء الظلم ، والطفيلية ، وعدم الامانة ، والوصولية ، والطعم بالمال ؛
- صدقة واخاء جميع شعوب الاتحاد السوفييتي ، وعدم التسامح مع الكراهية القومية والعنصرية ؛
- عدم التساهل ازاء اعداء الشيوعية وقضية السلام وحرية الشعوب ؛
- التضامن الاخوى مع كادحى جميع البلدان ، ومع جميع الشعوب .

وبنتيجة انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي دخلت مبادئُ الاخلاق الشيوعية بصورة وطيدة في حياة غالبية اعضاء المجتمع السوفييتي . الا انه ما تزال عالقة في وعي وسلوك قسم من الناس روابط الرأسمالية . ويوجد من بينهم ايضاً طفيليون يتهربون من العمل المفيد اجتماعياً ويعيشون عيشة طفيلية ؛ كما يوجد ايضاً طماعون بالمال واناينيون وبيروقراطيون يستخفون بالمصالح الاجتماعية ويضعون «انا»هم فوق كل شيء ؛ ويوجد كذلك مختلسون للملك الشعبي ومنتهكون لانضباط العمل والقواعد الاجتماعية .

ان بقایا الرأسمالية تعيق على نحو جدى قضية البناء الشيوعي . والاشخاص ، المصابون بعذوى هذه البقايا ، يخرقون العمل الطبيعي ويعرقلون راحة

الناس ، ويعتدون على ملكية الشعب والافراد ، ويشيرون التنافر في الحياة العائلية ، الخ . يضاف الى ذلك ان بقايا الماضي قابلة للوجود فترة «طويلة» من الوقت ، فهى لا تتلاشى من تلقاء نفسها ، وتمارس تأثيرها على عقول الناس مدة طويلة بعد ان تض محل الظروف الاجتماعية التي ولدتها . لذا فان النضال ضد بقايا الماضي وضد مظاهر الاخلاق البرجوازية وضد رواسب نفسية الملكية الخاصة يشكل جزءاً مكوناً من العمل الخاص بال التربية الشيوعية .

واكثر الوسائل فعالية للقضاء على بقايا الماضي هي العمل الانشائى والمشاركة النشيطة من جانب جميع اعضاء المجتمع في بناء الشيوعية ، وكذلك الدراسة المواطنة ورفع المستوى الثقافي والتعليمي العام بصورة مستمرة .

ويجب ان لا يغيب عن البال اطلاقاً ان العلاقات البشرية هي علاقات غاية في التعقيد والتنوع . وتربيبة الاخلاق الشيوعية تقضى بان يؤخذ بالحسبان تعقد العلاقات البشرية وتتنوع الطباع والمصائر البشرية ، وان يجتث بكل اصرار كل ما ول ز منه وكل ما يضايق الانسان في النمو والتطور والتقدم الى امام ، وما يعيق اظهار ابداع ومبادرة الناس ، وبان يخاض النضال في سبيل الحق والعدالة ، وان تبرز في الانسان البداءات الطيبة ، وبان يجري البحث عن سبل الوصول الى قلبه ومشاعره وروحه .

وترتبط تربية الخلق الشيوعى ارتباطاً وثيقاً بحل مهمات البناء الشيوعى . فتكوين الاخلاق الرفيعة انما يحصل بالذات ابان المشاركة النشيطة في بناء الشيوعية

وتطوير البادرات الشيوعية في الحياة الاقتصادية والسياسية ، وتحت تأثير مجمل اساليب العمل التربوي .

## التربية الجمالية

ان الميزات والاذواق الجمالية ، وحسن فهم وخلق ما هو رائع في الفن وفي الحياة ، وبناء الحياة وفق قوانين الجمال ، ان ذلك كله يشكل صفة لازمة للانسان المتتطور من جميع النواحي .

والانسان لا يملك بالولادة سوى احساس جمالية معينة وقابلية على الابداع الفنى ، الا ان هذه الاحاسيس لا تظهر من تلقاء ذاتها بل ينبغي تكوينها وتربيتها .

**والتربية الجمالية** هي بالدرجة الاولى تربية المشاعر والاحاسيس الفنية لدى الانسان . ولكن ذلك لا يعني على الاطلاق ان الفعل الجمالى منفصل عن الفعل العقلى .

انه دائماً فعل عقلى ، بيد ان الناحية الانفعالية ذات اهمية كبيرة بوجه خاص في الفن ، والقوة التأثيرية هي بالذات التي تضفي على المحتوى العقلى الفكرى العميق ، الملائم للاعمال الفنية الحقيقية ، صبغة شいقة وتجعله سهل الفهم . وعليه فان التربية الجمالية هي تربية العقل والمشاعر ، تربية العقل بواسطة المشاعر . وانه لكبير بوجه خاص دور الجمالية في المجتمع الاشتراكي الذى يوفر للجماهير الكادحة الواسعة امكانيات مؤاتية من اجل خلق القيم الفنية والتمتع بها . وفي غضون ذلك فان دور الجمالية في الحياة الاجتماعية ، دور الفن والادب ، سوف يتزايد باستمرار بمقدار ازدياد نجاحات البناء الشيوعى .

ان الاذواق والخبرات الجمالية المتطرفة ، القائمة على العقيدة العلمية والمفعمـة بروح المذهبية الرفيعة ، ترتفع من قدر الانسان ، وتزيده غنى ، وتجعل حياته اكثـر مفاداً ومحـتوـيـاً ، و تستلزم الموقف التأثيرـيـ من الواقع . وهـى تتيـح لـلـانـسـان رؤـيـةـ الاـشـيـاءـ الرـائـعةـ ، و ترسـيـخـ اـقـدامـهاـ فيـ الـعـمـلـ وـ الـحـيـاةـ ، وـ فـهـمـ الرـسـالـةـ الحـقـيقـيـةـ لـلـقـيمـ الفـنـيـةـ ، وـ لـيـسـ فـهـمـ هـذـهـ الـقـيمـ فـقـطـ بلـ وـ خـلـقـهـ وـ اـبـدـاعـهـ ايـضاـ . وـ تـرـبـيـةـ الـخـبـرـاتـ وـ الـاـذـوـاقـ العـجـمـالـيـةـ ضـرـورـيـةـ كـذـلـكـ لـكـونـهـ تـمـكـنـ الـانـسـانـ منـ صـنـعـ اـدـوـاتـ وـ مـنـتـجـاتـ عـمـلـ رـائـعـةـ يـسـتـحـيلـ بـدـونـهـ انـ يـعـيـشـ الـانـسـانـ وـ يـتـطـورـ منـ كـافـةـ الـجـوـانـبـ . انـ النـاسـ ، اـذـ يـطـرـحـونـ مـتـطـلـبـاتـ جـمـالـيـةـ عـالـيـةـ بـخـصـوصـ مـنـتـجـاتـ الـعـمـلـ ، مـدـعـوـونـ فـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ اـلـىـ تـحـقـيقـ هـذـهـ الـمـتـطـلـبـاتـ فـيـ عـمـلـهـ نـفـسـهـ ، وـ هـوـ اـمـرـ مـمـكـنـ فـقـطـ فـيـ حـالـ وـجـودـ خـبـرـاتـ وـاـذـوـاقـ جـمـالـيـةـ مـتـطـوـرـةـ . وـ بـنـاءـ عـلـيـهـ فـانـ الـخـبـرـاتـ وـ الـاـذـوـاقـ جـمـالـيـةـ ضـرـورـيـةـ لـيـسـ فـقـطـ لـلـفـنـانـ ، الـذـىـ يـخـلـقـ الـتـحـفـ الفـنـيـةـ ، بـلـ وـلـكـلـ شـخـصـ يـخـلـقـ قـيـماـ مـادـيـةـ .

ويـتـبـرـ الفـنـ وـسـيـلـةـ هـامـةـ منـ وـسـائـلـ تـرـبـيـةـ الـاـذـوـاقـ الجـمـالـيـةـ . عـلـمـاـ بـاـنـ التـأـثـيرـ الجـمـالـيـ لـلـفـنـ عـلـىـ الـانـسـانـ يـزـدـادـ شـدـدـةـ بـمـقـدـارـ ماـ تـكـوـنـ الـاعـمـالـ الفـنـيـةـ اـكـثـرـ سـطـوـعـاـ وـتـعـبـيـراـ فـنـيـاـ وـبـمـقـدـارـ ماـ يـكـوـنـ فـيـهاـ التـرـابـطـ بـيـنـ الـمـحـتـوـيـ الـفـكـرـيـ وـالـشـكـلـ الـفـنـيـ الـمـتـكـاملـ اـكـثـرـ عـضـوـيـةـ . وـمـرـبـىـ الـاـذـوـاقـ الفـنـيـ يـمـكـنـ انـ يـكـوـنـ فـقـطـ الـفـنـانـ الـحـقـيقـىـ عـدـوـ الـلـافـكـرـيـةـ وـالـلـاـسـيـاسـيـةـ ، وـالتـفـاهـةـ ، وـالـنـزـعـةـ الـحـرـفـيـةـ ، وـالتـصـوـيـرـ الـمـبـسـطـ لـلـشـخـصـيـاتـ وـانـعـدـامـ التـعـابـيرـ الـلـغـوـيـةـ الـشـعـبـيـةـ السـاطـعـةـ .

وفي ظل الشيوعية ايضا يبقى الفن شكلًا خاصا من اشكال النشاط البشري ووسيلة هامة للتربية الجمالية . ولدى ذلك يبقى ، على ما يبدو ، تخصص الناس الى هذا القدر او ذاك في هذه الناحية من الابداع الفني او تلك . وليس مفروضا ابدا ان يصبح كل انسان في ظل الشيوعية مثيلا لرفائيل او تشايكوفسكي او بوشكين ، بيد انه ، كما يقول ماركس ، «يجب على كل فرد ، يملك موهبة رفائيل ، ان تتوفر لديه امكانية التطور دون عائق» \* .

وفي ظل الشيوعية يتخلص الانسان من الهموم المادية التي تنتزع حاليا منه وقتا غير قليل . وجميع حاجاته المادية سوف تلبى تماما . وسوف تنمو ثقافة المجتمع الى درجة هائلة فتنمو بالتالي امكانيات التمتع بمنتجاتها . وسوف تتسع دائرة متطلبات الناس الروحية واهتماماتهم ، وبالتالي امكانيات تلبيتها ايضا . وعلى اساس نمو الانتاج والعلم والتكنيك سوف يتقلص وقت العمل الى حد كبير ويزداد وقت الفراغ ، الامر الذي سيتيح للناس تكريس اوقات فراغهم للابداع الفني .

## الكمال الجسماني

ان عملية تكوين الانسان الجديد مستحيلة بدون **كماله الجسماني** . فالانسان الكامل جسمانيا هو بالدرجة الاولى الانسان الذي يتحلى بصحة جيدة . اذ انه من المعروف ان الصحة ، الجسدية والنفسية ، هي مقدمة

---

\* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٣ ، ص ٣٩٢ .

ضرورية لنشاط الانسان العملي والاجتماعي . فالانسان الصحيح فقط قادر على امتلاك كل تنوع المظاهر البشرية ، ومقدرة شديدة على العمل ، وقدرة التمتع بجمال الطبيعة والعمل الابداعي ، والنظر الى الواقع المحيط به باعلى درجات التأثير . والانسان الكامل جسماً نيا ليس مجرد انسان فقط . انه انسان يحسن التصرف بجسمه وعضلاته ، ويملك قيافة جميلة ، انسان شرح وقوى ونشيط قادر على تحمل الاعباء الجسدية الشديدة . فمن لا يعرف ، مثلا ، ان الشخص الذي يمارس الرياضة هو شخص جميل ويبهر من بين الناس الآخرين ويلفت انتباهم عن غير قصد منه ويشير فيهم الرغبة بان يكونوا بمثل هذا الجمال والرشاقة .

قد نسمع احيانا من يقول بأنه لا حاجة بالانسان الى ارهاق نفسه بالتكامل الجسماني - ففى ظل الشيوعية ينعدم العمل الجسدى (كذا) . ولكن العمل (كما سبق ان ذكرنا) لن يتتحول فى اي وقت من الاوقات الى لعب او لهو ، وسوف يتطلب من الانسان دائما جهودا معينة سواء ا كانت فكرية ام جسدية . فادارة اعقد التكنولوجيا تتطلب من الانسان رد فعل سريعا للغاية وانتباها وقدرة على ايجاد حل سريع للمسائل المعقدة ، وهذا يعني ، دون استبعاد الجهود العضلية بحد ذاتها ، انتقالا معينا لمركز الثقل من الجهود العضلية العادية الى التوتر العصبي . وهذا يتطلب من الانسان اعدادا جسدية عاليا .

ان تنظيم التربية الجسدية للناس والتطوير الجماهيرى للتربية البدنية والرياضة هما وسيلة فعالة لانجاز الكمال الجسمانى لدى الانسان .

فال التربية الجسدية المنظمة جيدا تؤثر افضل التأثير على القدرة على العمل لدى الانسان وتعوض عن النقص في الجهد الجسدي وخاصة عند الاشخاص الذين يتسم عملهم بقلة الحركة .

والرياضة ، طبعا ، لا يمكن وجودها بدون ارقام قياسية ، وبدون مشاهير رياضيين ، وبدون مباريات ولقاءات رياضية . بيد ان المهمة الرئيسية للتربية البدنية والرياضة في الاتحاد السوفييتي ليست التركيز على الارقام القياسية والنجوم الرياضية بل اجتذاب ملايين وملايين الناس الى الحركة الرياضية ، ومن ثم جميع اعضاء المجتمع ، في المستقبل . والامر الذي يميز النظام السوفييتي للتربية الرياضية هو جماهيريتها الحقيقة بالدرجة الاولى . وفي هذا يكمن الفارق بينه وبين الانظمة القائمة سابقا والقائمة حاليا على السواء .

ويوجد في البلاد السوفييتية ما يربو على ٢٠٠ الف جمعية رياضية اولية يمارس فيها الرياضة اكثر من ٥٠ مليون شخص . والرياضة متطرفة تطورا واسعا في المدارس ودور التعليم العالى . وتتخذ الاجراءات من اجل جعل ممارسة التربية البدنية والرياضة امرا اعتياديا وقضية محببة لدى كل فرد ، وكى تدخل فى حياته وعمله ومعيشته . ان التربية الشاملة لميزات الانسان الجسدية والروحية والاخلاقية هى الطريق نحو كمال الشخصية البشرية وتطورها من كافة النواحي .

وفي تكوين هذا الانسان ، المتتطور من جميع النواحي وبصورة متناسبة ، يكمن اسمى هدف للشيوعية وغرضها . فالشيوعية تبني بالناس ومن اجل الناس . وفي هذا قوة الشيوعية وضمانة انتصارها العتيد .

## الشيوعية – مستقبل البشرية

### (خاتمة)

وضع زعيمها الطبقة العاملة العظيمان ماركس وانجلس نظرية الشيوعية العلمية . فالتحليل العميق للواقع الرأسمالي دراسة وتعظيم نضال الكادحين ضد الاستثمار قد مكتناهما من الوصول الى الاستنتاج بان الرأسمالية يجب ان تخلي المكان التاريخي لمجتمع جديد - الاشتراكية ، لمجتمع خال من الاستثمار وانواع الاضطهاد الاخرى . وكشفا وسيلقي الاطاحة بالرأسمالية : النضال الطبقي والثورة الاشتراكية ، وميزا القوة الاجتماعية القادرة على القضاء على الرأسمالية وبناء الاشتراكية : الطبقة العاملة .

طور لينين ، القائد العبقري للبروليتاريا الروسية والعالمية ، نظرية الشيوعية العلمية في الظروف التاريخية الجديدة – في عصر الامبراليّة - عشية الثورة

الاشتراكية . وكشف لينين امكانية انتصار الاشتراكية في بلد واحد او عدة بلدان اولا . وانشأ حزبا من طراز جديد : الحزب الثوري للطبقة العاملة الذى غدا منظم العمال وجميع الكادحين وقادتهم في النضال ضد الرأس المال ومن اجل انتصار الاشتراكية . وكان لينين زعيم ثورة اكتوبر الاشتراكية - اول ثورة ظافرة للطبقة العاملة في العالم . وارسى انتصار ثورة اكتوبر بدايه عهد جديد في تطور البشرية - عهد الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وبانتصار ثورة اكتوبر انقسم العالم الى نظامين اجتماعيين : الرأسمالي والاشتراكي . وبانتصار ثورة اكتوبر كفت الاشتراكية عن ان تكون نظرية وحسب ، فقد انتشر نضالها العملي وبناؤها .

وبعد ان اجتازت طرقا غير معهودة من قبل وتحملت مصاعب هائلة ، قامت الطبقة العاملة السوفيتية ، وبالتحالف مع الفلاحين الكادحين وبقيادة الحزب الشيوعى ، ببناء الاشتراكية ، وهى تقوم حاليا ببناء الشيوعية . وفي سير هذا العمل الانشائى الضخم تم اكتناف تجربة لا تقدر بثمن واكتشاف القوانين العامة والسبل الواحدة لبناء الاشتراكية امام اكثر البلدان اختلافا . واهم هذه القوانين : انجاز الثورة الاشتراكية بهذا الشكل او ذلك ؛ اقامة دكتاتورية البروليتاريا والدور القيادى للحزب الشيوعى في المجتمع ؛ التحويل الاشتراكي لللاقتصاد ولمجمل نظام العلاقات الاجتماعية والثقافية . وهذه القوانين العامة ، التى تتبعى على نحو خاص فى كل بلد على حدة ، قد اكدها عليها ممارسة البناء العملى للمجتمع الجديد فى بلدان المنظومة الاشتراكية العالمية .

تقوم الاشتراكية كنظام اجتماعي منذ ما يزيد عن نصف قرن ، وهو فترة ضئيلة جدا اذا قسنا الزمن بمعايير تاريخ البشرية المتعدد القرون . ولكنها ، في هذه الفترة القصيرة ، اظهرت افضلياتها التي لا يرقى اليها الشك على الرأسمالية ، واتاحت حل جملة من اكثر المسائل الحاجة التي جهدت البشرية مئات السنين من اجل حلها . وقضت الاشتراكية على استثمار الانسان للانسان وايقظت جماهير كادحة هائلة للاشتراك النشيط في الابداع التاريخي ، وجعلتها سيدا للمجتمع وخالقا ومستهلكا لجميع القيم المادية والروحية . ووضعت الاشتراكية في خدمة الانسان الكادح منجزات الانتاج والعلم والثقافة ، وحلت بصورة عادلة المسؤولتين القومية والفلاحية ، واقرت مبدأ جديدا للعلاقات الدولية ، مبدأ التعايش السلمي .

ان نجاحات الاشتراكية عظيمة ، وقد حظيت باعتراف العالم كله ، ولا يمكن ان لا يأخذها بالاعتبار حتى اخصام النظام الجديد . بيد ان آفاقا اكبر للغاية ، آفاقا عملاقة حقا تفتحها امام البشرية الشيوعية ، وهي الطور الثاني ، الاعلى ، للمجتمع الجديد . والشيوعية تضمن لشعوب الارض سلما ابديا ، وسوف يتحرر الناس الى الابد من القلق على مستقبلهم ومستقبل اطفالهم . وستقييم الشيوعية سيادة العمل على الارض ، وتجعل العمل حررا وخلقا بالنسبة للجميع ، وتحوله الى حاجة حياتية اولى لدى الانسان ولدى مصدر للغبطة والالهام . والشيوعية ستفتح المملكة الحقيقة للحرية ، حرية الانسان ككادح ، ككائن اجتماعي ، كمبدع ومفكر وسلطان على القوى الجبارة للطبيعة والقوى الاجتماعية . والشيوعية سوف

تضمن المساواة والاخاء لجميع الناس طالما انهم سيكونون جميعا اناس عمل يستغلون بكل ما اوتوا من مؤهلات ويلبون بنفس المقدار كاما حاجاتهم المتنوعة ، العجاجات المعقولة والسليمة لانسان متطور من كافة النواحي . وسيغدو الانسان للانسان صديقا ورفيقا وشقيقا بكل ما في هذه الكلمات من معان رفيعة . وسوف تجلب الشيوعية السعادة الحقيقية لجميع الناس ، سعادة الثقة المتفائلة بالمستقبل الوضاء ، سعادة العمل بصورة مبدعة وتقديم اكبر الفائدة للمجتمع ولا نفسيهم ، وامكانية استكمال ميزاتهم العقلية والجسدية الى اقصى حد .

وكما يتبيّن فان الشيوعية تتباوّب مع اكثـر مصالح الشعوب الحاحا واعز امانـيتها ، وهـى عبارـة عن اكثـر الـأنظمة الاجتماعية انسانية . لـذا فـليس من ولـيد الصـدف ان تستـأثر الشـيـوعـيـة بـعـقـولـ وـقـلـوبـ مـلاـيـينـ جـدـيـدةـ منـ النـاسـ ، وـانـ تـجـدـ لـنـفـسـهاـ منـاصـرـينـ وـمنـاضـلـينـ جـدـداـ وـجـدـداـ فـيـ مـخـتـلـفـ بـقاعـ الـكـرـةـ الـأـرـضـيـةـ .  
وفي هذا قوة الشيوعية ، وفي هذا اهم عامل لانتصار الشيوعية في العالم بأسره .

بيد ان الشيوعية لا تأتـى من تـلـقاءـ نـفـسـهاـ . فـماـ يـزالـ يـتـعـيـنـ خـوـضـ نـضـالـ عـنـيدـ وـمـدـيـدـ سـيـذـهـبـ بـعـدـ غـيرـ قـلـيلـ منـ الـأـرـوـاحـ وـيـكـلـفـ الـبـشـرـيـةـ ثـمـناـ لـيـسـ بـالـقـلـيلـ . وـلـكـنـ هـذـهـ التـضـحـيـاتـ وـالـخـسـائـرـ سـتـعـوـضـ بـرـبـحـ . وـفـيـ الـقـرـنـ الـمـاضـيـ كـانـواـ يـطـلـقـونـ عـلـىـ الشـيـوعـيـةـ اـسـمـ الشـيـبـ الذـىـ يـجـبـ اـورـوـبـاـ . اـمـاـ فـيـ الـوقـتـ الـحـاضـرـ فـقـدـ غـدتـ مجـتمـعاـ وـاقـعـيـاـ يـبـنـىـ عـلـىـ رـحـابـ هـائـلـةـ مـنـ اـورـوـبـاـ وـآـسـيـاـ وـامـيرـكـاـ الـلـاتـيـنـيـةـ . وـقـدـ اـخـذـتـ تـسـيـرـ فـيـ الطـرـيـقـ نـحـوـ

الاشتراكية ونحو الشيوعية العديد من الشعوب والدول ، وعلى هذا الطريق سوف تسير جميع الشعوب والدول عاجلاً أم آجلاً .

**ان الشيوعية هي المستقبل الوضاء للبشرية بأسرها .**

## محتويات

الفصل الاول . علم الاشتراكية	
والشيوعية . . . . .	٣
١ - الحتمية التاريخية لانتصار الاشتراكية	
ماركس وانجلس مؤسسا علم الاشتراكية	
والشيوعية . . . . .	٣
الاسس النظرية للاشتراكية العلمية . . . . .	٦
الثورة الاشتراكية وسيلة استبدال الرأسمالية	
بالاشتراكية . . . . .	٩
الرسالة التاريخية للطبقة العاملة . . . . .	١٢
٢ - اللينينية تطوير خلاق لعلم الاشتراكية	
والشيوعية . . . . .	١٦
انتصار الافكار اللينينية . . . . .	١٦
تطوير لينين لنظرية الثورة الاشتراكية . . . . .	٢٠
اللينينية تعاليم اممية . . . . .	٢٥
٣ - أقول الرأسمالية العالمية . . . . .	٣١
رأسمالية الدولة الاحتكارية . . . . .	٣٢
الجوهر الانساني للرأسمالية المعاصرة . . . . .	٣٧

الفصل الثاني . عصرنا هو عصر انتقال البشرية	
من الرأسمالية الى الاشتراكية . . . . .	٤٨
١ - المحتوى الاساسى للعصر الراهن . . . . .	٤٨
ثورة اكتوبر بداية العصر الراهن . . . . .	٥٠
العملية الثورية العالمية وقواتها المحركة	
الاساسية . . . . .	٥٦
٢ - تحول نظام الاشتراكية الى عامل حاسم	
للتطور العالمى . . . . .	٥٨
طراز جديد للعلاقات بين الدول . . . . .	٥٩
توطيد الوحدة اكبر مهمة . . . . .	٦٣
القوة الجبارة للتتطور العالمى . . . . .	٦٥
النظام العالمى للاشتراكية والنضال من اجل السلم	
٣ - الحركة العماليه الثوريه في بلدان الرأسما	٧٤
الميزات الاساسية لنضال الطبقة العاملة الثوري	
الصلة الوثيقى بين المهام الديمقراطيه والمهام	
الاشتراكية . . . . .	٨١
اشكال تحقيق الثورة الاشتراكية . . . . .	٨٣
٤ - الحركة الشيوعية المعاصرة . . . . .	٨٧
الحركة الشيوعية اكثر قوى عصرنا نفوذا . .	٨٧
تعزيز وحدة الحركة الشيوعية العالمية مهمة من	
الدرجة الاولى . . . . .	٩١
٥ - حركة التحرر الوطنى . . . . .	٩٥
انهيار النظام الاستعماري للامبرialis	
طابع ثورة التحرر الوطنى وقواتها المحركة	
احراز الاستقلال الاقتصادي مرحلة جديدة في	
تطور الثورة . . . . .	١٠٤
النضال لاختيار طريق تطور البلدان المتحررة	
١٠٩	

١١٠ . . . . .	طريق التطور الالرأسمالي . . . . .
الفصل الثالث . طرق الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . . . . .	١١٧ . . . . .
١ - القوانين العامة والاشكال الخاصة لبناء الاشتراكية . . . . .	١١٧ . . . . .
٢ - دكتاتورية البروليتاريا والدور القيادي للحزب الشيوعى هما الشرط الحاسم لبناء الاشتراكية . . . . .	١٢١ . . . . .
٣ - التحويلات الاقتصادية . . . . .	١٢٨ . . . . .
التأمين الاشتراكي . . . . .	١٢٨ . . . . .
اشاعة التعاون في الزراعة . . . . .	١٣١ . . . . .
التصنيع الاشتراكي . . . . .	١٣٧ . . . . .
٤ - اعادة تنظيم العلاقات القومية . . . . .	١٤١ . . . . .
٥ - الثورة الثقافية . . . . .	١٤٦ . . . . .
الفصل الرابع . الاشتراكية - الطور الاول للمجتمع الشيوعى . . . . .	١٥٢ . . . . .
١ - اقتصاد الاشتراكية . . . . .	١٥٥ . . . . .
التطور المخطط قانون الاشتراكية . . . . .	١٦١ . . . . .
٢ - التركيب الطبقي او التنظيم السياسي للمجتمع الاشتراكي . . . . .	١٦٣ . . . . .
التركيب الطبقي . . . . .	١٦٣ . . . . .
التنظيم السياسي . . . . .	١٦٩ . . . . .
٣ - الثقافة الروحية للاشتراكية . . . . .	١٧٥ . . . . .
٤ - الاشتراكية والشخصية . . . . .	١٨٠ . . . . .
الفصل الخامس . الشيوعية - الطور الاعلى للمجتمع الجديد . . . . .	١٨٥ . . . . .
١ - السمات الاساسية لمجتمع المستقبل	١٨٦ . . . . .

القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية . . . .	١٨٦
من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته . . . .	١٩٢
الشيوعية والعمل . . . . .	١٩٧
التعانس الاجتماعي للمجتمع . . . . .	٢٠٠
الادارة الاجتماعية الذاتية . . . . .	٢٠٢
٢ - الفرد في ظل الشيوعية . . . . .	٢٠٤
الشيوعية - ذروة الحرية البشرية . . . . .	٢٠٦
الشيوعية تنشأ على اساس الاشتراكية . . . . .	٢٠٩
الفصل السادس . اتحاد الجمهوريات الاشتراكية	
السوفيتية يبني الشيوعية . . . . .	٢١٢
١ - انشاء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية	٢١٣
التكتيف هو السبيل الاساسى لانشاء القاعدة	
المادية التكنيكية للشيوعية . . . . .	٢١٣
الثورة العلمية التكنيكية ونتائجها الاجتماعية	٢١٩
تدوّل العلم الى قوة منتجة . . . . .	٢٢٣
الاصلاح الاقتصادي . . . . .	٢٢٦
٢ - من العلاقات الاجتماعية الاشتراكية الى	
العلاقات الاجتماعية الشيوعية . . . . .	٢٣٢
نحو المساواة الاقتصادية . . . . .	٢٣٢
تلذسى الفروقات الجوهرية القائمة بين المدينة	
والقرية . . . . .	٢٣٦
تصفيّة الفروقات الجوهرية القائمة بين كادحى	
العمل الفكرى والعمل الجسدى . . . . .	٢٤٣
تطوّير الامم والتقرّيب فيما بينها . . . . .	٢٤٧
تطوّير الديمقراطية الاشتراكية هو السبيل نحو	
الادارة الاجتماعية الذاتية . . . . .	٢٥٠
٣ - تكوين الانسان الجديد . . . . .	٢٦٠

٢٦٠	· . . . .	ضرورة التربية الشيوعية
٢٦٢	· . . . .	وسائل التربية الشيوعية
٢٦٤	· . . . .	تكوين العقيدة العلمية . . . . .
٢٦٧	· . . . .	النضال ضد الايديولوجيا البرجوازية . . . . .
٢٦٨	· . . . .	التربية في العمل . . . . .
٢٧٠	· . . . .	التربية الاخلاقية . . . . .
٢٧٤	· . . . .	التربية الجمالية . . . . .
٢٧٦	· . . . .	الكمال الجسماني . . . . .
٢٧٩	· . . . .	الشيوعية - مستقبل البشرية (خاتمة) . . . . .



فكتور أفالانسييف - فيلسوف سوفييتي بارز ، دكتور في العلوم الفلسفية وبروفيسور وعضو مراسل في أكاديمية العلوم السوفيتية . ألف عددا من الكتب في مختلف القضايا الفلسفية منها «أسس المعارف الفلسفية» (وقد صدرت سبع طبعات منها) ، و«الشيوعية العلمية» (موسكو ، ١٩٦٦) ،

و«ادارة المجتمع العلمية» (موسكو ، ١٩٦٨ و١٩٧٣) ، و«الثورة العلمية التكنيكية . الادارة . التعليم» (موسكو ، ١٩٧٢) . وتمت ترجمة جملة من مؤلفاته إلى عدد من اللغات الأجنبية . وفي كتابه الجديد «الاشتراكية والشيوعية» يعرض أفالانسييف بشكل واضح نظرية الاشتراكية وممارستها وبين القوانين الأساسية الملزمة للمجتمع الجديد ومتزاياه بالمقارنة مع الرأسمالية ويرسم صورة عامة عن النظام الشيوعي الم قبل . ويتناول الكتاب مسائل الثورة الاشتراكية وتحقيق دكتاتورية البروليتاريا واهم القضايا المعاصرة للحركة الشيوعية والعمالية وحركة التحرر الوطني والحركة الديمocrاطية العامة . وفي سياق معالجة مسائل بناء الاشتراكية يولي المؤلف انتباها خاصا لقضايا مثل القضاء على الطبقات الاستغلالية وتطوير القوى المنتجة وتكون علاقات الانتاج الاشتراكية والثورة الثقافية وتطور العلاقات بين البلدان الاشتراكية .

كما يوضح الكاتب في الفصل المتعلق بالنظام الشيوعي الم قبل مسائل انشاء القاعدة المادية والتكنيكية للشيوعية وتكون العلاقات الاجتماعية الشيوعية وتربية الانسان الجديد .